د. رمسيس عوض

اليهود
والأدب الأمريكي المعاصر





سلسلة شهرية تصدر عن
دار الهلال
الإصدار الأول يونيو ١٩٥١

رئيس مجلس الإدارة **مكرم محمد أحمد**

رئيس التحرير **مصطفى نبيل**

سكرتير التحرير **عادل عبد الصمد**

مركز الادارة

دار الهلال : ١٦ ش محمد عز العرب

ت : ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط

فاكس : FAX -3625469

العدد ٥٧٥ – رجب – نوفمبر ١٩٩٨

NO - 575 - NO - 1998

أسعار بيع العدد فئة ٥٠٠ قرش

سوريا١٧٠ ليرة – لبنان٥٠٠٠ ليرة – الأردن ٢ ديناراً – الكويت ١,٥ دينار – السعودية ١٥ ريالا – البحرين ١,٥ دينار – قطر ١٥ ريالا – دبي / أبوظبى ١٥ درهما – سلطنة عمان ١,٥ ريال

اليهود
والأدب الأمريكى
المعاصر

بقلم

د . رمسيس عوض

دار الهلال

الغلاف للفنان
حلمى التونى

١ - دور المجلات اليهودية الثقافية :

ليس من شك فى أن يهود أمريكا فى يومنا الراهن يحتلون مكانة بارزة فى الأدب الأمريكى الحديث . وهم لا ينكرون أنهم يحتلون هذه المكانة العالية بل يتحدثون عنها بفخر واعتزاز . وهم بذلك يدخلون الطمأنينة فى نفوس المواطنين الأمريكان ويشعرونهم بأنهم شركاء لهم فى هــذه المواطنة ، وأنهم لم يعودوا غرباء كما كان الحال عليه فى الماضى . ويهود أمريكا يملكون مراكز أبحاث خاصة بهم تعمل على ترسيخ اقتناع اليهودى الأمريكى بأنه جزء لا يتجزأ من نسيج المجتمع الأمريكى . وإنى استقى هذه الدراسة من كتابات ومباحث اليهود الأمريكان أنفسهم التى تنشرها مراكز الدراسات اليهودية فى الولايات المتحدة . وفى هذه الدراسات نعرف الأسماء اليهودية اللامعة فى مجال النقد الأدبى فى أمريكا اليوم أمثال ليونيل تريلنج (Lionel Trilling) وفيليب راهف (Philip Rahv) وألفريد كازين(Alfred Kazin) ولسلى فيلدر (Les lie Fielder) وأرفنج هاو (Irving Howe) . وأيضا لمعت فى الرواية الأمريكية الحديثة والمعاصرة كوكبة من أشهر الروائيين اليهود الأمريكان مثل الشاعر ديلمور (Delmore) وشوارتز (Schwartz) وشاؤول بيلو (Saul Bellow) ونورمان مالر (Norman Mailer)

وفـيليب روث (Philip Roth) . وبنهـاية الحـرب العـالمية الثـانيـة (١٩٤٥) بات من الواضح أن هذه الأسماء قد استقرت فى صميم الأدب الأمريكى ، وأصبحت رافدا جوهريا من روافده . وهو رافد بدأ فى العشرينات من القرن العشرين وخاصة فى فترة الكساد العظيم الذى اجتاح الغرب والعالم كله فى الثلاثينات ثم تعمق فى العقد الخامس بعد قيام هتلر بإبادة اليهود إبادة جماعية وسعى هؤلاء اليـهود الحثـيث لاقامـة دولة اسرائيل . ويمكن القـول بأن الخمسينات توجت بنجاح الجـهود التى بذلها اليهود فى مطلع القرن العشرين لاثبات وجودهم فى ساحة الأدب الأمريكى منذ أن أنشـأوا مجلة مـينورا (The Menorah Jounal) فى العشـرينات والبـارتيـزان ريفيـو (Partisan Review) ومـجلة «التـعليق» (Commentary)التى بدأت فى أواخـر الأربعينات واستـمرت حتى عام ١٩٧٠ تقريبا. وإذا كان الرعيل الأول من الكُتّاب اليهود غرباء على الأدب الأمـريكى فإن الرعيل الثـانى منهم استوعب الثقافة الأمريكية استيعابا كاملا وتخلى نهائيا عن شعوره بالتقوقع فى شرنقة الفكر اليهودى الصرف وخرج من هذه الشـرنقة ليلتحم إلتحاما كاملا بالثقافة الأمريكية . ولا غرو فقد أصبح يتلقى نفس التعليم الذى يتلقاه الأمـريكى ويعيش نفس حياته ويشاركه نفس

أفكاره ومشاعره . ولم تعد هويتهم اليهودية تهمهم بقدر اهتمامهم بتمثل الحياة الغربية واستيعابها . ومما لا شك فيه أن تمثلهم الكامل للحياة الأمريكية بوجه خاص والغربية بوجه عام يرجع إلى حد ما إلى رغبتهم فى تجنب المشاعر العادية للسامية فضلا عن تجنب ما قد يلحق بهم كأقلية من أضرار اقتصادية .

ومن أبرز مظاهر التمثيل اليهودى الكامل للحياة الأمريكية إنشاء جمعية عام ١٩٠٦ فى جامعة هارفارد تهدف إلى اندماج اليهود فى المجتمع الأمريكى وتحمل هذه الجمعية اسم جمعية مينورا بجامعة هارفارد . وليس أدل على نجاحها من أنها أقامت فى العشرينات أماكن للعبادة مخصصة لليهود فيما لا يقل عن ثمان عشرة كلية أمريكية . ومن المهم أن نذكر أن هذه الجمعية الجامعية أنشأت عام ١٩١٥ مجلة ثقافية وعلمانية خطيرة الأثر تعرف بمجلة مينورا التى كان هنرى هيروتيز (Henry Hurwitz) أول من تولى رئاسة تحريرها حتى وفاته عام ١٩٦١ . والجدير بالذكر أن هذه المجلة توقفت فى العام التالى لوفاته وقد سعت هذه المجلة لتجنيد جميع الموارد اليهودية لدعم الجهود التى يبذلها اليهود للاسهام فى إثراء الحياة الفكرية الأمريكية ، ناهيك عن تعميق هويتهم الأمريكية .

وصل نشاط مجلة مينورا الثقافى ذروته فى الخمس عشرة سنة

الأولى من إنشائها ثم أخذ نشاطها يخبو بمرور الزمن . ورغم ذلك فقد لعبت هذه المجلة دورا بارزا فى التحام اليهود بالأمريكان والتحام الأمريكان باليهود الأمر الذى مكن اليهود الأمريكان من الاحتفاظ بطابعهم الثقافى المميز دون أن يذوبوا ذوبانا كاملا فى بوتقة الثقافة الأمريكية . وهكذا تخلى اليهود عن عزلتهم التقليدية وياحساسهم المتفرد عن بقية خلق الله دون أن يفقدوا كيانهم النفسانى . واستطاعت مجلة مينورا تحقيق الأهداف الثلاثة التى وضعتها نصب عينها : (أولا) إلقاء الضوء على الماضى اليهودى واستعادته فى ضوء علم النفس الحديث ، (ثانيا) مناقشة حياة اليهود ومشاكلهم فى الولايات المتحدة والعالم مناقشة حرة ومفتوحة أمام جميع الاتجاهات والتيارات ، (ثالثا) العمل على نشر الأعمال الخلاقة للكُتَّاب والفنانين اليهود فى كل المجالات .

وبعد هنرى هيروتيز تولى اليهودى ألبرت كوهين رئاسة تحرير هذه المجلة ، تخرج كوهين فى جامعة ييل فى الثامنة عشرة من عمره . وكان يحلم بأن يصبح أستاذا للأدب الانجليزى . ولكن هذا لم يتحقق لأن أقسام الأدب الانجليزى بالجامعات الأمريكية آنذاك كانت مقتنعة بعدم قدرة اليهود على الاضطلاع بهذه المهمة . ويذهب أول مقال نشره كوهين فى مجلة مينورا عام ١٩٢٣ إلى

ضرورة انخراط اليهود فى المجتمع الثقافى والفكرى الأمريكى حتى لا يصبحوا جزيرة منعزلة عنه . وقد أوتيت هذه الدعوة التى بدأت فى العشرينات ثمارها فى عقد الخمسينات .

ورغم أن كوهين لم يكن أديبا بمعنى الكلمة فإنه تمتع بموهبة فذة فى اكتشاف الأدباء واستطاع أن يستكتب فى فترة رئاسته تحرير المجلة كوكبة من ألمع النقاد والمفكرين أبرزهم الناقد المعروف ليونيل تريلنج Lionel Trillling إلى جانب ألبرت هالبر Albert Halper وتس سلسنجر Tess Slesinger وكليفتون فاديمان Clifton Fadiman وآخرين فضلا عن أنه نجح فى استكتاب عدد كبير من ألمع نجوم الكتابة السياسية فى الثلاثينات .وتدل الرسائل المتبادلة بين كوهين رئيس تحرير مجلة مينورا وبين ازيدور شنيدر Isodor Schneider على أن جميع المشتركين فى تحرير المجلة كانوا على وعى تام بالدور الذى يلعبونه فى ادماج اليهود فى المجتمع الأمريكى . والجدير بالذكر أن اهتمام ازيدور شنيدر بالاشتراكية والأدب كان يفوق اهتمامه بهويته اليهودية . والتفت الرجل منه حوله إلى أقرانه اليهود الذين يتحدثون اللغة الانجليزية فوجد أنهم يحتلون مكانة هامشية وتافهة فى تيار الحياة الأمريكية الأمر الذى جعله يعلق آماله على الانتاج الأدبى والفكرى ليهود روسيا وشرق

أوربا الذين يتحدثون اللغة الخاصة بهم المعروفة باليديش Yid-dish وهى لغة تنحدر من الألمانية الدارجة وليس من العبرية . وأحس شنيدر بالفخر الشديد لأن اينشتين وماركس وفرويد كانوا من اليهود .

ولكن من الخطأ أن نظن أن مجلة مينورا اقتصرت على أقلام اليهود فقط فقد استطاعت اجتذاب غير اليهود إليهم . وكانت كتابات كوهين أحسن تعبير عن التغير الملموس الذى طرأ على اليهودى فى أمريكا فقد إلتحم بالفكر الأمريكى دون أن يفقد هويته اليهودية . ولهذا قبله المجتمع الأمريكى فى الخمسينات كجزء لا يتجزء من هذا المجتمع .

ويشرح الناقد ليونيل تريلنج هذه الروح اليهودية الجديدة قائلا إنها لا تربطها بالدين اليهودى أية رابطة بل هى مجرد اعتزاز اليهودى بانحداره من أصل يهودى وعدم الخجل منه مقرونا بالادراك أن اليهود ليسوا فوق مصاف البشر ويشاركون بقية افراد المجتمع الأمريكى سخافاتهم وتعقيداتهم .

أسهم ليونيل تريلنج اسهاما غزيرا بكتاباته فى مجلة مينورا فى الفترة من عام ١٩٢٦ حتى عام ١٩٣١ . وكانت كل مقالاته فى مينورا تدور حول دور اليهودى فى الأدب . غير أن رأيه فى الانتاج

الأدبى اليهودى لم يكن عاليا . فهو يهاجم بشدة الأدب الذى انتجه اليهود آنذاك وهو يحمل بشدة على رواية لودفيج لويسون Ludwig Lewisohn «الحصاد العشوائى» Random Harvest قائلا إن هذا الروائى أخفق فى إنتاج الشعر مثلما أخفق فى إنتاج الخيال . وعاب تريلنج أيضا على مسرحية لويسون «آدم» وروايته الأخرى «ستيفن اسكوت» Stephen Escott وميل هذين العملين إلى الدعاية الفجة المتمثلة فى الإعلاء من احساس اليهودى بيهوديته . يقول تريلنج إن هذا المؤلف آثر التضحية بالمزايا الفنية الأصيلة من أجل ترك أثر عاطفى مباشر وسريع ، وهو يضيف أن لويسون عاجز عن خلق الشخصيات ولكنه ناجح ومقنع فى وصف المفاهيم والمؤسسات . وكذلك ينحى تريلنج على الشاعر لويس انترماير Louis Unter-meyer فى ديوانه الشجيرة المحترقة Bush Burning فيقول إنه ليس شاعرا جيدا أو أمريكيا جيدا أو حتى يهوديا جيدا بل هو شاعر ردىء ودعى ، وكذلك لم تسلم رواية اليهودى روبرت ناثان Robert Nethen» هناك سماء أخرى« There is another Heoven من الانتقاد فقد قال تريلنج إن مؤلفها يبالغ أكثر من اللازم فى تبسيطه للحياة والفضيلة . وأيضا قال هذا الناقد إن الرواية التى ألفها الناقد الموسيقى بول روزنفيلد Paul Rosenfeld بعنوان «ولد

فى الشمس» Boy in the Sun فاشلة فشلا ذريعا بسبب انصراف بال مؤلفها إلى الموسيقى الأمر الذى انعكس بالسلب والطراوة على أسلوبه النثرى غير أن جميع أحكام تريلنج النقدية لم تكن بهذه القسوة ، فقد وصف رواية تشارلس روزنيكوف Charles Roznikoff» بجوار مياه مانهاتن » By the Waters of Manhatten بالعظمة والأصالة وبأنها تتفوق على مثيلاتها بين الروايات اليهودية .

تأثر تريلنج فى لاحق أيامه بالأفكار الراديكالية والثورية حتى مقالاته النقدية الباكرة تنم عن ادراك للجوانب الاجتماعية النفسية التى ينطوى عليها الأدب الروائى . وتدل مناقشته لكتاب حناة و . لندن London . Hannah الذى يضم بين دفتيه مستنسخات من بورتريهات اليهود الأمريكان الأوائل على فخره بما يحرزه الكتاب من نبوغ اليهود وتميزهم . غير أنه عاب على صاحبة الكتاب أنها تجنح إلى المجردات والفكر المطلق الذى يصور لها اليهودى بالعظمة المطلقة والامتياز المطلق .. وكان آخر ما نشره تريلنج فى مجلة مينورا ذلك العرض المتحمس لرواية «النجاح» Success التى ألفها ليون فيتشفانجر Lion Feucht wanger فى ألمانيا عن الظلم . وبلغ به الاعجاب بهذه الرواية إلى الحد الذى جعله يقول عنها إنها تكاد تبلغ الكمال فى نجاحها وإنها تبنى التاريخ على نحو جميل .

ويدل نقده لهذه الرواية إلى تأصل البعد الاجتماعي والسياسي فيه فهو يعتبر الأدب سلاحا لمقاومة الشر والجشع والغباوة في هذا العالم وهذا معناه أنه لا يعتبر الأدب مجرد متعة جمالية أو واحة للهروب من قبح وبشاعة الحياة . والرأى عنده أنه لا جناح على الفنان إذا دافع في فنه عن السلوك السياسي القويم وهاجم الظلم والجور فليس في اشتمال الأدب على الدعاية السياسية ما يعيب .

والجدير بالذكر أن الفترة التي تولى فيها كوهين رئاسة تحرير مجلة مينورا اتسمت بالجنوح إلى اليسار في الفكر والسياسة . وساعد على ذلك الكساد العظيم الذي اجتاح العالم في فترة الثلاثينات . وعبرت مادة المجلة آنذاك بوضوح عن تعاطفها على المبادىء الشيوعية الأمر الذي أقض مضجع ممولي المجلة الأثرياء والذين دفعتهم محافظتهم وخوفهم على مصالحهم إلى تشديد النكير على رئيس التحرير كوهين فصارت حياته لا تطاق ، واضطر إلى الاستقالة فانفرط عقد مجموعة الكُتَّاب اليساريين الموهوبين الذين التفوا حول المجلة . وبعد أن أصدر كوهين العدد الأخير منهامفي يونية عام ١٩٣١ توقفت المينورا عن الصدور ثم تعثرت وعجزت عن الظهور بانتظام حتى نهاية عام ١٩٦٢ . وبعد انفضاض جماعة كوهين اليسارية عن المجلة أخذوا في الانخراط

فى معترك الحياة السياسية الأمريكية من منطلق يسارى عاطف على الفكر الشيوعى ولكنه رافض للشمولية والديكتاتورية الستالينية . ولهذا احتدم النزاع بينهم وبين غلاة "الشيوعيين ونحن نطالع تسجيلا عدائيا لحياة هذه الجماعة فى رواية التى ألفتها تس سبسنجر Tess Spesingerعام ١٩٣٤ بعنوان «المالكين لعقولهم أو غير الملتزمين The unpossessed. وسخرت سبسنجر من استغراق أفراد هذه الجماعة فى الكلام الذى لا ينتهى والاكتفاء بهذا السيل المنهمر من الكلمات دون الفعل وعبر تريلنج عن استهجانه لمدلول الرواية فقد كتب عند إعادة طباعتها يقول إن المؤلفة أرادت بكتابها أن تبين عجز جماعة المينورا عن وضع المثل العليا التي يتظاهرون بالايمان بها موضع التنفيذ . يقول تريلنج فى دفاعه عن هذه الجماعة أنها تهدف حقا إلى إصلاح المجتمع الأمريكي وليس صحيحا أنهم أولاد زنا ولقطاء عاجزون عن الانجاب كما تصفهم الرواية . ولكن الأيام أثبتت أن تريلنج لم يكن محقا تماما فقد انسحب من معترك السياسة الراديكالية نفر من أعضاء الجماعة بعد انقضاء عدة سنوات على انضمامهم إليها .

ورغم ذلك لعبت جماعة مينورا دورا بارزا فى تطور الأدب الأمريكى فى فترة رئاسة كوهين تحرير المجلة وبفضل نشاطها

استطاع يهود أمريكا النفاذ إلى قلب الأدب الأمريكى والثقافة الأمريكية . ويمضى الزمن انبعثت بذرة الأمركة التى وضعها كوهين فى المثقفين اليهود لتطرح ثمارها عندما تولى هذا الرجل رئاسة تحرير مجلة «التعليق» وذلك بعد مرور أربعة عشر عاما على انسحابه من رئاسة تحرير مينورا . والجدير بالذكر أن ليونيل تريلنج استطاع أن يحقق ما عجز سلفه إليوت كوهين عن تحقيقه فقد أصبح تريلنج أستاذا للادب الأنجليزى فى جامعة كولومبيا . فضلا عن أن صيته كناقد أدبى طبق الآفاق وترك بصماته الواضحة على الجيل التالى له .

وترجع أهمية جماعة مينورا الحقيقية إلى أنها أثبتت للمجتمع الأمريكى أن الكاتب اليهودى يمكن أن يكون يهوديا راديكاليا وصاحب اتجاهات أدبية فى سياق أمريكى منسجم وأن يصهر يهوديته وراديكاليته وأدبه فى بوتقة الثقافة الأمريكية ، وفى فترة الثلاثينات اصطبغ النشاط الأدبى لجماعة مينورا بصفة السياسة اليسارية . ولما كان السواد الأعظم من الكُتَّاب الشبان آنذاك من اليهود كان من الطبيعى أن يستمدوا مادتهم من واقع بنيتهم وتجربتهم اليهودية ، وجاء ت الحركة النازية فى ألمانيا لتضع مشكلات اليهود فى صدارة الاهتمامات الأمريكية وخاصة لأن

عـدوى النازية الألمانيـة وعـداوة السـامـيـة انتـقلت إلى نفـر من الأمريكان . ولكن المضمون اليهودى لهذه الكتابات اليهودية كان فى العادة أقل فى أهميته من مضمونيها السياسى والأدبى الأمر الذى يؤكد - كـمـا أسلفنا - انصـهـار اليـهـود فى بوتقة الحـيـاة الفكرية والثقافية الأمريكية .

وبعد اختفاء مجلة مينورا انتقلت هذه الراديكالية السياسية اليهودية إلى مجلة أخرى هى البارتيزان ريفيو التى تأسست عام ١٩٣٤ كامتداد لنادى جون ريد Gohn Reed فى نيويورك الموالية للحـزب الشـيـوعى . وتولى إدارة هذه المجلة الجـديدة اثنان من اليـهـود هما وليم فـيلبس William Phillips وفـيليب راهف Philip Rahv. ولكن الشقـاق ما لبث ان دب بينهما وأنصـارهم فى جانب والحزب الشيوعى فى جانب آخر . وكانت نتيجة هذا الشقاق أن انفصلت مجلة البارتيزان ريفيو عن الحزب الشيوعى الأمـريكى لتـصـدر مـسـتـقلة عنه . ورغم أن هذه المجلة احـتـفظت بميـولهـا اليسارية ردحا من الزمن فإنها آثرت الانصراف عن السياسة إلى التجديد فى القوالب الأدبية على نحو ما فعل ت . س . إليوت وإزرا باوند فى الشـعـر وجـيـمس جـويس وفـرانز كـافكا وفـيـودور دستـيـوفسكى فى الرواية . وبذلك توارت الهوية اليـهودية رغم أن عددا كبيرا من كتاب البارتيزان ريفيو كانوا من اليهود . غير أن

بعضهم سار على نفس الدرب الذى انتهجته مجلة مينورا وهو الدرب المؤدى إلى تمثل الحياة الأمريكية والاندماج فيها . غير أن العنصر اليهودى ما لبث أن عاد إلى الظهور بوضوح فى مجال الحقل الأدبى عند انشاء مجلة يهودية ثالثة هى «التعليق» عام ١٩٤٥ أى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة .

ولم يشترك كوهين فى تحرير البارتيزان ريفيو فى حين أن ليونيل تريلنج أسهم فيها بنصيب وافر مقيما بذلك همزة وصل بين المجلة الأولى مينورا والمجلة الثالثة البارتيزان ريفيو . ولعبت هذه المجلة الثانية دورا بارزا فى تطور كثير من الكتاب اليهود الذين أحدثوا تغييرا هائلا فى الأدب الأمريكى نفسه فى عقد الخمسينات. وفى تلك الفترة اتجهت مجلة البارتيزان ريفيو الى الحداثة الأدبية . ومع ذلك ظلت سياستها يسارية ماركسية ولكنها معادية للديكتاتورية الستالينية متجهة فى نهاية الأمر الى التروتسكية .

وعند ظهور مجلة البارتيزان ريفيو كانت المدرسة الأدبية الأمريكية المعروفة بمدرسة المذهب الانسانى (وهى مدرسة تقليدية محافظة تزعمها إرفنج بابيت Irving Babbitt وبول المر مور Paul Elmer Moore) قد اندحرت أمام حداثة هذه المجلة الجديدة وتم هذا الاندحار على أيدى مجموعة من المتمردين على القديم وعلى

النظام الاجتماعى القائم وهو تمرد تزعمه بروكس Brooks مؤلف «بلوغ امريكا سن الرشد» America's Coming of Age وأبرز الروائيين فى فترة العشرينات بالاضافة الى جماعة الشكليين ثم أنصار النقد الجديد New Criticism فيما بعد والنقد الاجتماعى للأدب (يتصدرهم ادموند ويلسون) والحركة الأدبية المناصرة للماركسية وبعد انهزام انصهار مدرسة المذهب الاجتماعى المحافظة على أيدى هذه الشيع جميعا لم يكن هناك مناص من أن يدب الانقسام بين هذه الشيع المتباينة . وكانت نتيجة هذا الانقسام أن مجلة البارتيزان ريفيو بعد نبذها للحزب الشيوعى واستقلالها عنه تحولت إلى منبر أدبى للماركسية غير المتزمتة ، ثم ما لبثت أن توارت هذه الصبغة الماركسية ليحل محلها جنوح نحو التجريب والحداثة الأدبية . والجدير بالذكر أن مجلة البارتيزان ريفيو لم تكن فى يوم من الأيام من أنصار المدرسة الشكلية أو النقد الجديد اللتين أظهرتا عزوفا عن أية قراءة سياسية للنصوص الأدبية وما أن ظهرت مجلة «التعليق» (نحو عام ١٩٤٥) حتى بدأت تأخذ مكان سابقتها البارتيزان ريفيو وامتلأت صفحات هاتين المجلتين بأقلام عدد كبير من اليهود الأمريكان إلى جانب كتابات الأدباء من غير اليهود .

وتدل «المناظرة» التى تحمل عنوان «تحت سن الأربعين» والمنشورة عام ١٩٤٤ فى «السجل اليهودى المعاصر» Contemporary Jewisls Record على مدى ما وصل إليه الكاتب اليهودى من تغلغل فى الحياة الثقافية الأمريكية فقد جاء فى «سجل اليهودى المعاصر» أن الكاتب اليهودى فيما مضى لم يكن له أدنى وجود فى الأدب الأمريكى . ولكن الوضع اختلف تماما فى الأربعينات فقد احتل الأدباء اليهود الصدارة فى هذا الأدب . واشترك فى هذه المناظرة الهامة عدد من الكتاب اليهود أمثال ميوريل روكسر Muriel Rukeyser والفريد كازين وديلمور وشوارتز وليونيل تريلنج وألبرت هالبر وهوارد فاست Howard Fast واسحق روزنفليد Isaac Rosanfeld. وتأرجح اعتراف هؤلاء الأدباء بمدى تأثرهم بأصولهم اليهودية فمنهم (مثل شوارتز) من اعترف بتأثره بها فى قصد واعتدال ومنهم من رفض قطعيا أنه تأثر بيهوديته مثل ليونيل تريلنج الذى قال أنه سوف يستاء شديد الاستياء لو أن أحدا نسب فضائل كتاباته أو عيوبها إلى أصله اليهودى كانت هذه المناظرة بمثابة نقطة تحول فى تأمرك يهود أمريكا ، كما كانت إيذانا بمقدم عهد جديد زالت فيه الحواجز التى تعترض سبيل التحاق اليهود بالجامعات والمعاهد العليا الأمريكية، كما تقف فى طريق اشتغالهم

بالأعمال الأخرى صحيح أن قدرا من عداوة السامية ومن المفاهيم التقليدية عن اليهود ظل كامنا فى نفوس وعقول بعض الأمريكان . ولكن هذا لم يحل بحال من الأحوال دون نجاحهم فى الالتحام بأغلبية المجتمع الأمريكى بل إنهم أصابوا ما أصابه الأمريكان أنفسهم من ثراء . وهكذا اكتسب الدين اليهودى نفس الشرعية التى تتمتع بها كل من البروتستانتية والكاثوليكية .

لقد أسهمت «المناظرة» المنشورة عام ١٩٤٤ بالإضافة إلى إنشاء مجلة «التعليق» فى نوفمبر ١٩٤٥ بنصيب وافر فى تحقيق الالتحام اليهودى بالثقافة الأمريكية . ورغبة منها فى توثيق عرى هذا الالتحام قررت اللجنة اليهودية الأمريكية استبدال المجلة اليهودية الخالصة «السجل اليهودى المعاصر» بمجلة «تعليق» التى تتسع لليهود وغير اليهود على حد سواء ، كما تتسع لمناظير اجتماعية وسياسية وثقافية أرحب بهدف تعميق اشتراك اليهود فى الحياة الثقافية والفكرية الأمريكية . وعينت هذه اللجنة محرر مينورا السابق أليوت كوهين رئيسا لتحرير مجلة «التعليق» الحديثة الصدور . غير أن هذا الرجل قد تغير إذ تخلى عن سالف ثوريته وراديكاليته ونذر قلمه لمناهضة الستالينية . وفى عام ١٩٦٧ عين نورمان بودهورتيز Norman podharetz خلفا له كرئيس تحرير

مجلة «تعليق» ليسير على نفس الدرب الذى سلكه سلفه فى محاربة الشيوعية . وفى فترة رئاسته لمجلة «تعليق» فعل أليوت كوهين نفس ما فعله عندما كان مسئولا عن تحرير مجلة «مينورا» فقد استطاع مرة أخرى أن يجتذب إليه جماعة موهوبة من الكتاب والدارسين وأن يستأنف مناقشاته الحية التى بدأها فى مجلة مينورا حول ارتباط الحياة اليهودية بالحياة الأمريكية الأوسع، والجدير بالذكر أن مجلة «تعليق» انضمت إلى زميلتها «بارتيزان ريفيو» فى خلق أثر عميق خلال فترة الستينات ليس فى الحياة اليهودية وحدها بل فى الحياة الثقافية والفكرية والأكاديمية الأمريكية نفسها .

وفى شهرى أغسطس وسبتمبر عام ١٩٤٨ قامت مجلة البارتيزان ريفيو بنشر مناظرة أخرى بعنوان «حالة الكتابة الأمريكية» شارك فيها ثلاثة كتاب يهود وستة كتاب من غير اليهود، ولم يعن أى منهم بالحديث عن الكتابات اليهودية الحديثة فى أمريكا كشىء مستقل عن الثقافة الأمريكية باستثناء الناقد ليسلى فيدلر الذى تطرق فى كتاباته إلى يهودية الروائى المعروف فرانز كافكا ، ثم عرض لرواية يوليسيس التى ألفها جيمس جويس فقال إن الفنان واليهودى فى هذه الرواية يسعى كل منهما إلى الوصول إلى الآخر ، ولكن سعيهما يبوء بالفشل ويبتعد الواحد منهما تماما

عن الآخر . واشار فيدلر إلى قرب ظهور جماعة من الكتاب اليهود الذين لم يتجاوزوا الثلاثين من العمر وهم ديلمور وشوارتز والفريد كازين وكارل شابيرو واسحق روزنفيلد وبول جودمان وشاؤول بيلو. وأضاف فيلدر أن الكاتب اليهودى يلعب دور الوسيط لصالح الأدب الأمريكى بين ولاء ين متعارضين هما الولاء لأوربا والولاء لأمريكا .

كان فيلدر على وعى بالمشاكل التى تتضمنها الكتابات اليهودية فى الولايات المتحدة الأمر الذى حفزه إلى أن يكتب مقالا فى مايو ١٩٤٩ فى مجلة «تعليق» ليطرح السؤال التالى : «ماذا نفعل إزاء فاجين – صورة اليهودى الشرير فى الأدب الغربى؟» . وفاجين اليهودى كما نعلم هو رئيس العصابة فى رواية تشارلس ديكنز الشهيرة «أوليفر تويست» . يقول فيدلر إن هناك فى الأدب الانجليزى تراثا عن صورة اليهودى الشرير انتقل من تشوسر وشكسبير واليوت وإزرا باوند إلى الروائيين المحدثين جراهام جرين و د . هـ لورانس . ويطرح فيدلر هذا السؤال : كيف تؤثر هذه الصورة المعارضة للسامية فى الأدب الإنجليزى فى موقف اليهودى من هذا الأدب ؟ . يقول فيدلر إنه بالنظر إلى أن اليهودى المثقف لا يملك أن ينبذ هذا التقليد الأدبى أو يشيح بوجهه عنه فإنه يقترح الحل الآتى لهذه المشكلة – مشكلة الأسطورة السائدة فى الأدب

الانجليزى على حد تسمية فيدلر لها . ويعنى بها هذا التحامل المتوارث ضد اليهودى فى هذا الأدب . وجد فيدلر أن الحل لهذه المشكلة يقتضى من الكاتب اليهودى اقتراح اسطورة أو مجموعة أساطير مضادة فإذا كان الأدب الانجليزى يذهب إلى أن اليهودى شرير فإنه ينبغى على اليهودى أن يستبدل هذه الأسطورة المعادية للسامية بأسطورة أو أساطير أخرى غير معادية للسامية مثل تصوير اليهودى المغترب كفنان .

وليس من شك أن إبادة هتلر الجماعية لليهود زادت من حدة إحساس اليهود بهذه المشكلة . وإدراكا منها بمدى خطورتها نشرت مجلة «تعليق» مناظرة جديدة فى سبتمبر - اكتوبر ١٩٤٩ بعنوان «الكاتب اليهودى والتقليد الأدبى الانجليزى ، طرحت فيه المجلة التساؤل : «كيف يمكن للكاتب اليهودى الذى يعمل فى إطار التقليد الأدبى الانجلو - أمريكانى فى أن يواجه صورة اليهودى الأسطورية أو شبه الأسطورية فى مثل هذا التقليد ، ولكن لم يدر بخلد السواد الأعظم من كتاب اليهود المشتركين فى هذه المناظرة أن ينادوا برفض هذا التقليد الأدبى العظيم رغم ما يظهره أحيانا كثيرة من عداوة للسامية . واعترض البعض على استخدام فيدلر لكلمة أسطورة مجندا استخدام كلمة أكنوية بدلا منها . واشار

إرفنج هاو إلى ضرورة التمييز بين تعبير الأدب الانجليزى عن عداوته للسامية على أيدى تشوسر وشكسبير فى جانب وديزر وياوند وإليوت فى جانب آخر . فى فترة تشوسر وشكسبير كان هناك اجماع بين الناس على كراهية اليهود فى حين أن الآخرين عاشوا فى عصر أكثر تسامحا واستنارة . وعلى أية حال كتب إرفنج هاو يقول فى هذا الشأن : «إن تصوير الأدب الانجليزى لليهود على نحو كاريكاتورى صارخ يجعل من المستحيل على المرء أن يشعر بالارتياح الكامل نحو هذا التقليد الأدبى ، أما الروائى اليهودى المعاصر شاؤول بيلو فيقول إن احتقار الأدباء المحدثين لليهود ليس له ما يبرره لأن هؤلاء الأدباء على وعى أكبر بالتاريخ من كل من تشوسر وشكسبير ومن شأن هذا الوعى أن يجعل كراهيتهم لليهود أكثر بشاعة وفظاعة ، وعلينا أن نتذكر الابادة الجماعية لليهود بالغازات السامة على يد النازيين فى معسكر الاعتقال أو شوتيز حتى نتبين الصواب من الخطأ .

من الغريب أن عددا من الكتاب اليهود اختلفوا فيما بينهم فى تشخيصهم لعداوة السامية الموجودة فى التقليد الأدبى الانجليزى . فقد ذهب هارولد روزنبرج Harold Rosanberg إلى مناقشة هذا الموضوع من الناحية الجمالية إذ قال إن شخصية اليهودى

المقيت شيلوك الذى صوره شكسبير فى« تاجر البندقية» بكل خصائصه وخصاله الكريهة لا يعدو أن يكون تمثيلا أو نمطا يهدف إلى ادخال السرور والبهجة فى النفوس . ومن ثم فإنها لا تلحق أى أذى أو ضرر . وأضاف أن الأذى الحقيقى يأتى من النقد الاجتماعى ومن الدعاية التى تحول هذا التشخيص المسرحى إلى اكليشيه يتردد على كل لسان . ويرى هارى ليفين Harry Levin أن الذى يجأر بالشكوى من تصوير اليهودى فى الأدب الانجليزى على هذا النحو المقيت - وليس الفنان الذى يقوم فعلا بتصويره - هو الذى يشيع فى الأذهان فكرة زراية اليهود والتهوين من شأنهم، ويسلم ليفين بأن حقارة شيلوك قد تكون موجودة فى بعض اليهود ولكن النقد الاجتماعى هو الذى يقوم بالتهويل والتضخيم واضفاء صفة التعميم على هذه الصورة المقيتة لليهودى . وبذلك تصبح بمثابة من يقوم فعلا باضطهاد اليهود .

وامتدت المناظرة التى بدأت فى أواخر ١٩٤٩ إلى عقد الخمسينات . وإذا كانت السنوات الأولى من الخمسينات لم تشهد بشكل واضح الأثر اليهودى فى الأدب الأمريكى فإن هذا الأثر اتضح بشكل لا يدع مجالا لأى شك فى نهاية هذا العقد . ومما يؤكد لنا هذا أن الملحق الأدبى لجريدة التايمز نشر فى عدده الصادر فى ٦ نوفمبر ١٩٥٩ مقالا فى هذا الشأن بعنوان «جماعة

لها صوت مسموع : الدور اليهودى فى الأدب الأمريكى» . واتخذ هذا الصوت المسموع فى مجلة «تعليق» منبرا له . ومن الجدير بالذكر أن عددا من الكتاب اليهود الشبان أسهموا بنصيب وافر فى تحرير اعدادها الأولى مثل ألفريد كازين وشاؤول بيلو وهارولد روزنبرج وكليمنت جرينبرج إلى جانب بعض الأقلام القديمة التى شاركت فى تحرير مجلة مينورا مثل ماير ليفين ووالده فرانك .

غير أن عملية الإبادة الجماعية لليهود على أيدى النازيين الألمان ساعدت على تعميق إحساس الكتاب اليهود الشبان بهويتهم اليهودية . ولعب مارتن بيوبر Martin Buber دورا نشطا فى إحياء هذا الاحساس . وساعدت على ذلك أحداث الشرق الأوسط الخاصة بنشوب حرب فلسطين وانشاء دولة اسرائيل . وفى عام ١٩٤٨ المتزامن مع حرب فلسطين كتبت مجلة تعليق «تقول فى افتتاحيتها : «ليس هناك أى جديد عندما نقول إننا أصبحنا اليوم فى قلب ما يشبه الصحوة (وهى إن لم تكن صحوة فى الدين فهى صحوة فى الاهتمام به) بين المثقفين وفى الخارج وخاصة بين الجيل الأصغر سناء . ولهذا السبب انشغل اليهود سواء كانوا فى اليمين أو اليسار باحتمالات بزوغ ثقافة يهودية وبمناقشة معنى هذه الثقافة . وفى فترة الأربعينات نبذ عدد كبير من اليهود إيمانهم

بالمذهب الشيوعى نتيجة محاكمات التطهير التى أجراها جوزيف ستالين للتخلص من أعدائه وأيضا نتيجة معاهدة السلام التى عقدها ستالين مع ألمانيا النازية عام ١٩٣٩ . وإذا كان اليهود قد تخلوا عن راديكاليتهم المتعاطفة مع الشيوعية وآثروا الطريق التروتسكى إليهم فإن الأمر انتهى بهم إلى التخلى حتى عن تروتسكيتهم .، ولم يحدث هذا لكتاب المينورا فحسب بل لكتاب البارتيزان ريفيو أيضا . وفى ظل هذا التغير فى المناخ الفكرى لدى المثقفين اليهود اعتراهم الفتور والوهن فى التصدى للمكارثية لدرجة أن إرفنج هاو قال فى الخمسينات إن المجلتين المشار إليهما اخفقتا فى التعبير عن التزاماتهما الفكرية كمنبرين ثقافيين . ويتهم هاو مجلة تعليق بميلها إلى التهوين من شأن الخطر المتمثل فى المكارثية . فلا غرو إذا رأينا الناقد اليهودى فيليب راهف يقول عام ١٩٥٢ إن عداوة المثقفين اليهود ضد الستالينية تحولت إلى نوع من الوظيفة (أى إلى مصدر للرزق) فقد باتت هذه العداوة كاسحة وجارفة لدرجة أنها كادت أن تطمس ما عداها من اتجاهات ، الأمر الذى مهد الطريق إلى سيطرة المكارثية على الحياة الفكرية الأمريكية فى فترة من الفترات .

وواصل الكتاب اليهود مناقشة المشكلة اليهودية فى «البارتيزان ريفيو» فى عددها الصادر فى مايو - يونية ١٩٥٢ بعنوان «بلدنا

وثقافتنا» وامتدت هذه المناقشة عبر العددين التاليين من المجلة . وافتتحت هذه المجلة مادتها بالاعلاء من شأن الولايات المتحدة واعتبارها «حامية الحضارة الغربية بالمعنيين العسكرى والاقتصادى على أقل تقدير . وهكذا بزغت بكل تأكيد صورة جديدة لأمريكا من رسم الكتاب والمثقفين اليهود وبلغ تحمس هؤلاء اليهود لأمريكا مبلغا جعل البارتيزان ريفيو تقول فى افتتاحيتها إن معظم الكتاب يهودا كانوا أم غير يهود لم يعودوا يقبلون فكرة اغتراب عن أمريكا . وتزايد عدد المثقفين اليهود الذين نبذوا تمردهم وغربتهم عن المجتمع الأمريكى . وتخليهم عن الماركسية بل حتى عن التروتسكية استطاع الكتاب اليهود أن يلتحموا التحاما كاملا مع هذا المجتمع .

ومن مظاهر هذا الالتحام أن المثقفين اليهود أبدوا استعدادهم التام للانسجام والتناغم الكامل مع الحياة الأمريكية ولفت وليام فيلبس William Philips بكتاباته فى البارتيزان ريفيو أنظار قرائه إلى هذه الحقيقة . فهو يقول: إن معظم المشاركين بالرأى فى المناظرة عبروا عن استعدادهم للتأقلم مع الواقع واستيعاب كل تفاصيل الحياة الأمريكية على عواهنها . وأيضا كتب فيليب راهف مشيرا إلى انتشار هذه النزعة من جانب اليهود للسير على درب

غير اليهود ، وزيادة اقتناعهم بالحياة الأمريكية دون انعقاد أو تمحيص الأمر الذى رأى فيه راهف تهديدا باندثار تقليد المعارضة أو الانشقاق الراسخ فى تربة الأدب الأمريكى . حتى ليونيل تريلنج نفسه كتب عام ١٩٥٢ يقول: إن الوضع الثقافى الأمريكى آنذاك أفضل مما كان عليه منذ ثلاثين عاما مضت ورغم ذلك فإن تريلنج (وهو يمثل بدرجة أقل الاتجاه نحو التأمرك) لم يقبل الواقع الأمريكى على علاته . فقد انتقد بعض السلبيات التى تشوبه وأكد أن إعادة اكتشاف أمريكا لا يتعارض مع ما عرفته هذه البلاد من تقاليد الانشقاق الفكرى . والغريب أن تريلنج لم يطلق صرخة احتجاج واحدة ضد هستيريا المكارثية التى اجتاحت أمريكا .

وإذا كانت غالبية أقلام اليهود المشاركين فى المناظرة عبرت عن تكريسها للواقع الأمريكى القائم فقد شذ عنهم الروائى اليهودى نورمان مالر الذى تجاسر وقال إن أهم روائيى هذا الزمان (وهم دوس باسوس Dos Passes وفاريل Farrell وفولكنر وشتيانبك وهمنجواى) الذين سبق أن عبروا عن غربتهم ما لبثوا أن تخلوا عن هذه الغربة واستسلموا للمجتمع الأمريكى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . فقد أصبحوا عاجزين عن خلق أى إنتاج أدبى له قيمته . واعترف س . رايت ميلز C.Wright Mills (الذى كان

من أبرز المثقفين المنشقين فى تلك الفترة حتى وفاته عام ١٩٦١) بأن تغيرا قد طرأ على المثقفين الأمريكان فأصبحوا يقبلون الأمر الواقع ويرتضونه . وكذلك اعترض إرفنج هاو على هذا الرضا بالواقع قائلا إن هناك فى أمركيا أشياء تثير الإعجاب بقدر ما فيها من أشياء تثير المقت مثل جنوح الأمريكان للتأقلم الكامل مع الواقع وإلى انتهاك الحريات المدنية . بل ذهب إلى حد القول إن الماركسية هى أفضل السبل لفهم المجتمع الرأسمالى الأمريكى وكذلك جأر الكاتب اليهودى الخلاق ديلمور شوارتز بالشكوى من شيوع التماثل الثقافى فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . واعتبر هذا التطابق مع المجتمع الأمريكى بمثابة هروب من التغير والاضطراب والشك السائد حينذاك ، كما اعتبره تأكيدا زائفا لاستقرار لا وجود له وتجاهل للزيادة المطردة فيما أصاب المجتمع الأمريكى من اهتزاز .

وبتقدم عقد الخمسينات ظهر انتاج روائى غزير لعدد من الروائيين اليهود على رأسهم نورمان مالر وإدوين شو وشاؤول بيلو. فضلا عن اسهامات ليونيل تريلنج فى مجال نقد الأدب الانجليزى. وأيضا الكتابات اليهودية المتنامية فى مجلتى «بارتيزان ريفيو» و«تعليق» إلى جانب إنتاج كل من برنارد مالامود وفيليب روث

كـروائيين بـارزين . وبذلك أصــبح الوجـود اليــهـودى فى الأدب الأمريكى والحياة الثقافية أمراً مؤكداً .

وفى ابريـل ١٩٦١ عـادت مـجلة «تعليق» إلى مـواصلة المناظرة القـديمة عن وضع اليـهـود فى الثـقـافـة الأمـريكيـة تحت عنوان «الخـصائص اليـهودية : المثـقـفون الأصـغر سنا» ولعلنا نذكـر أن بعض اليـهـود ذهبـوا من قـبل فـى المناظرة التى أقـامـتـهـا مـجلة «السـجل اليـهودى المعـاصـر» عـام ١٩٤٤ أن احـسـاس اليـهـودى بيهوديته ليس سوى نوع من الشوفينية والعقم اللذين تعانى منهما الطبقة الوسطى الأمـريكية . وأعلنت مـجلة «تعليق» دون مواربة أن ذلك الزمـان أصـبح زمـان اليـهـود . قـالت المجلة فى هذا الشـأن : «يهود أمريكا قادمون . ويكاد التمييز العنصرى ضدهم يختفى كما أن العداوة ضد السامية أصبحت شيئا مقيتا يثير الاحتقار العظيم» . وصـرح الأديب دى موت De Mott أن اليهودى يحتل الآن مكانا فى المجتمع الأمـريكى . ومن استـقراء الآراء المختلفة التى عـبر عنهـا اليـهـود مؤخـرا فى المناظرة التى أقامـتـها مـجلة «تعليق» خلص نورمـان بود هورتز بـعـد اسـتـعـراض آراء الواحـد والثـلاثين مـشـاركـا فى المناظرة (ومـعظمـهم من الشـبـاب الذين لم يتجاوزوا الخامسة والثلاثين من أعمارهم) إلى إن اليهود الشبان لا يشاركون اليـهود القدامى فى الاهتمام بإحياء التراث اليـهودى ،

كما أنهم لا يهتمون بذلك القطاع من المجتمع اليهودى الملتزم بالمحافظة على هذا التراث أو بتوسيع رقعته .

إن النظرة اليهودية أصبحت تتجاوز آفاق هويتهم المحدودة الضيقة . وذهب بعض اليهود إلى القول إن جوهر اليهودية يتمثل الآن فى مبادىء ذات طابع إنسانى عام مثل الكفاح من أجل العدالة الشاملة والأخوة البشرية كما آمنوا بأن الحدود اليهودية المنغلقة تنذر باندثار التقاليد اليهودية المثيرة للإعجاب . ولكن من الخطأ أن نفهم من هذا العزوف عن تأكيد الهوية اليهودية أنه أفضى إلى تجاهل دور اليهود فى الرواية والأدب الأمريكى . بالعكس فقد ظلت تظهر باستمرار كل بضعة أعوام طوال فترة الستينات أعداد كبيرة من الروائيين والكتاب اليهود ومن الأجواء والبيئات اليهودية وكذلك من الشخصيات اليهودية فى الروايات . وكان من الطبيعى للغاية أن يستقى هؤلاء الكتاب والروائيون مادتهم من واقع حياتهم اليهودية دون أن يخالجهم إحساس بالخجل أو الدونية من يهوديتهم . وبذلك اعتاد الجمهور الأمريكى واستساغ وصف الحياة اليهودية فى الأدب الأمريكى . ومن دلائل هذه الاستساغة الأمريكية للحياة اليهودية أن ارفنج مالين Irving Melin وإروين ستارك Irwin Stark قاما عام ١٩٦٤ بتحرير مجلة بعنوان «التغلغل : ذخيرة الأدب اليهودى المعاصرة

بـأمـريكـا – Breakthraugh : Atreasury of Contemporary Americon jewish Literature ويضم هذا المجلد أعمالا قصصية إلى جانب القصائد والنثر .

وتناول الروائى الأمريكى المعروف جون أبدايك John Updike فى رواية ألفها عن كاتب يهودى ونشرها عام ١٩٧٠ بعنوان بيتش Bech هذا الوضع الجديد (أى هذا الوجود اليهودى فى قلب الأدب الأمريكى) على نحو ساخر . وفى الزيارة التى قام بها أبدايك لاسرائيل عام ١٩٧٨ سأله سائل إذا كانت هناك مافيا يهودية تسيطر على دور النشر الأمريكية فجاءت إجابته الصريحة كالتالى : «إننى لست مع أنصار استخدام مصطلح المافيا . ولكن احقاقا للحق أقول إن اليهود تمكنوا من التغلغل فى جميع مناحى عملية النشر : من المبيعات إلى زيادتها إلى تحرير المؤلفات وعرض الكتب . والرأى عندى أن النقاد اليهود – وما أكثرهم – يميلون إلى استقبال أقرانهم من الكتاب اليهود بتحمس . ولكنه استثنى من التحمس الأعمى لكتاب اليهود كلا من فيلدر وتريلنج . وأضاف أبدايك أن الكتاب اليهود يتميزون بميزة يفتقر إليها الأمريكان وهى أنهم يتمتعون باليسر والسهولة فى وصف الحضر الأمريكى . ولكن الصواب يجانبنا إذا ظننا أن أبدايك كان معاديا للسامية أو أنه تحامل على اليهود أو أنه كان يبغى التهوين من أمرهم أو التقليل

من شـأنهـم . فليس هـناك مـا ينم عن كـراهيـة أبدايك لليـهـود رغم سخريته من الكاتب اليهودى الشـهير هنرى بيتش . ويشـير أبدايك أن مـحـافظة بيـتش فى روايتـه بمقـدرة اليهـود على الاضـحـاك هـى التى مكنتـه ومكنت أقرانه اليـهـود من التـغلغل فـى الأدب الأمـريكى والسيطرة عليه .

وثمـة دليل آخر على تغلغل اليـهـود فـى الأدب الأمريكى فـالكاتبـة اليـهـوديـة اليزابيث هـاردويك Elizaheth Hardwick قـالت فى معرض حديث أجرى معها عام ١٩٧٩ عن الفترة التى حاولت فيها تثبيت أقدامها فى عالم الكتابة والأدب فى بلدها كنتاكى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية : «حتى عندما كنت طالبة بالكلية فى بلدى تملكتنى الرغبة فى نشدان – وأرجو ألا يبدو كلامى هذا مضحكا– أن أصبح مـثـقـفـة يهـودية فى مـدينة نيـويورك أقـول (يهـودية) لأن اليهود ورثة تقليد من الشك العقلانى ويتملكهم احساس معين بأنهم مقتلعون من جذورهم وهو احساس يروق لى إلى جانب انفتاحـهم على الثقافة الأوربية ، كما أنهم يتسمون بتلك الراديكالية النابعة من الشك فى سلامة الأوضاع والترتيبات الاجتماعية القائمة .» وعلى أية حال فإن يهوديتها لم تحل دون أمركتها .

٢ - الخمسينات وذروة التغلغل اليهودى فى الأدب الأمريكى

بدأ التغلغل اليهودى فى الأدب الأمريكى يظهر فى الأربعينات من القرن العشرين ، ثم ظل يتنامى حتى وصل إلى ذروته فى عقد الخمسينات . وتجلى هذا التغلغل فى الرواية الأمريكية أكثر من غيرها فى الأشكال الأدبية بسبب ذيوعها وانتشارها فى فترة الخمسينات . وكانت أولى الروايات التى تعالج موضوعا يهوديا هى رواية «الحائط» The Wall تأليف جون هيرسىJohn Hersey . وتناولت هذه الرواية بالتحديد رؤية من وجهة نظر غير يهودية للثورة التى أشعلها يهود الجيتو فى وارسو ببولندا . واحتلت الرواية اليهودية «تمردكين» The Caine Mutiny تأليف هرمان ووك Herman Wouke مكانة مرموقة فى قائمة المبيعات فى عامى ١٩٥١ و١٩٥٢ . وفى العام التالى (١٩٥٣) لفت الروائى اليهودى شاؤول بيلو الأنظار إليه بروايته «مغامرات أوجى مارتش The Adventures of Augie March التى فاز عليها بجائزة الكتاب القومى، وفى عام ١٩٥٥ أصابت رواية هرمان ووك التالية

«مارجورى مورننج ستار» Marjorie Morning Star نجاحا تجاريا يماثل نجاح روايته الباكرة . وفى عام ١٩٥٦ أصدر جيرالد جرين gerald green روايته الذائعة «آخر رجل غاضب» The Last Angry Man التى أعقبتها روايتا «سلامى إلى الله» Re-member Me to God تأليف ميرون س. كوفمان Myron S Kouf-mann ، و«القسر» Compulsion تأليف ماير ليفين Meyer Le-vin الصادرتان عام ١٩٥٧ . ثم جاءت رواية «الخروج» "Exodus" تأليف ليون يوريس Leon Uris عام ١٩٥٨ فطبقت شهرتها الآفاق . وتتناول رواية «الخروج» الهجرة غير القانونية إلى فلسطين وإنشاء دولة اسرائيل . وفى نفس العام حصل الروائى اليهودى المعروف برنارد مالامود على الجائزة القومية للكتاب عن روايته «البرميل السحرى» The Magic Barrel . وقد حصل الروائى فيليب روث فى العام التالى (١٩٥٩) على نفس هذه الجائزة عن روايته «وداعا يا كولمبوس» Goodbye Columbus

ومن الخطأ أن نظن أن التغلغل اليهودى فى الأدب الأمريكى حدث دفعة واحدة فقد جاء بالتدريج فى عقد الأربعينات ليتربع على عرش الخمسينات . فلم يشترك فى المناظرة التى نشرتها مجلة بارتيزان ريفيو فى شهر أغسطس ١٩٤٨ بعنوان «حالة الكتابة

الأمريكية فى عام ١٩٤٨» غير ثلاثة يهود من مجموع المتناظرين البالغ عددهم تسعة . كما أن واحدا فقط من هؤلاء الكتاب اليهود الثلاثة ليسلى فيلدر هو الذى بين وجود العنصر اليهودى فى الأدب الأمريكى الحديث .

وما لبث حجم التغلغل اليهودى وإشارات النقاد إليه أن تعاظم لدرجة أن الملحق الأدبى لجريدة التايمز رصد هذه الظاهرة وخصص لها عام ١٩٥٩ عددا بعنوان «الخيال الأمريكى» اشتمل على مقال بعنوان «جماعة مسموعة الصوت فى الدور اليهودى فى الأدب الأمريكى» وقد ورد فى هذا المقال ما يلى : «منذ نحو عام ١٩٥٠ أصبحت الكتابة اليهودية الأمريكية قوة مسيطرة على الأدب الأمريكى . وأوضح المقال أبرز الكتاب اليهود الذين تركوا أثرا حاسما فى الأدب الأمريكى وهم ليونيل تريلنج والفريد كازين وفيليب راهف وليسلى فيلدر وارفنج هاو فى مجال النقد الأدبى وشاؤول بيلو ومالامود فى مجال الرواية وآرثر ميلر فى مجال الدراما وشوارتز وهوارد نمروف Howerd Nemeroff وستانلى كونيتز Stanley Kunitz . فضلا عن الأثر العميق الذى تركته بصفة عامة مجلة «البارتيزان ريفيو» وأيضا ظهور جيل جديد أصغر سنا الذى تلا الجيل الأول من الكتاب اليهود الكبار.

والجدير بالذكر أن أحدا لم يقف فى سبيل انطلاق الأدب اليهودى الأمريكى أو يضع العراقيل أمام ازدهاره .

ويلقى الروائى اليهودى الأمريكى يورى سوهل Yuri Suhl فى مقاله المنشور فى فترة الأربعينات فى مجلة «الكونجرس الأسبوعى» Congress Weekly بعنوان «لماذا أكتب رواية يهودية ؟» الضوء على التغير الهائل فى موقف الكتاب اليهود من الأدب الأمريكى . يقول سوهل فى هذا الصدد إنه كتب روايته اليهودية من منطلق إيمانه بأن الموضوعات اليهودية أصبحت جزءاً من التيار العام للأدب الأمريكى تماما كما أصبح يهود أمريكا جزءاً من الحياة الأمريكية بوجه عام . ويستطرد سوهل قائلا: إنه عندما عرض روايته التى ألفها عام ١٩٥٠ بعنوان «قدم فى أمريكا» One Foot in America للنشر اكتشف لخيبة أمله أن كثيرا من المحررين والناشرين الأمريكان لا يشاركونه هذا الرأى فهم يصرون على معاملة اليهودى فى الأدب معاملة المواطن من الدرجة الثانية . وأضاف أن أحد الناشرين رفض مخطوطته لأنه سبق أن نشر كتابا عن اليهود ولا يريد أن ينشر كتابا آخر فى نفس هذا الموضوع حتى لا يظن الناس أنه يدير دار نشر يهودية . ومع التسليم باستمرار نوع من النكوص والتردد من جانب بعض

الناشرين الأمريكان عن نشر بعض الكتب اليهودية حتى عام ١٩٥٠ فلابد من الاعتراف بأن معاداة السامية كادت تختفى من الرواية الأمريكية بعد عقد العشرينات من القرن العشرين . وإذا كانت معالجة اليهودى فى الأدب الأمريكى أصبحت مسألة حساسة فى أمريكا قبل عقد الثلاثينات فإنها صارت مسألة بالغة الحساسية مع نمو وازدهار الحركة النازية . وزادت حساسية المساس باليهود فى الأدب الأمريكى تلك الحركات الديماجوجية فى أمريكا الداعية بشكل سافر إلى اضطهاد اليهود . وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية بين قوات المحور وقوات الحلفاء فإن مسألة التعرض ليهود أمريكا بالسوء ازدادت اشتعالاً وحساسية ، وهى حساسية تجاوزت فترة الحرب (١٩٣٩ - ١٩٤٥) إلى ما بعدها . وقد أدى هذا آنذاك إلى تحاشى تصوير شخصية اليهودى فى الأدب بعضا من الوقت .

وانطلقت أصوات يهودية تشكو من خلو الأدب الأمريكى من صورة اليهودى . يقول الكاتب اليهودى بن هشت Ben Hecht فى شكواه من هذا الوضع : «إن أعظم ظاهرة يهـــودية فى العشرين عاما الماضية تكاد تتمثل فى اختفاء اليهودى اختفاء كاملا فى الرواية والمسرح والاذاعة والسينما الأمريكية» ولعل هذا

اتهام مبالغ فيه : كل ما يمكن قوله فى هذا الشأن إن الأثر اليهودى فى الأدب الأمريكى فى الأربعينات لم يكن بعد قد توغل فى أعماق الثقافة الجماهيرية الأمريكية . والصواب يجانب هشت عندما يشكو من اختفاء صورة اليهودى من الأدب الأمريكى فمن الواضح مما أسلفنا أن اليهودى لم يغب قط عن هذا الأدب . كل ما هناك أنه كان ينتظر الدخول فى مرحلة جديدة تتسم بالمزيد من التغلغل والتوغل . صحيح أن القائمين على أمر الثقافة الجماهيرية الأمريكية آنذاك كانوا يتحاشون الخوض فى تصوير اليهود فيما يقدمون من أعمال ولكن هذا الاحجام يرجع إلى عدم رغبتهم فى التعرض لأية خسائر مالية قد تنجم عن خوضهم فى المسائل الحساسة ولا يرجع إلى أية مواقف عدائية ضد اليهود .

والجدير بالذكر أن هنرى بوبكين Henry Popkin نشر عام ١٩٥٢ مقالا موثقا بالأساليب والمستندات تناول فيه احجام المسئولين عن الفنون الشعبية عن الاشارة إلى اليهود فيها . ويلاحظ بوبكين أنه عند تحويل عشرات الروايات والمسرحيات إلى أعمال سينمائية وفنون شعبية فإن القائمين بهذا التحويل يتعمدون إغفال الأسماء اليهودية الواردة فى أصول الأعمال المحولة أو المقتبسة ، واتبعت الكتب الشعبية الرخيصة نفس هذه السياسة

فتم استبعاد الأسماء اليهودية من كثير من روايات العصابات والجريمة . وأيضا تعمد رجال الأعمال عدم لفت النظر إلى تلك المنظمات اليهودية التى كرست نشاطها للدفاع عن اليهود مثل «العصبة المناهضة للتشهير» Anti-Defamation League التى كثيرا ما قامت برفع دعاوى قضائية ضد أى عمل توسمت فيه هجوما على اليهود . فضلا عن اتهام هذا العمل بمعاداة السامية . وفى كثير من الأحيان لم يكن لهذا الاتهام ما يبرره . ولا غرو إذا رأينا الكتابات الأمريكية آنذاك تتحاشى الاشارة إلى اليهود أو تصويرهم فى الاذاعة والسينما والروايات الشعبية الرخيصة .

ومما يدلنا على هذه الحساسية المفرطة فى تناول اليهودى فى الأدب الأمريكى ما سطره آرثر ميلر عام ١٩٤٧ . يقول آرثر ميلر : «أظن أننى نبذت المادة الأدبية المستمدة من حياة اليهودى لأنى خشيت أن أية إشارة بريئة إلى فرد يهودى يرتكب خطأ فرديا قد يزداد التهابا بسبب جو الكراهية المشتعلة ، كما خشيت أن تتحول مشاعر الود التى أحملها لليهود إلى سلاح يستخدم لاضطهادهم .. إنه لا يمكن معالجة موضوع اليهودى فى أية كتابة جيدة فى مثل هذا الجو .. ومن ثم انصرفت عن اليهود كمادة استخدمها فى كتاباتى» ، ومما يذكر فى هذا الشأن أن آرثر ميلر لم يعد إلى

معالجة موضوع اليهودى إلا فى عام ١٩٦٤ عندما كتب مسرحيته «بعد السقوط» After the Fall و«حادثة فى فيتشى» Incident at Vichy وإن كان بعض النقاد قد رأوا إشارات يهودية فى بعض مسرحياته التى لا تعالج الشخصية اليهودية مثل «كلهم أبنائى» All my Sons (١٩٤٧) و«موت بائع متجول» (١٩٤٩) . Death of a Salesmen

ولكن النكوص عن تناول اليهود فى الأدب الأمريكى لم يستغرق سوى سنوات قلائل عاد بعدها هؤلاء اليهود لاحتلال قلب هذا الأدب . ولعل أحد الأسباب فى ذلك يرجع إلى انفجار مشكلة معاداة السامية أمام الرأى العام الأمريكى حتى آرثر ميلر نفسه الذى امتنع آنذاك عن معالجة موضوع اليهود فى أدبه - كما سبق لنا أن أوضحنا - كان قد ألف عام ١٩٤٥ رواية بعنوان «البؤرة» Focus . وتصور هذه الرواية شخصا غير يهودى اسمه لورانس نيومان يميل إلى معاداة السامية . ويضع المؤلف هذا الشخص فى موقف يتعرض فيه إلى الاضطهاد بسبب الاعتقاد الخاطىء بأنه يهودى . ويعمل هذا الشخص مديرا لشئون العاملين فى شركة كرست جهودها لاضطهاد اليهود . غير أن ضعف بصره جعله يستأجر معاونا يهوديا يساعده فى عمله دون ادراك من جانبه لأنه يهودى . وحين تعلم الشركة باستعانته بهذا اليهود

تلومه على ذلك وتصدر إليه التعليمات بلبس نظارات طبية والاستغناء عن خدمات معاونه. غير أن النظارات تضفى عليه منظرا يهوديا خالصا الأمر الذى جعل المحيطين به يشكون أنه يهودى متخف . ويضيق الرجل ذرعا بوظيفته فيستقيل منها ويعامله جميع الناس على أنه يهودى . ويتزوج لورانس نيومان من امرأة تناصب اليهود العداء فتحثه على الانضمام إلى الجبهة المسيحية المعروفة بدفاعها عن الفاشية وعدائها السافر للسامية . ويذهب الرجل وزوجته إلى المصيف ولكن المصطافين يطردونهما منه باعتبار أنهما يهوديان فيجتاح الغضب زوجته التى تعتبره مسئولا عما لحق بهما من مهانة لأنه لا يظهر ضراوة كافية فى عدائه لليهود .. وفى اجتماع يعقده المناهضون لليهود فى مانهاتن يلاحظون أن هذا الرجل لا يضيق بما فيه الكفاية لكلمات المتحدثين الموجهة ضد اليهود ويدخل فى أذهانهم أنه يهودى . ويمعن أعداء السامية فى مضايقته والنكاية به فينثرون القمامة على حشيش منزله . وهكذا يجد لورانس نيومان نفسه فى ذات الموقف الذى كان يعانى منه يهودى يدعى فنكلشتين Finkelstein يملك كشكا على الناصية لبيع الكتب . وفى إحدى الليالى يتكاثر بلطجية الجبهة المسيحية على لورانس نيومان ويسعون إلى الفتك به أمام كشك فنكلشتين فيخرج هذا اليهودى ملوحا بقضيب ويتمكن بذلك

من تفريق المعتدين ، وتنتهى الرواية بتضافر جهود كل من لورانس نيومان الذى كان فيما سبق معاديا لليهود واليهودى فنكلشتين فى مقاومة شرور الجبهة المسيحية وابلاغ البوليس بحادثة اعتداء أعضائها على لورانس نيومان . والجدير بالذكر أن رواية «البؤرة» لآرثر ميلر أسهمت فى زمانها فى مقاومة معاداة السامية التى اشتدت فى الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين ، ولا شك أنه من سخرية الأقدار أن يتحول غير اليهودى لورانس نيومان إلى مدافع نشيط عن اليهود ومقاوم عنيف ضد العداء للسامية .

وقد ظهرت رواية أخرى من تأليف لورا زد هوبسون Laura Z Hobson بعنوان «اتفاقية الجنتلمان» (١٩٤٧) Gentleman's Agreement لعبت دوراً أكبر من رواية «بؤرة» لآرثر ميلر فى التصدى لمعاداة السامية ، وتحولت رواية لورا إلى فيلم سينمائى ناجح أدى إلى إثارة مناقشة واسعة النطاق لمشكلة معاداة السامية المتمثلة فى إبعاد اليهود من السكنى فى بعض مدن ولاية كونيكتيكوت . وتدور قصة الرواية حول صحفى غير يهودى اسمه فيليب تشولر جرين Philip Schuyler Green لا يتحيز لليهود أو ضدهم . وطلب إلى هذا الصحفى كتابة سلسلة من المقالات بعنوان «كنت يهوديا لمدة ثمانية أسابيع» . ونحن نرى فى هذه الرواية ما سبق أن رأيناه فى رواية «البؤرة» لآرثر ميلر وهو سوء

معاملة غير اليهود باعتبار أنه يهودى . ونشاهد أن ردود فعل فيليب تشولو جرين ضد سوء معاملة زملائه فى الصحيفة والنوادى الاجتماعية وأسرته له كيهودى تتسم بالحدة . وتتجلى هذه العداوة عندما يحاول شراء بيت . ويكتشف الرجل أنه تراخى فى حياته الماضية فى مقاومة عداوة السامية إلى حد معيب بسبب شعوره بأنه مهما فعل فلن يتمكن من استئصال العداوة لليهود من النفوس . غير أنه صار الآن يدرك أنه لابد من التخلى عن هذا الموقف السلبى وأنه أصبح لزاما عليه أن يتصدى بكل عزم وقوة لمقاومة العداء ضد اليهود . وتصور لنا هذه الرواية مظاهر اضطهاد اليهود المتعددة وأشكالها المختلفة فضلا عن أنها نجحت فى استثارة غضب القارىء على سوء معاملة بعض الأمريكان لليهود . والرواية لا تكتفى بتصوير ما يتعرض له اليهود من إيذاء بل إنها تصور الضرر الذى يلحقه أعداء السامية بأنفسهم من جراء سوء معاملتهم لليهود .

وبايجاز يمكن القول إن روايتى «البؤرة» لآرثر ميلر و«اتفاقية الجنتلمان» تركتا أثرا بعيد المدى فى جعل القارئ الأمريكى يمقت مظاهر الكراهية التى يحملها المجتمع ضد اليهود كما أن الروايتين شجعتا المجتمع الأمريكى على طرح مشكلة اضطهاد اليهود على بساط البحث والنقاش العام على أوسع نطاق.

وأيضا من الأسباب التى أدت إلى احتلال اليهود لقلب الأدب الأمريكى والثقافة الأمريكية ظهور جيل ثان من الأبناء اليهود من ذوى الطموحات الأدبية والفنية والمالية . هذا الجيل الجديد عقد العزم على التأقلم الكامل مع الثقافة الأمريكية دون أن يثنيه عن ذلك احجام بعض الأمريكان ودور النشر الأمريكية فى الأربعينات وأوائل الخمسينات عن نشر بعض الأعمال اليهودية . واستمر هذا الجيل الثانى من اليهود يثابر حتى تمكن من إزالة كل العراقيل والمقومات التى تعترض طريقه . وقد ساعد على ذلك فى مجال الأدب ظهور مواهب شابة لا ريب فى موهبتها . إلى جانب تلهف كثير من القراء إلى سماع هذه الأصوات الشابة الموهوبة . وما أن ذاعت أعمال هؤلاء الشبان حتى أطمأن أصحاب دور النشر أن نشر أعمالهم غنم لا غرم وأن ما ينفقونه من مال سوف يعود إليهم أضعافا مضاعفة . حتى الأدباء اليهود الجدد الذين لم تحقق مؤلفاتهم الرواج التجارى استطاعوا إقناع القارىء الأمريكى بجدية كتاباتهم .

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها أصيبت أمريكا والعالم بصدمة من جراء الهولوكست النازى أى الابادة الجماعية لليهود عن طريق الغاز والأفران ولهذا شعر الأمريكان بالتعاطف

مع اليهـود الذين يناضلون من أجل إقامـة دولة اسـرائيل . ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية أصبح الأمريكان ينظرون إلى اليهود كأفراد لهم مشاعر وأحاسيس وليس كأنماط لا تتغير أو تتبدل كما كانت نظرتهم إليهم فى الماضى . فضـلا عن أن اشتـراك مـلايين الأمـريكان فى الحـرب العـالمية الثـانية أعطاهم فـرصـة للاحـتكاك المباشر مع اليهود والتعرف عليهم كبشر وليس كأنماط .

وتلقى الشـهـادة التى أدلى بها عام ١٩٦٥ عـالم الاجتـمـاع الأمـريكى دينيس هـ . رونج Dennis H. Wrong الضـوء على التغيـر الكبيـر الذى طرأ على موقف الأمريكان من اليـهود . فقد حدثنا هذا العالم عن الاضمحلال اللافت للنظر الذى ساد انتشار المعتقدات والمواقف المعادية لليهود فى الولايات المتحدة . حتى الدارسين الذين شهدوا بأن ظاهرة العداء للسامية لم تختف تماما من الساحة الأمريكية اعترفوا بأن هذا العداء لم يعد له أثر يذكر فى السلوك الأمريكى . ومما ساعد على اضمحلال معاداة السامية أن مـلايين الأمـريكان من قدامى المحـاربين ضد النازية عادوا إلى وطنهم بعد انتهاء الحرب العالمية الثـانية ليستكملوا دراستهم فى الكليات ودور العلم ، الأمر الذى اضطر هذه الدور إلى الاستعانة فى مـجال التدريس بآلاف اليهود لسد النقص الموجود فى أعضاء

هيئات التدريس . وأيضا من العوامل التى ساعدت على القضاء على مشاعر معاداة السامية بين الأمريكان أن المجتمع الأمريكى بعد الحرب العالمية الثانية حقق ازدهارا لم يسبق له نظير . ومن ثم لم تعد هناك حاجة لاستخدام اليهود ككباش فداء تتحمل وزر أية ضائقة اقتصادية قد تلم به . والجدير بالذكر أن المجتمع الأمريكى فى تلك الفترة أظهر قدرا متزايدا من التسامح العنصرى مع اليهود وغير اليهود على السواء . صحيح أن الأمريكان فى تلك الفترة أوصدوا الباب أمام اليهود للحيلولة دون شغلهم بعض الوظائف الاجتماعية المرموقة . ولكن الوضع كان مختلفا تماما فى مجال الثقافة والأدب الذى فتح بابه على مصراعيه أمام السيل المنهمر من المواهب الأدبية اليهودية البازغة.

ورغم بعض المضايقات التى قابلها يهود أمريكا فى الأربعينات والخمسينات فإن هذا لم يحل دون ظهور بعض القصص والروايات التى تصور الشخصية اليهودية وتعتبر هورتنس كاليشر Hortense Calisher من أبرز كاتبات القصة القصيرة اليهوديات اللائى استقين مادتهن الروائية من جذورها اليهودية كما أن قصتها تنم بوضوح عن وعيها الشديد بالعداء ضد السامية . وتنحدر هذه الكاتبة المهاجرة من شرق أوربا من والدين يهوديين

ألمانيين . وتبين القصص التى ألقتها فى الأربعينات والخمسينات أدراكها لما يحمله الناس من عداوة لليهود غير أن هذه الكاتبة لم تحاول خداع نفسها فتغطى على ما يشوب اليهود من عيوب .

وفى سلسلة قصصية من تأليفها تصور هذه الكاتبة تطور شخصية يهودية لفتاة اسمها هستر الكين Hester Elkin من سن العاشرة حتى بلوغ سن الزواج وفى عام ١٩٥٠ نشرت كاليشر قصة قصيرة بعنوان «الأصل القديم» The Old Stock عالجت فيها قصة إمرأة يهودية تكره نفسها . وأثارت هذه القصة حنق عدد غفير من القراء اليهود الذين أرسلوا خطابات احتجاج على قصتها ونشروا تعليقات عليها فى الصحف . وتذكر كاليشر فى سيرة حياتها التى كتبتها عام ١٩٧٤ بعنوان «نفسها» Her-self أن السيل العارم من الاحتجاج على قصتها يرجع إلى جسارتها فى التلميح بأن اليهود ليسوا كاملين لا تشوبهم شائبة . وأثارت أيضا شخصية السيدة الكينسى المشار إليها غضب كثير من القراء اليهود بسبب ما أظهرته من عداء نحو بنى جلدتها من اليهود فأرسلوا الخطابات التى تحتج على تلك اليهودية التى تحمل هذه المشاعر المعادية لأقرانها . وتتناول المؤلفة هورتنس كاليشر موضوع العداء للسامية فى بعض قصصها الأخرى مثل «العقيدان» Two Colonels و«الولد الأجوف» The Hollow .

كما أن قصتها «واحد من المختارين» One of theCho-Boy sen تعالج العداء للسامية الموجود فى الكليات ومعاهد العلم .

وبعد ذلك توقفت كاليشر عن الكتابة عن اليهود وما يتعرضون له من خسف واضطهاد . تقول هذه المؤلفة فى هذا الصدد أنها لم تستطع أن تستأنف الكتابة عن اليهود حتى قامت بتأليف روايتها «أهل نيويورك» The New Yorkers عام ١٩٦٤ . وإذا كانت قصص كاليشر الباكرة تنم عن أزورارها عن بنى جلدتها فإنها فى هذه الرواية الأخيرة تقبل يهوديتهم عن رضا وبروح سمحة .

غير أن الرواية الأمريكية اليهودية فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية التى تعبر عن التأقلم مع المجتمع الأمريكى والثقافة الأمريكية أخذت تذيع وتنتشر وتجد لها قاعدة شعبية عريضة من القراء . وإحدى هذه الروايات الذائعة التى تعالج تأقلم اليهود مع المجتمع الأمريكى من تأليف سام روس Sam Ross عام ١٩٥٠ وتحمل عنوان «الأفاريز الخالية» The Sidewalks Are Free وتدور هذه الرواية حول طفولة هيروشيف مالوف Hershev Malov فى الفترة بين عامى ١٩١٠ و١٩٢٣ وما اعترى صلات اليهود ببعضهم البعض من تفكك وضعف . فقد حدث تطور هائل فى موقف اليهود من تراثهم الراسخ وتقاليدهم

العتيدة عبر آلاف السنين . وظهر جيل منهم لا يجد أدنى غضاضة فى إلقاء هذه التقاليد فى مهب الريح . وتدور رواية «الأفاريز الخالية» حول الصراع بين الجيل القديم المتمسك بالتقاليد والجيل الجديد الذى ينبذها . ورغم أن هذه الرواية تحدثنا عن تأقلم اليهود مع المجتمع الأمريكى فإنها تحذر قراءها من الجوانب السلبية فى عملية التأقلم هذه .

ويمثل اتجاه اليهود إلى الزواج من غير اليهوديات معلما بارزا فى الروايات اليهودية التى تعالج موضوع التأقلم مع المجتمع الأمريكى . وهذا ما نراه فى رواية «الحجرة الموحشة» (١٩٥٠) The Lindy Room التى ألفتها بياتريس ليفن Beatrice Levin التى تقع أحداثها فى فترة الحرب العالمية الثانية وما بعدها . وتختلف هذه الرواية عما سبقها من روايات فى أن الخصيصة اليهودية أصبحت الآن ترتكز على الممارسات والعادات التقليدية وليس على الدين اليهودى كما كان الحال فى الماضى . ورغم أن بطل هذه الرواية يتزوج من امرأة فرنسية فإنه بعد وفاتها يعود إلى دفء الأحضان اليهودية فيتزوج فى المرة الثانية من يهودية مثله . والجدير بالذكر أن اليهودى التقليدى يرفض رفضا باتا فكرة الزواج من اليهودية فى حين أن اليهودى الجديد لا يجد أية غضاضة فى ذلك .

وتدور الرواية التى ألـفـها سـتيفن لونجسـتريت Stephen Longstreet عـام ١٩٥١ بعنوان عـائلة بيـدلوك حـول نفس مـوضـوع التـأقلم اليـهودى مع المجـتمع الأمـريكى . وهـذا المؤلف المنحـدر من جذور يهودية ليس روائيا فـحسب بل رسـاما وكـاتبا مسرحيا كذلك . وتتبع هذه الرواية حكاية عائلة يهودية منذ نزوحها إلي الولايات المتحـدة فى القرن السـابع عشـر حـتى الفـتـرة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية . ويتخذ التأقلم اليهـودى مع الثقافـة الأمـريكـيـة عـدة أشكال منها زواج اليهودى بغيـر اليـهـودية أو زواج اليهودية بغير اليهودى ، وتخلى اليهودى المؤقت عن يهوديته . وبعـد انقضـاء خـمسـة عشـر عامـا على صـدور هذه الرواية نشـر لونجـسـتـريت عـام ١٩٦٦ رواية أخـرى بعنوان «بيـدلوك وأولاده» Pedlock & Sons . وقـد أصـابت هاتان الروايتـان رواجـا كبيرا .

ولعل أضـخم عمل روائى يهودى يعالج مشكلة تأقلم اليـهود مع المجـتــمع الأمــريكى هـو ذلك المسلسل الروائى المكون من تسـع روايات التى ألفـها تشارلس أنجوف Charles Angoff . ويتتبع هذا المسلسل الروائى حياة عائلة بولانسكى الوافدة من شرق أوربا حتى هـجرتها إلى الولايات المتحدة ثم تأقلم الجيل الثانى مع الحياة

الأمريكية . ومن الواضح أن هذا المسلسل الروائي يتضمن الكثير من سيرة حياة مؤلفه . ويسجل الجزء الأول من هذا المسلسل - وهو بعنوان «رحلة إلى الفجر» (١٩٥١) - اضطهاد هذه العائلة اليهودية أثناء إقامتها في روسيا القيصرية ثم هجرتها إلي بوسطن بأمريكا في نهاية الأمر . ويلعب سليل العائلة دافيد بولانسكي دورا بارزا وحيويا في الجيل الثاني من هذه العائلة اليهودية . فالجزء الثاني من المسلسل الذي يحمل عنوان «شمس الظهيرة» (١٩٥٥) . The Sun at Noon يدور حول تلقيه العلم في جامعة هارفارد وشعوره بالاغتراب عن عالم أبيه اليهودي . وفي الأجزاء التالية يذهب دافيد إلى مدينة نيويورك ليصبح صحفيا وكاتبا . وهناك تتسع دائرة معارفه وتجاربه . ويدور الجزء السادس في هذا المسلسل الروائي وهو بعنوان «عاصفة الصيف» (١٩٦٣) Summer Storm حول مشكلة زواج اليهودي بغير اليهودية . وتتضمن هذه الروايات عن حياة اليهود الأمريكان حنينا واشتياقا إلى التقاليد اليهودية يندر أن نجد نظيرا لها في الروايات اليهودية في الأدب الأمريكي .

وتتمثل إحدى مظاهر التأقلم اليهودي الثقافي مع المجتمع الأمريكي في تخلي المهاجرين الثوار والراديكاليين في روسيا

القيصرية عن ثوريتهم وراديكاليتهم وذلك بعد تحقيق النجاح المادى المنشود فى مجتمعهم الأمريكى الجديد .

وهذا هو الموضوع الذى تدور حوله رواية «نهاية الموت» An End to Dying التى ألفها سام أستراشان Sam Astrachan عام ١٩٥٦ فنحن نقرأ فى هذه الرواية عن أن عائلة كوجان المهاجرة من روسيا إلى أمريكا تضم عددا من الثوار . ولكن ثوريتهم تزول عنهم فى أرض المهجر . وخاصة بعد أن يحققوا ما يبغون من ثراء . تبدأ أحداث القصة بعائلة يعقوب كوجان الذى يتمتع بثراء عظيم فى مدينة بطرسبرج . ويتحاشى جميع أفراد هذه العائلة استخدام اللغة اليهودية المستخدمة فى روسيا وشرق أوربا المعروفة باليديش ويتحدثون باللغات الألمانية والفرنسية والروسية . وتندلع الثورة البلشفية فتصادر أموال العائلة وتقتل ربها الأمر الذى يدفعها إلي الهجرة إلي الولايات المتحدة . وهناك يلتحق ابن هذه الأسرة واسمه لارى بالعمل في مصانع عمه . فيضيق صدره بسوء ظروف العمل وضآلة الأجر الذى يجعل لارى يعقد المقارنات بين ظلم عمه لعماله وظلم القيصر للشعب الروسى . ولكن تمرده ما يلبث أن يزايله عندما يعينه عمه مديرا للمصنع ويصبح ذا دخل مرتفع .

وبعد الحرب العالمية الثانية ظهر الأديب اليهودى الموهوب هوبرت جولد الذى تناول الشخصيات اليهودية فى أعماله القصصية ... وتدور الكثير من قصصه حول اليهود فى سن مراهقتهم ورجولتهم الباكرة فى ضاحية كليفلاند فى ليك وود . ونلاحظ فى الجزء الأول من رواية «لهذا كن جسورا» (١٩٦٠) Therefore Be Bold تتوالى الشخصية اليهودية ولكن هذه الشخصية تبرز عندما يقع الشاب اليهودى دان بيرمان فى فترة الثلاثينات فى غرام فتاة يهودية اسمها ايفا ماسترز Eva Masters التى يتصف والدها بالعداء الشديد للسامية إلي جانب عدائه للزنوج . ويكره هذا الرجل الشاب اليهودى الذى يتقدم للزواج من ابنته فهو يخاطبه به قائلا : «إنك تفسد الأرض وتفسد حضارتنا وتجلب الاهتمام بالتجارة والمال إلى الغرب» . ولكن ابنته تتحداه وتستمر فى علاقتها العاطفية مع اليهودى دان .

وفى وقت لاحق نشر جولد عام ١٩٦٦ رواية بعنوان «الآباء» Fathers استمدها من حياة والده الذى هاجر إلى الولايات المتحدة فى مطلع القرن العشرين عندما كان ابنه لا يزيد عن الثانية عشرة . ويستأجر أبوه عددا من البلطجية لضرب تاجر منافس له لأنه وجه إليه إهانة بسبب يهوديته . وتصور الرواية

مستقبل الابن عندما يكبر ويلتحق بالجيش فى خلال الحرب العالمية الثانية وما لقيه من عداء للسامية وتصديه لهذا العداء . وبمضى عقد الستينات توالى نشر الروايات اليهودية التى تعالج التأقلم اليهودى مع الثقافة الأمريكية مثل رواية «أفضل ما فى الحياة » The Best of Life التى نشرتها باربارا بروبست سولرن Barbara Probst Soloron عام ١٩٦٠ ورواية «لا أحد يسدى إليك جميلا» (١٩٦٦) Nobody Does You Any Favors ورواية «كان لهرمان ابنتان» (١٩٦٨) Herman Had Two Daughters تأليف زيلدا بوبكين Zelda Popkin .

وبتقدم الخمسينات والستينات بزغت ظاهرة جديدة فى التصدى للعداء للسامية فبعد أن كانت مقصورة على الكتّاب اليهود فقط أصبح الكتّاب الأمريكان أنفسهم يشاركونهم فى التصدى لها . ومن بين هؤلاء الكتّاب الأمريكان سلون ويلسون مؤلف رواية «الرجل ذو البذلة الرمادية» (١٩٥٥) The man in. the Grey Flannel Suit وهذه الرواية مجرد نموذج لنوعية الروايات التى أفرزها عقد الخمسينات فى أمريكا . ونجحت هذه الرواية فى أن تجسد فى قالب روائى التحليلات الاجتماعية التى قام بها عدد من علماء الاجتماع الأمريكان . وتتميز هذه الروايات

المناهضة للعداء للسامية بحرصها على رسم تلك الشخصيات التى نذرت نفسها لمقاومة الكراهية ضد اليهود . وكما أسلفنا لم يكن تصوير هذه الشخصيات مقتصرا على الكُتاب اليهود وحدهم بل اشتمل الكتاب الأمريكان أيضا . ومن الشخصيات الروائية التى تصدت لمقاومة معاداة السامية شخصية الدكتور أبلون فى رواية «آخر رجل غاضب» و«القاضى شاؤول برنشتين» فى رواية «الرجل ذو البذلة الرمادية» التى طبقت شهرتها الآفاق وصارت من أكثر الكتب مبيعا وانتشارا .

وإذا كانت الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية قد شاهدت ضمورا فى مشاعر العداء لليهود - على عكس الفترة السابقة عليها - فإن الصواب يجانبنا إذا ظننا أن العداء ضد اليهود قد اختفت تماما من أمريكا فى عقد الخمسينات . فمن الثابت أن بعض أصداء معاداة السامية ظلت تتردد فى هذا العقد مثلما نرى فى أدب الكاتب جيمس جولدكوزنس James Gould Cozzens والكاتبة كاترين آن بورتر Katherine Anne Porter ولكنها مجرد استثناء من القاعدة فالسواد الأعظم فى الأدب الأمريكي فى الخمسينات نذر نفسه لمقاومة معاداة اليهود . فضلا عن أن هذين الكاتبين المعاديين للسامية ينتميان فى واقع الأمر

إلى جيـل أقـدم، فكـوزنس من مواليد عام ١٩٠٢ كما أن بورتر من مواليد عام ١٨٩٠ . وفى الرواية التى ألفها كوزنس عام ١٩٥٧ بعنوان «الحب المسيطر» Love Possassed تتردد فى أسماع القارئ لها أصداء تذكرنا بشخصية شيلوك ذلك اليهودى المقيت التى صورها شكسبير فى مسرحية «تاجر البندقية» ، ولكن معاداة السـامية عند الكاتب كوزنس ليسـت واضحة إذ أنها تظـهر أحيانا فى صـورة مقنعة قـد تغـيب عن انتبـاه القارئ غير اليقظ مثلما هو الحال فى روايتـه «حـرس الشــرف» Guard of Honor . غير أن ضيق هذا المؤلف باليهود لا يخفى على القارئ لروايتيه «الحب المسيطر» و«العادل والظـالم» The Just and Unjust . ولكن امـتناعـه عن الهجـوم على اليـهود فى بعض رواياته لا ينبـغى أن يجعلنا نعتقد أن جميع رواياته تخلو من التحيز ضد اليهود . وعلى أية حـال لم يستطع كوزنس إخـفاء عدائه ضد اليـهود والأجـانب والكاثوليك والايرلنديين .

وفى عام ١٩٦٢ ألفت الروائية الأمريكية كاترين آن بورتر رواية بعنوان «سـفينة المغفـلين» Ship of Fools . وفى الظاهر تنم هذه الرواية عن مناهضـة النـازية ولكنـهـا فى واقع الأمـر تنم عن التشـاؤم من الجنس البـشرى بأسره وليس من النازيين وحدهم .

والرواية تفتقر إلى الشخصيات المحببة إلى النفس وتروى لنا الرواية قصة يهودى اسمه جوليوس لونيثال يعود على ظهر سفينة تقله من أمريكا الجنوبية إلى مدينة ديزوبولف الألمانية فى أوائل الثلاثينات أى فى أيام انتشار المذهب النازى . ويخشى هذا الرجل على نفسه من أن يكون اليهودي الوحيد على ظهر الباخرة . ويسافر مع اليهودى فى نفس المقصورة رجل ألمانى كريه يتعمد تجاهله ويعامله باحتقار . وأيضا نرى على ظهر الباخرة مسافرا ألمانيا آخر يعمل فى حقول النفط فى المكسيك فى طريق عودته إلى ألمانيا لإحضار زوجته اليهودية إلى المكسيك . ويفاخر هذا الألمانى بأن زوجته اليهودية صارت ألمانية بحكم الزواج منه وأن الدم الذى يجرى فى عروق أبنائه دم ألمانى نقى وليس دما يهوديا فاسدا . والجدير بالذكر أن المؤلفة سافرت إلى ألمانيا عام ١٩٣١ حيث تعرفت بالنازى هرمان جورنج وأصبحت صديقته . ويذكر أن جورنج عبر لها عن شدة ارتياحه لاضطهاد هتلر لليهود . ويتضح لنا من حديث دار بين كاترين أن بورتر وجورنج أنها كانت فى قرارة نفسها راضية عن سوء معاملة النازيين لليهود وأن اعتراضها على هذه المعاملة يرجع إلى أن انتهاجها سوف يعود بالضرر على ألمانيا نفسها . ويمكن للمرء أن يستيقن من عداوة

هذه الروائية للسامية مما ورد في سيرة حياتها ، ومما كتبته بعنوان «نقد عائلة كلاينز» Criticism of the Kleins وهي عائلة من المراسلين اليهود العاملين في صحيفة شيكاجو تريبيون . ويبدو أن معاداة كاترين آن بورتر للسامية لم يكن بالأمر الذي يغيب عن أذهان كثير من النقاد مثل تيودور سولوتاروف وجوزيفين هربست Josephine Herbst وسبيل بيدفورد Sybille Bedford . ومما يؤكد احتقار كاترين آن بورتر لليهود أنها كتبت عام ١٩٦٢ في نسخة من كتاب «صورة يهودي» حصلت عليه وهو من تأليف ألبرت ميمي Albert Memmi «كل إنسان فيما عدا اليهود يعلم أن اليهود ليسوا شعب الله المختار ولكنهم جماعة من السخفاء والمحتالين والأدعياء وصناع الضجيج» . وليس أدل من معاداتها للسامية من أنها نشرت في الصحف عام ١٩٥٨ رأيا مفاده أن المحكمة الأمريكية العليا تصرفت بإستهتار عندما حظرت عام ١٩٥٤ عدم اختلاط السود بالبيض . وتعلق بورتر على هذا بقولها إن الأقليات التي تدوسها الأقدام تنظم نفسها في جمعيات متآمرة صغيرة لإدارة شئون البلاد لدرجة أن الأمريكان أنفسهم سوف يصبحون الأغلبية التي تدوسها الأقدام إذا لم تتنبه إلى ما يحدق بها من أخطار .

ولكن نعود ونؤكد أن هذا العداء السافر ليهود أمريكا كان مجرد استثناء فالقاعدة العريضة من الكتّاب الأمريكان أظهرت تعاطفا عظيما معهم .

وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية باندحار الفاشية لم يفطن هذا كما كان متوقعا إلى شيوع التفاؤل المستبشر بالخير وازدهار النظرة المؤمنة بالإنسان . بالعكس ران الحزن على نفوس الناس فآثروا التقوقع فى عالمهم الخاص وتصاعدت النزعة إلى التربح والخلاص على الصعيد الفردى . وازدادت الأمور سوءا وتفاقما بسبب الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفيتى السابق ، وظهر فى كلا البلدين من يستغل هستريا الرعب والخوف إلى أقصى حد ممكن وفرض التماثل الفكرى والثقافى على المجتمع الأمريكي . يقول ارفنج هاو عام ١٩٥٢ إن المشاعر السائدة بين الأمريكان آنذاك كانت خليطا من «الحيرة والخوف والتشكك والضياع والاضطراب واليأس . لقد اتسمت الخمسينات فى أمريكا بعدم الاكتراث بشئون المجتمع ومجريات الأمور . وينعكس هذا على عدد من الأعمال الروائية مثل «الجمهور الموحش» The Lonely crowd (١٩٥٠) تأليف دافيد رايزمان David Riesman و«الرجل التنظيمى» (١٩٥٦) The Orgaization Man

تأليف وليم هوايت William whyte و«الياقة البيضاء» (١٩٥١) White Collar تأليف س . رايت ميلز C .Wright Mills وجميع هذه الأعمال تصور وتحلل الإحساس الأمريكى المعاصر بالاغتراب. وهكذا يتضح لنا بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية أن عدم المبالاة السياسية والاجتماعية سيطر على المجتمع الأمريكى فى عقد الخمسينات . مما زاد من اتباع أسلوب اللامبالاة السياسية فى المجتمع الأمريكي حينذاك ما شعر به المثقفون الأمريكان من خيبة أمل من جراء فشل التجربة الاشتراكية السوفيتية الأمر الذى جعل الأمريكيين يكفرون بالحلول الجماعية وبالمؤسسات العامة . وتلقى رواية جيرالد جرين «آخر رجل غاضب» (١٩٥٦) الضوء على ذلك . فهى تدور حول طبيب شريف وطيب القلب فى منطقة بروكلين اسمه الدكتور سام أبلمان نبذ نبذاً كاملا الإيمان بجدوى العمل السياسى واستبشع كل مظاهر الخداع التى أحاطت به سواء جاء هذا الخداع من الأفراد أو المؤسسات . وبسبب سخطه على فساد الحياة العامة الأمريكية اختار هذا الطبيب أن يعيش كفرد فى بيئته اليهودية عيشة الشرفاء المخلصين نادراً نفسه لمعالجة مرضاه الفقراء والشرفاء من حوله . ويلغ إعجاب مخرج تليفزيونى بأمانته وإخلاصه حدا جعله يرغب فى إجراء حديث تليفزيونى معه بعنوان «آخر رجل

غاضب» وتصور رواية «من البرج المظلم» From The dark Tower التى نشرها ارنست باويل Ernest Pawel عام ١٩٥٧ تصويرا اجتماعيا صادقا حياة الضواحى التى يسكنها يهود أمريكا فى عقد الخمسينات . وتجسد هذه الرواية روح الخمسينات الأمريكية المتمثلة فى انعدام الثقة بالعمل الجماعى والحلول الجماعية وأيضا فى خيبة أملهم أثناء فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، و فى الأفكار الثورية والراديكالية كما أنها تتمثل فى استمساكهم بأهمية العمل الفردى والصدق الشخصى . والجدير بالذكر أن هذه الرواية التى تعالج حياة اليهود فى الضواحى تتضمن عددا من الموضوعات الشائعة فى الأدب الأمريكى فى الخمسينات وهى عدم الاكتراث بما يحدث فى ميدان السياسة والاجتماع والجنوح نحو التماثل الفكرى والثقافى ووصف جو المكارثية الذى يشجع مثل هذا التماثل فى الأفكار الثورية والراديكالية إلى جانب التمييز ضد اليهود فى التعيين فى الوظائف التنفيذية العليا . وتروى لنا هذه الرواية قصة رجل يدعى أباروجوف كان اليهودى الوحيد العامل في وظيفة إدارية بشركة تأمين اسمها شركة البرج للتأمين . وهو يعتبر نفسه يهوديا ليس بمعنى أنه يدين بالديانة اليهودية ولكن بمعنى أنه يشعر بغربته عن المجتمع الأمريكى الذي يضطهده

ويتجاهله فى الترقيات فعندما ينتحر صديقه ورئيسه فى العمل كان من المفترض أن يحل محله . ولكن الشركة تتخطاه وتعين رئيسا غيره . وبالرغم من هذا التمييز فى المعاملة فإن سكان الضواحى الأمريكية فى فترة الخمسينات ما أنفكوا يزهون بأنهم لا يعرفون التفرقة العنصرية أو التمييز فى المعاملة بين اليهود وغير اليهود . ولكن مثل هذا الزعم لا يمنع الكاثوليك والبروتستانت واليهود والسود من الانكفاء على ذواتهم وعدم الاختلاط بالبعثات الاجتماعية المخالفة لهم . ويخرج اليهودى أباروجوف عن تماثله وتوائمه مع المجتمع الامريكى ويجأر بالشكوى من أعمال البلطجة والضغط والكذب التى يتعرض لها . غير أن مجتمع قريته يضيق بخروجه عن المواءمة فيلحق به بعض الأذى فى العمل كما تتعرض زوجته للمضايقات . ويخرج ابنه عن طوعه ويقف فى صف المجتمع ضده . ويتضايق الحبر اليهودى فى القرية من موقفه ويخشى أن يعود هذا الموقف بالأذى على كل أبناء الضاحية من الطائفة اليهودية وأن يفسد علاقة اليهود ببقية الطوائف فيعرض على هذا اليهودى المتذمر مبلغ خمسين ألف دولار مقابل الانتقال إلى مدينة أخرى ويقبل أباروجوف هذا العرض ويذهب للعمل والعيش فى مكان آخر حيث يستطيع تأكيد ذاته والعثور على نفسه على حد قوله .

ونحن نطالع أيضا فى الأدب القصصى الأمريكى الذى يعالج يهود أمريكا نغمة شديدة الفردية والتعقيد معا كما هو الحال فى القصص التى ألفتها جريس فالى Grase Faley المعروفة بدفاعها النشط عن السلام مثل «مزعجات الإنسان الصغيرة» (١٩٥٩) The Little Dusturbances of Man ثم «تغيرات هائلة فى الدقيقة الأخيرة» (١٩٧٤) at Enormous Changes at ke the Last Minute، ويتميز أسلوب جميع هذا القصص بالحداثة والقصد والاحكام وبالتغيرات المفاجئة في المعنى ويعنى كثير منها بتصوير الجوانب الحلوة والمرة فى حياة اليهود القومية . ومن ثم فهى تجمع بين الواقعية والتعاطف الحساس مع أخطاء البشر وضعفهم أكثر من اهتمامه بتصوير اليهود ومشاكلهم . وبعد انقضاء أحد عشر عاما نشرت جريس فالى مجموعة قصصية أخرى بعنوان «فيما بعد فى نفس اليوم» (١٩٨٥) عبرت فيها عن خيبة أملها من ثقافة الستينات . وتصور هذه المجموعة القصصية الأخيرة عددا كبيرا من الشخصيات اليهودية وهى تتحرك فى بيئتها اليهودية .

ويكشف أدب كل من ج. د. سالنجر J . D. Salinger وهرمان ووك Herman Wouk عما بين هذين الروائيين من

تنـاقض ففى حين رفض سالنجر - الذى ينحدر من أب يهـودى وأم أيرلنـدية - القيم السائدة فى المجتمع الأمريكى احـتضن هرمـان ووك هـذه القـيم ، ورغم أن سـالنجـر نصف يهـودى فـإن قصـصه تخـلو من الغالب الأعم من الشخصيات اليـهودية . ولكن هذا لا يمنعـه من أن يصور فـى إحدى قصصـه طفلا يهوديا فى الرابعة من العمر اسمه ليوفيك يشير ببراءة الأطفال إلى مظاهر العداء للسامية الموجودة فى المجتمع الأمريكى . وهو عداء لا يتمثل فى هذه القصـة فى الكلمـات ولكنه يتمـثل فى النبـرة المسـتخدمـة للنطق بهذه الكلمات . وينبهنا بعض النقاد إلي خلو رواية سالنجر المعروفة التى نشرها عـام ١٩٥١ بعنوان «المراهق المتمـرد» The Catcher in the Rye من كل أثر يهـودى . ويرى مـثل هؤلاء النقـاد أن الرواية تمثـل جـيل الشـبـاب الأمـريكي كله فى فـتـرة أوائل الخمسينات (وليس الشباب اليـهودى وحـده) الذى اشمأز من ضـحالة المجتمع الأمريكى وسـطحيته فـلا غرو إذا رأينا هذا الشبـاب المتقزز ينأى بنفسه عن الاهتمـامات الاجتـمـاعية وينكفئ على نفسه وعلى القيم الفردية والحياة الخاصة مثلما فعل المراهق هولدن فى هذه الرواية . ولكن هذا التمرد لا يمنع وجود قسم آخر من الشبـاب الأمريكى يسـاير الحيـاة المـادية والتجـارية القـائمة

على البيع والشراء . ولكن حتى هذا الشباب المساير للحياة الأمريكية أظهر عزوفاً عن الحياة العامة وتشبثا بالحياة الفردية والخاصة . وهكذا اقترب كلا الصنفين من الشباب فى إيثار الحياة الفردية الخاصة ونبذ حياة المجتمع بسبب احساسهما بأنهما لا حول لهما ولا قوة إزاء سلطة الدولة المركزية الطاغية .

وإذا كانت رواية سالنجر «المراهق المتمرد» أصدق تمثيل للتمرد على نفاق المجتمع الأمريكي وزيفه فإن رواية «مارجورى مورننجستار» Marjorie Morningstar (١٩٥٥) تأليف هيرمان ووك تمثل قبوله والتعايش معه . ولعلنا نذكر أن هذه ليست الرواية الوحيدة التى ألفها هيرمان ووك فى هذا الشأن فقد سبق أن ألف رواية تدور حول تقبل القيم الاجتماعية المادية السائدة بعنوان «تمرد كين» لقيت نجاحا تجاريا عظيما . وأيضا حققت روايته الأخرى «مارجورى» نجاحا تجاريا كبيراً كرواية وعند تحويلها إلى فيلم . ولكن هذه الرواية تتجاهل بعض الحقائق الجوهرية الخاصة بمعاناة اليهود ومعاداة السامية التى ازدهرت آنذاك . فأحداث الرواية تدور حول عقد الثلاثينات الذى شاهد ذروة الكساد وهو الوقت الذى ازدهرت فيه عادات اليهود وتحملهم وزر ما أحاق بالعالم آنذاك من كوارث ونكبات . ويتجاهل المؤلف

تصوير أثر حقـائق الثلاثينات الاقتصـادية المؤلمة فى حياة اليـهود . ورغم ذلك فإنه يظهر تعاطفا على الديانة اليهودية وما يصاحبها من شعائر وطقوس تشعر المرء بأنه ليس غريبا فى هذا العالم كما تشعــره بالدفء والأمــان . وأيضــا تذهب مــارجـورى - وهى الشخصية المحورية فى هذه الرواية - إلى المعبد اليهـودى بانتظام كى تصلى فيه كما أنها تلعب دورا نشطا فى المؤسســات اليـهودية الموجودة فى مدينتها .

وفى عــام ١٩٥٨ ألف الروائى اليـهـودى ليـون يوريس Leon Uris رواية بالغة الأهمية من الناحيتين السياسية والاجتماعية رغم أنها محدودة فى قيمتها الفنية . وتحمل هذه الرواية عنوان «الخروج» .. التى سبق الإشارة إليـهـا . ونجحت هذه الرواية فى استغلال بشاعة الهولوكست النازى أى الإبادة الجماعية لليهود إلى أقصى حد ممكن . كما أن أهميتها السـياسية ترجـع إلى أنها تشرح ظروف نشأة إسرائيل . وتعالج الرواية كفاح اليهود من أجل إقامة دولة لهم كنتيجة لما تعرض إليه اليهود من اضطهاد عبر التاريخ وبخاصة على أيدى النازيين . وتبدأ الرواية بوصف رحلة اليـهود الهاربين من النازية ونزوحـهم إلى فلسطين بطريقـة غير مشروعة فوق ظهر الباخرة «الخروج» . ويعيش هؤلاء المهاجرون

فى معسكر فى جزيرة قبرص تمهيدا لنزوحهم إلى فلسطين . ويحدثنا المؤلف قائلا إن يهود فلسطين أنشأوا أول مستعمرة حديثة فيها نحو عام ١٨٨٠ . وأيضا تتبع الرواية حياة عدد من العائلات الرائدة التى استوطنت فى فلسطين . وكذلك الحرب التى اندلعت بين العرب والاسرائيليين عام ١٩٤٨ . ورغم ما يشوب هذه الرواية من عيوب فنية وعدم تحريها وجه الدقة التاريخية فى معالجة ثورة حارات اليهود فى وارسو ببولندا فقد تحولت إلى فيلم سينمائى ناجح للغاية . وتذكر الرواية الأجيال اليهودية الشابة بالخسف والاضطهاد اللذين تعرض لهما جيل الآباء والأجداد على أيدى النازيين. والرواية لا تخفى تمجيدها لليهود والجيش الإسرائيلى وتحقر العرب والتهوين من شأنهم . واليهود فى نظر المؤلف أبطال صناديد فوق مستوى البشر فى حين أن العرب في رأيه دون مستوى البشر . ولكن نغمة الرواية التى تجعل من اليهود شعبا من الأبطال غير العاديين لم ترق فى عيون بعض اليهود الذين ذهبوا إلى إنه يحق لليهود أن يفخروا بأن بناة إسرائيل أناس عاديون . وأضاف هؤلاء اليهود المنتقدون أنه ليس من مصلحة اليهود إثارة الغرور والشوفينية بل أن مصلحتهم تقتضى إبراز قدرة اليهودى العادى على الإنجاز.

والمؤلف يوريس لا يكف عن تحقير العرب إلى أبعد الحدود فاليهودى أنظف وأرقى منه . والعربى قذر على الدوام ويعيش فى قرى تفوح منها الروائح النتنة وهو أبدا عالة على منجزات الحضارات الأخرى . فضلا عن أن فرائصهم ترتعد هلعا من انتقام اليهود منهم . والعربى يساق بالسوط كما تساق السوائم وهو يفوق سائر أجناس الأرض فى حقارته . غير أن المؤلف يعبر عن تعاطفه مع بعض العرب المتعاونين مع اليهود والذين يدركون أن اليهود أسيادهم وتيجان رؤوسهم . ومن ثم فإن علاقة صداقة قد تنشأ بين اليهودى والعربى ولكنها صداقة لا تقوم على الندية بل على خضوع العربى لليهودى . ونطالع فى الرواية أن عرى الصداقة تربط بين عربى اسمه طه ويهودى اسمه آرى . ويسعى اليهودى إلى استغلال العربى فى منع بنى جلدته نحو عام ١٩٤٧ من مقاومة الاستيطان الاسرائيلى . وتلعب هذه الصداقة الزائفة وغير المتكافئة بعقل طه الذى يحب أخت صديقه اليهودى . فيطرح على اليهودى هذا السؤال : ألست تعتبرنى أخا لك ؟» فيجيب اليهودى بالايجاب فيتشجع طه على طلب يد الفتاة من أخيها آرى. ويصدم اليهودى لهذه الوقاحة المتناهية وبدلا من الرد على طه يسدد لكمة قوية إلى فكه . عندئذ يفيق العربى الواهم من أحلامه

ويقوم بطرد صديقه اليهودى من منـزله وهو يقـول له : «إنك قلت لى كل ما أحتاج إلى معرفته ، ولتخرج من بيتى أيها اليهودى» .

وفى عـام ١٩٦٢ توفى الروائى اليـهودى الموهوب أنوارد لويس والانت Edward Lewis Wallant وهو فى السـادسة والثـلاثين من عمره . وكانت وفاته الباكرة خسارة على الأدب اليـهودى فى الولايات المتـحدة . وقبيل وفاته نشر هذا الكاتب روايتـيه «الموسم الإنســانى» (١٩٦٠) The Human Season و«الرجـل الـذى يتـعـامل فى الرهونات» (١٩٦١) The Pawnbroker . وكـذلك نشرت له بعد وفاته روايتان أخريان هما «سكان مونبلوم» (١٩٦٣) Tenants of Moonbloom و«أطفـال عند البـوابة» (١٩٦٤) The Children at The Gate وفـى عــام ١٩٦١ فــازت رواية «الموسم الإنسانى» بجائزة مـجلس الكتاب اليهودى كما تم ترشيح «الرجل الذى يتـعـامل فى الرهونات» لجائزة الكتّاب القـومى ، ويذكـر أن انوارد لويس والانت ولد وترعـرع فى نيـوهافن والتـحق بخـدمـة الجيش الأمريكى فى الحـرب العالميـة الثـانيـة ، وبعد تـخرجـه من الجـامـعـة أصبح مـديرا لإحدى وكـالات الإعلانات فـى نيـويورك . وجميع هذه الروايات الأربع المشار إليـها تقدم نظرة متـسقة فى الحياة قام المؤلف بتطويرها فى أربع مراحل :

١ - إحساس الشخصية المحورية بالكآبة الروحية والانعزال عن بقية الناس .

٢- الدخول فى سلسلة من المواجهات المشتملة على تعساء يكابدون صنوف العذاب .

٣- المرور بتجربة أو صدمة عنيفة تجعل هذه الشخصية المحورية تتخلى عن ابتعادها عن الناس .

٤- التعبير فى آخر المطاف عن صحوة مشاعر الإقتراب من الآخرين.

وجميع هذه الروايات الأربع تدور أساسا حول شخصيات يهودية تتحرك فى بنية يهودية .

وتعتبر رواية «الرجل الذى يتعامل فى المرهونات» من أفضل أعمال ادوارد لويس والانت. وقد تحولت هذه الرواية الى فيلم ناجح وتدور أحداثها حول يهودى اسمه صول نازرمان كتبت له الحياة بعد أن هلك بقية زملائه فى الهولوكست النازى الأمر الذى خنق فيه القدرة على إقامة أية علاقة عاطفية بالآخرين. ولا غرو فقد ماتت عواطفه نتيجة مناظر الموت فى معسكرات الاعتقال النازى وفقدانه لزوجته وأولاده . وهو عاجز عن التجاوب العاطفى مع الآخرين وهذا اليهودى يدير محلا فى هارلم ينفق منه على أفراد أسرته

أخته وأخى زوجته وابنته وابن عمه. وجميعهم يسعون ما فى وسعهم السعى الى تحقيق النجاح المادى والاقتصادى على الطريقة الامريكية وهم متلهفون الى التأمرك أى اندماجهم فى المجتمع الأمريكى فاخته تنظر بفخر الى زوجها وأطفالها لأن المرء يعجز عن أن يكتشف أنهم كانوا يهودا فى يوم من الأيام ، ويستعين هذا اليهودى بشاب اسود اسمه يسوع أو رتيز فى ادارة محله المخصص للرهونات . ويلاحظ الشاب الاسود أن صاحب العمل من النوع الذى يشك فى جميع البشر فيسأل عن رأيه فيهم ويجيبه اليهودى صول بقوله : «لست أثق فى الله أو السياسة أو الصحف أو الموسيقى أو الفن كما أنى لا أثق بالابتسامات والملابس والمبانى والمناظر الطبيعية والروائح .. ولكنى فوق كل شىء لا أثق بالناس وكلام الناس لأنهم صنعوا جحيما بكلماتهم. لأنهم اثبتوا بما هم عليه أنهم لا يستحقون الحياة.. وسأله مساعده اورتيز «ألا يوجد شىء تثق به» فيجيب اليهودى بقوله : «المال. وإنى بعد سرعة الضوء التى يخبرنا اينشتين أنها الحقيقة الوحيدة المطلقة فى الكون أضع المال فقط فى المرتبة التالية لسرعة الضوء». ويتضح لنا من أحداث الرواية أن العلاقة التى تنشأ بين صاحب العمل اليهودى وعامله الأسود علاقة مهمة تلعب دورا حيويا فى

تصالح اليهودى مع البشر بعد أن تقطعت الوشائج التى تربطه بهم . وينجح الشاب الاسود فى اختراق عزلة اليهودى الذى يعلمه أسرار مهنة الربا والمرهونات ، غير أن خلافاً يدب بينهما فيتفق المساعد مع بعض الأشرار على سرقة مخدومه ولكنهم يتعهدون أمامه بعدم استخدام العنف أو الاسلحة النارية فى السطو عليه . غير أن واحدا من الاشرار يحنث بوعده ويصوب فوهة البندقية الى اليهودى مهددا بقتله . ويرى الشاب الاسود ذلك فيبادر باعتراض طريق الطلقة النارية ويتلقاها بدلا من مخدومه ويخر الخادم على الارض مضرجا بدمائه . ومن الطبيعى ان تهتز مشاعر اليهودى اهتزازا عنيفا بعد أن رأى مساعده يفديه بروحه. وتكون هذه التجربة سببا فيما يطرأ على اليهودى من تغير جذرى. فقد بات يؤمن بالبشر بعد أن كان ينكرهم ويؤمن أن اليهودى صول اختار مهنة الربا عن عمد . فهى مهنة اليهود الاساسية عبر التاريخ. وهى مهنة اليهود قبل شيلوك وبعده . فالربا تقليد راسخ يتناقله اليهود جيلا بعد جيل. وهو الذى مكن اليهود من الاستمرار على قيد الحياة . وتدل روايات والانت على شدة وعى اليهود بأنفسهم كما يتضح لنا من رسم الشخصيات الروائية اليهودية

وعلاقتها بغير اليهود . ورغم ذلك فإن هذه الروايات الأربع تنتهى على نحو ايجابى وتستبشر خيرا من الجنس البشرى وبقدرة اليهود على تجاوز مشاعرهم العرقية الضيقة الى حب جميع البشر.

وليس هناك أدل على تغلغل الأدب اليهودى فى الثقافة الامريكية في عقد الخمسينات من اهتمام عامة القراء الامريكان بأدب اسحق باشيفيز سنجر Isaac Bashevis Singer الذى لفت الانظار إليه في تلك الفترة. لم يكن سنجر رغم اتساع أثره يكتب باللغة الانجليزية أو حتى باللغة العبرية بل بلغة يهود روسيا وشرق اوربا المعروفة باليديش . نشر أولى قصصه عام ١٩٢٥ فى مدينة وارسو ببولندا حيث كان يعيش واستمر فى استخدام لغة اليديش حتى بعد هجرته الى الولايات المتحدة عام ١٩٣٥ وهو فى الثلاثين من عمره . وبعد هجرته الى أمريكا تولت الصحيفة اليهودية اليومية .. «الى الأمام» . Jewish Daily Forward نشر أعماله ولكن العالم الناطق باللغة الانجليزية لم يعرفه الا فى عام ١٩٥٠ مع ظهور ترجمة انجليزية لروايته «عائلة موسكات» The Family Moskat التى سبق أن نشرها بلغة اليديش فى الاربعينات فى حلقات على صفحات جريدة «الى الامام» وتتضمن هذه الرواية

سجلا لعائلة يهودية تعيش فى وارسو ، واستقبل جمهور القراء الامريكان هذه الرواية بالاستحسان. غير أن هذا الجمهور لم يعرف كتابات سنجر على حقيقتها الا فى عام ١٩٥٣ عندما نشر الروائى اليهودى المعروف شاؤول بيلو Saul Bellow ترجمة انجليزية لاحدى قصص سنجر بعنوان« جمبل المغفل» the Fooi Gimpel وبعد ذلك توالي نشر ترجمات قصصه فى العديد من المجلات الامريكية مثل ساترداى إيفننج بوست والنيويوركر . وفى عام ١٩٥٧ ظهرت أول مجموعة قصصية له بعنوان «جمبل المغفل وقصص أخرى» وكان ينشر عملا جديدا كل عام . واستقبل القراء أعماله بحفاوة بالغة . وفازت رواياته فى عامى ١٩٧٠ و ١٩٧٤ بجائزة الكتاب القومى ثم جاء عام ١٩٧٨ ليتوج انتصاره بحصوله على جائزة نوبل للآداب .

ورغم أن أمريكا لم تتعرف على أدب سنجر الروائى إلا عن طريق الترجمة الانجليزية فليس هناك شك فى انه ترك بصماته الواضحة فى الحياة الثقافية الامريكية. علما بأنه نشر أولى رواياته بلغة اليديش فى وارسو عام ١٩٣٥ بعنوان «الشيطان فى جوراى Satan in Goray ثم اعيد نشرها فى حلقات عام ١٩٤٥ قبل أن يقوم جاكوب سلون Jacob Sloon بترجمتها الى الانجليزية عام

١٩٥٥. ومما يذكر أن جميع مؤلفاته الاولى كتبت أصلا بلغة اليديش فهى اللغة التى استخدمها على أية حال فى تأليف معظم رواياته وظلت أحداث كل قصصه وروياته حتى منتصف الثلاثينات مقصورة على المدن البولندية التى يعيش فيها اليهود ، وتستمد مادتها من خزعبلاتهم وأدبهم الشعبى (الفولكلور) وعندما شعر سنجر بتمكنه من اللغة الانجليزية تحول الى الكتابة عن مدينة نيويورك ولكنه رغم هذا لم يقطع صلاته بالبيئة التى ترعرع فيها بين يهود أوربا الشرقية.

يقول سنجر عام ١٩٧٣ فى هذا الشأن : لقد كتبت قصصى الامريكية حول اليهود المهاجرين من بولندا والمتحدثين بلغة اليديش حتى أضمن معرفتى بطريقة حياتهم فضلا عن معرفتى بجذورهم - أى أن أعرف تاريخهم وطريقة تفكيرهم وتعبيرهم عن أنفسهم . ويذهب بعض النقاد إلى أن قصصه الأمريكية أدنى فى مستواها من انتاجه السابق بلغة اليديش . كما أن البعض يرى أنه ليس أمريكيا خالصا كغيره من الكتاب اليهود الذين ازدهروا فى أمريكا فى عقد الخمسينات ، ولكن هناك من النقاد من يخالف هذا الرأى. والجدير بالذكر أن أمريكا فى الآونة الأخيرة عرفت ما

يمكن تسميته بالتعددية الثقافية بعد أن كان الخيال الامريكي يتغذى على التقليد الانجلو ساكسوني وحده وذلك لأن أمريكا أصبحت ملتقى الثقافات نتيجة للهجرات الاسيوية والافريقية وتجدد هجرة اليهود من الاتحاد السوفيتي واسرائيل إليها .

وهناك نفر من النقاد من يتشككون حتى فى انتماء سنجر الى تقليد الييديش نفسه السائد بين يهود شرق اوربا فهم يهاجمونه لانشقاقه عن تقليد الييديش الكلاسيكى الراسخ كما أصله ثلاثة من أبرز كتاب اليهود الييديش وهم موخر سيفوريم Mocher Sef-orim وأى ل. بيرتز I. L. Peretz وشوليم التشيم Sholem Aleichem وينحى هؤلاء النقاد على سنجر لأنه تخلى عن تقليد مثل هؤلاء الكتاب اليهود الذين اقتصر اهتمامهم على تصوير ما يعانى منه اليهود من مشكلات اجتماعية وظروف معيشية، ولم يكن سنجر غافلا عن هذا الهجوم عليه من جانب اليهود المحافظين والتقليديين فقد كتب يقول : «إن كتاب ونقاد الييديش يجأرون بالشكوى من أنى لا أتصرف ككاتب ييديشى فلا أهتم كثيرا بما يحدث للمجتمع اليهودى . بقدر اهتمامى بوصف الشخصية الروائية التى أعالجها ومن جانبه اتهم سنجر نقاده وكتاب أدب الييديش الحديث بأنهم يتجنبون معالجة الجنس رغم أهميته فى الحياة والأدب كما أنه

يتهمهم بعدم الالتفات الى التغيرات الهائلة التى حدثت في التاريخ اليهودى مثل ظهور المسيح الزائف وانخراط بعض اليهود فى عالم الجريمة والنميمة والدعارة والاتجار فى الرقيق الابيض، ومعنى كلام سنجر أن تقليد اليديش قاصر عن تصوير الحياة تصويرا صادقا ، ولهذا نراه يفرق بين تقليد اليديش المنحدر من شرق اوربا والتقليد اليهودى الحق .

وهو يرفض التقليد الاول ويعلن انتماءه الى التقليد الثانى . ولهذا نراه يكتب عن اليهود فى الحاضر والماضى ويستمد مادته الروائية من حياتهم وعاداتهم وما يشيع بينهم من أدب شعبى. وهو يلخص موقفه من هذه القضية فى الحديث الذى أجراه معه الناقد اليهودى ارفنج هاو عام ١٩٧٣ . يقول سنجر :

«إن تقليد اليديش تقليد مفرط فى العواطف بشكل معيب. فضلا عن انه تقليد يعنى بالعدالة الاجتماعية . وهذا أمر لا يناسب شخصيتى فليس من طبيعتى أن أحارب من أجل تحقيق العدل الاجتماعى رغم أنى من انصاره . وحيث أنى متشائم فإنى اعتقد أنه مهما فعل الناس فجميع أفعالهم خاطئة ولن تكون هناك عدالة فى هذا العالم» .

إن العالم اليهودى المتحدث بلغة اليديش عالم صغير ومغلق

يقتصر على اليهود المقيمين فى روسيا وشرق أوروبا ومن ثم فإنه لولا ترجمة كتابات سنجر الى اللغة الانجليزية لظل مجهولا لا يعلم العالم الخارجى عنه شيئا وعندما ذاع صيت سنجر وطبقت شهرته الآفاق نشرت سنثيا أوزيك Cynthia Oziek فى مجلة «تعليق» الصادرة فى نوفمبر ١٩٦٩ قصة طويلة بعنوان الحسد أو لغة اليديش فى أمريكا «تدور حول موقف كتاب اليديش اليهود من سنجر وهو موقف ينم عن الحسد من نجاحه الساحق كما ينم عن المرارة التي يشعر بها كتاب اليديش بسبب قلة عدد قرائهم وجهل العالم الناطق باللغة الانجليزية بمنجزاتهم الأدبية. وهذا ما حدا جاكوب جلاتستين Jacoby Glatstein أن يعلق على شهرة سنجر العريضة بقوله عام ١٩٦٥ إن سنجر فى أمريكا يتمتع بمكانة أكثر أهمية وبعدد أكبر من الصداقات وبالاقبال على قراءته باهتمام اشد من اهتمام أدباء اليديش به . ويقول جلاتستين فى انتقاده أن ادب سنجر الروائى لا نوق فيه يجمع بين الخزعبلات والتصوف الهرىء الأمر الذى يروق للقراء اليهود أكثر مما يروق للقارىء اليهودى ، وأيضا انحى جلاتستين باللائمة على أدب سنجر لأنه يفتقر الى الحس الانسانى الرحيم الذى يتميز به أدب اليديش . وأضاف هذا الناقد فى هجومه انه يفتقر ايضا الى الاسلوب مما يجعل ترجمته الى الانجليزية غاية فى السهولة ولكننا

نجد من النقاد من يخالف هذا الرأى فجاكوب مسلون الذى قام بترجمته عبر عن سعادته بأسلوب رواية «الشيطان فى جوراى» أثناء انشغاله بترجمتها .

وعلى أية حال يبدو أن السبب الحقيقى فى ذيوع ترجمات أعمال سنجر الى الانجليزية يرجع الى ما يتميز به أدبه من حداثة فهو يعبر عما ظهر فى أعقاب الحرب العالمية الاولى من خيبة أمل فى الإنسان . لقد مات كتاب اليديش العظام قبل اندلاع هذه الحرب ولكن سنجر بدأ فى نشر أعماله فى عقد العشرينات من القرن العشرين فى وقت تغير فيه العالم والادب عما كانا عليه قبل الحرب العالمية الاولى . وجاء سنجر ليلعب فى أدب اليديش الذى لعبه الجيل الضائع من كتاب العشرينات الامريكان . وهو الجيل الذى رفع لواء التحديث . والحقيقة أن سنجر رفض قيود الجنس ومحرماته السائدة بين كتاب اليديش قبل الحرب العالمية الاولى كما أنه لم يكترث بالدفاع عن مصلحة المجتمع اليهودى مثلما اكترث بها كتاب اليديش من قبل .

ويحدثنا سنجر عن طفولته فيقول إن أباه كان شديد التقوى والورع وأنه كان كارها للتنوير والعلمانية المواكبة له . وأراد أن يحمى أطفاله مما اعتبره عدوى العلمانية عن طريق حكاياته لاولاده

التى لا تنتهى عن الارواح التى تتقمص الأجساد والمعجزات التى تتم على أيدى القديسين وأحبار اليهود ولا شك أن هذا الفولكلور اليهودى الشعبى غار فى وجدانه منذ نعومة أظفاره وهو لم يتجاوز الرابعة فتراكم فى مخيلته كم هائل من ذخائر هذا الفولكلور استخرجها من جعبته فيما بعد ليصيغها فى قالب ادبى محبب للنفس ، وعندما بدأ سنجر الكتابة عكف على اكتشاف اعماق الانسان المظلمة والتيارات التحتية الغريبة القابضة وراء تركيبة اليهود النفسية . ومن مظاهر حداثة سنجر أنه اولى الجنس عظيم اهتمامه وجعل منه محورا رئيسيا تدور حوله كتاباته ، ولكن ليس هناك دليل مباشر يشير الى تأثره بفرويد . وكما أسلفنا انتقد سنجر أدب اليديش لأنه تجاهل عالم الجريمة اليهودى الذى يعج بآلاف اللصوص والقوادين والمومسات والمتاجرين فى الرقيق الابيض فى بوينس ايريس وريو دى جانيرو وفى وارسو نفسها . ومعنى هذا أن أدب اليديش التقليدى يخلو من الاشارة الى تلك الموبقات التى يمارسها بعض اليهود وهو ماينحى عليه سنجر اللائمة غير أنه يستثنى من هجومه كاتب اليدييش شولم اسش Sholem Asch ويذهب الى أنه لا يغفل الاشارة الى ارتكاب اليهود لهذه الجرائم . والجدير بالذكر أن شولم اسش هو أول مؤلف

بيديش فى الاربعينات تترجم أعماله الى الانجليزية مما اعطاها فرصة الذيوع والانتشار . إن سنجر يرفض دعوة كتاب البيديش الى ضرورة مزج الفن بالقضايا الاجتماعية ولهذا فهو لا يقيم أدنى وزن لمشاكل اليهود الاجتماعية والسياسية ، بل ترك لخياله الحبل على الغارب وملأ قصصه بكائنات غريبة غامضة وغير مألوفة مما يزخر بها الفولكلور الشعبى اليهودى الذى تأثر به فى طفولته الباكرة . ولا غرو إذا رأيناه يعكف على دراسة الكتب التى تتناول الساحرات والجنيات فى أوربا وأمريكا الى جانب الحروب الصليبية وما صاحبها من هستيريا شعبية عارمة ولهذا جاء أدبه زاخرا بالهستيريا والجنس والتعصب الاعمى والخزعبلات والمعجزات التى تتجاوز نطاق التجربة البشرية المألوفة . وهو بهذا المعنى ينتمى الى التقليد اليهودى السائد فى العصور الوسطى قبل ظهور تقليد جديد ينهض على التنوير آثر مؤلفنا أن يوليه ظهره. وهو ما يتضح لنا من قراءة أعظم أعماله وأكثرها تميزا مثل رواية «الشيطان من جوراى». وقصتى «الجنتلمان الآتى من «كراكو» The Gentleman from Cracow و«المرآة» .

ولكننا نخطىء إذا ظننا أن أدبه يقتصر على الخيال وحده فروايته وقصصه تتضمن من الواقعية قدر ماتتضمنه من الخيال.

ويتضح لنا هذا من روايته «عائلة موسكات » التى تقع أحداثها بين عامى ١٩١٢ و ١٩٣٩ والتى تتناول الشرائح اليهودية الموسرة فى مدينة وارسو . وبعد انقضاء سنوات قلائل على الانتهاء من رواية عائلة موسكات ألف سنجر رواية أخرى أطول منها عن عائلة يهودية ظهرت باللغة الانجليزية فى جزءين بعنوان «المنزل» ١٩٦٧ The Mansion – و «الضيعة» ١٩٦٩ The Estate وتقع أحداث هذه الرواية الثانية فى الفترة الواقعة بين الثورة فى بولندا عام ١٨٦٣ حتى نهاية القرن .

ولا بد أن نذكر تأثر أدب سنجر بهرطقات كل من سابتاى Sabbatai وفرانك Frank والاول ظهر عام ١٦٦٤ مدعيا أنه المسيح المنتظر . وكان فى لحظات وجده الدينى والصوفى يرتكب الموبقات الآثام وينتهك القانون . وفيما بعد اعتنق سابتاى الدين الاسلامى وبشر بمذهب الخلاص عن طريق الخطيئة ، وفحوى هذا المذهب أن الانسان الذى لا يعرف الخطيئة لا يمكنه أن يعرف الخلاص لأن الخلاص لا يتم إلا بالارتداد عن الخطيئة . وكان اليهودى جاكوب فرانك ١٧٢٦ – ١٧٩١ واحدا من اتباع سابتاى فى القرن الثامن عشر والجدير بالذكر أن سنجر وصف هذه التعاليم الهدامة وصفا جليا فى قصته «تدمير كريشيف».. The Destruction of Kreshev

ويعترف سنجر بأنه فى بداية عهده بالكتابة راقت له دراسة مذهب فرانك الذى يرى فى ارتكاب الإثم السبيل إلى تحقيق الخلاص . فضلا عن وقوعه تحت تأثير أتباع المذهب الكابالى السرى Cabbalists الذى ينسب الجنس الى الله فالجنس هو المرادف للخلق والله موجود أبدا فى عملية الخلق والتكوين. يؤكد لنا صامويل هـ . درزنر Somuel H. Dresner أن مذهب ساباتاى أصبح حجر الزاوية فى أفكاره ومعتقداته . وعندما سأل الناقد ارفنج هاو مؤلفنا اذا كان يتبع مذهب ساباتاى فى السر راقت له هذه الفكرة وأبدى اعجابه بها. وأيضا يظهر سنجر اهتماما بالغا بتتبع مذهب فرانك فى تاريخ اليهود . وترسم لنا روايته «الشيطان فى جوراى» صورة خيالية براقة عن مذهب ساباتاى وبالذات فى الشكل الذى يقدمه لنا فرانك كما أنه يجسد جاكوب فرانك فى شخصية جيداليا بكل ما عرف عنه من امتلاك للقوى السحرية والإباحية الجنسية وتمسكه بأفكار ساباتاى.

ولكننا نخطىء إذا ظننا أن سنجر أحادى النظرة فهو فى قصتى «العبد» The Slave «وساحر لوبلين» The Magician of Lu-blin يعبر عن وجهة نظر تتعارض مع ايمانه بمذهب فرانك وعلي النقيض من روايته «الشيطان فى جوراى» نرى أن أحداث قصته

«العبد » تدور حول شخصية يهودية تدعى جاكوب تكرس نفسها لاتباع القانون ومراعاته على الرغم فى استعباد البولنديين لها. وينجح هذا العبد فى الزواج من راندا ابنة سيده البولندى بعد اعتناقها الدين اليهودى . ويذهب الزوجان إلى فلسطين حيث ينخرط جاكوب فى الحركة الساباتية ولكنه ينبذها فى نهاية الأمر ويقلب لها ظهر المجن. وليس أدل على قدرة المؤلف على اتخاذ المواقف المتعارضة من أنه هنا يعبر عن عظيم احترامه لشخصية جاكوب رغم أنها تتناقض مع مبادىء كل من فرانك وساباتاى. وأيضا نطالع فى روايته الأخرى «ساحر لوبلين» أن ياشا شخصيتها المحورية تعود إلى حظيرة النظام والقانون . ونفس الشيء نلاحظه فى قصة سنجر القصيرة «جمبل المغفل» فجمبل رجل شديد السذاجة يتلاعب الناس به ويستغلونه ويعذبونه . ورغم هذا فانه يحتفظ بدماثة خلقه ورقته وانسانيته فى شتى الظروف الأمر الذى يتناقض مع ما ينادى به ساباتاى من ضرورة تحرير الإنسان من كافة القيود والمكبوتات التى تكبله . ويقول أحد أحبار اليهود إلى جمبل : «مكتوب أنه من الأفضل أن تصبح مغفلا كل أيام حياتك من أن ترتكب الشر ولو لساعة واحدة ، الحق أنت لست مغفلا بل أولئك هم المغفلون ، لأن الذى يلحق الأذى والعار بجاره

هو الخاسر للفردوس» . ويضيف الحبر الأكبر أن جميل سوف يجد الثواب فى العالم الآخر .

إن سنجر فى أمريكا لم يتحرر تحررا كاملا من التجارب التى مر بها فى حياته الباكرة فى بولندا كما أن الفولكلور الشعبى اليهودى الذى عاشه فى طفولته غار فى أعماقه. ومؤلفنا على وعى بمدى تأثير هذه الانطباعات الباكرة القوية فيه الأمر الذى جعله يقول عام ١٩٦٤ «الحق أنى لا أزال أعيش فى بولندا أنتم تعلمون أن تجارب الطفولة هى أهم التجارب بالنسبة للكاتب » . ورغم جنوحه إلى التحديث فإن جانبا عنه ينتمى إلى فترة ما قبل الحداثة . والذى يميزه عن المحدثين ليس ايمانه بوجود الله بل ايمانه بوجود الشياطين وبالخزعبلات التى تشربها فى السنوات الأولى من حياته. وتتجلى حداثة سنجر فى قدرته على تقديم مادته القصصية بحيدة وموضوعية. ورغم أنه كثيرا ما عبر عن ايمانه بالشياطين فإن مادته الروائية لا تدل على ايمانه بهذه الشياطين والسحر الأسود أو عدم الايمان بهما. فموقفه منها يتسم كما أسلفنا بالحيدة والموضوعية اللتين تميزانه عن أدب اليديش الكلاسيكى. ويتضح لنا هذا الفرق المهم عند مقارنة قصته «جميل المغفل» بالقصص التى ألفها بيرتز بعنوان بونتش شويج Bontshe Shweig التى تعنى بتصوير اليهودى كضحية للظروف الاجتماعية

التى تورثه الفقر الروحى والجسدى وتسبب له العوز والإملاق. ورغم عوزه الشديد فانه لا يشكو من الله أو الانسان ولم يخطر بباله أن يحمل الضغينة له. وبعد أن يموت بونتش يعقد الله وملائكته المعجبين بقدرته على تحمل المكاره اجتماعا يمتدحون فيه صبره وسماحته. وعندما يسأل الله وملائكته الرجل عما يشتهيه فيرد المسكين بأنه يتوق الى رغيف خبز سخن وزبدة طازجة يتناولهما كل صباح . وهو طلب غاية فى التواضع والمهانة. ولا يوجد تصوير لمدى ما يتعرض له الانسان من مذلة بسبب الفاقة والإملاق أكثر من هذا . ويشير بيرتز فى قصته الى أن الفقراء قوة لا يستهان بها إذا نظموا ووحدوا صفوفهم . ومن ثم فإن لقصة بيرتز مغذى سياسياً يختلف تماما عما يذهب اليه سنجر فى أدبه. فسنجر لا يطيق الانخراط فى السياسة فى حين أن بيرتز كاتب سياسى فى المقام الأول. وليس أدل على انخراطه فى السياسة من أن البوليس القيصري ألقى القبض عليه عام ١٨٩٩ اثناء تلاوته لقصته المشار اليها فى اجتماع حضره العمال فى وارسو ويقارن النقاد بين الشياطين التى يصورها سنجر فى قصصه مثل «الجنتلمان الآتى من كراكو» وقصة الاديب الامريكى مارك توين الرجل الذى افسد هادليبرج The Man Who Corrupted Hadley-burg ورغم ان الفساد الناجم عن المال يشيع فى كلتا القصتين فهناك فرق بينهما ففى حين أن الفساد عند سنجر يتجاوز البشر

وينبع من مصدر فوق الطبيعة نرى أن البشر عند مارك توين هم أس البلاء .

ويرجع الفضل فى موهبة سنجر الفذة فى الحكى والرواية فى إثارة اهتمام عامة المثقفين الامريكان بالادب اليهودى المستمد من تاريخ اليهود وماضيهم ، وساعد على اعجاب القارىء الامريكى به أن اهتماماته الروائية لم تقتصر على معالجة مشكلات اليهود الاجتماعية بل تجاوزت هذه الحدود الضيقة فضلا عن توخيه الموضوعية والحيدة فى عرض مادته الروائية . وكذلك ساعد على ذيوع أدبه بين الامريكان ظهور كوكبة كبيرة من الادباء اليهود الموهوبين فى أمريكا قبله مهدوا امامه الطريق . وفى الختام نؤكد أنه أعلى من شأن القداسة رغم اعجابه بمذهب فرانك الذى سبق أن أشرنا إليه ، ورغم رفضه الايمان بالمسلمات الدينية فإنه أمن بوجود إله شخصى يتجاوب مع الانسان فى هذا الكون . ويلخص الخطاب الذى ألقاه سنجر بمناسبة حصوله على جائزة نوبل للأدب موقفه من الحياة . يقول سنجر فى خطابه : «لابد من وجود سبيل أمام الانسان للحصول على جميع المتع الممكنة وكل القوى والمعرفة التى يمكن للطبيعة أن تمنحها إياه. ورغم هذه المتع فإنه يستمر فى خدمة الله». وهكذا يتضح من كلامه أنه يجمع بين عبادة الله وعبادة اللذة .

٣ ـ النقاد اليهود في أمريكا

تأثر الأدباء اليـهـود فى أمـريكا فى فـتـرة الأربعـينات والخمسينات فى القرن العشرين بالأدب غير اليهودى ، وقبل هذين العقدين لم يظهر على الساحة الأدبية اسم أى ناقد يهودى غير مرموق سوى الناقد لودفيج لويسون Ludwig lewisahn ولكن هذا الاسم اللامع ما لبث أن انطفأ فى عقد الثلاثينات وتوقف عن إثارة اهتمام عامة المثقفين الأمريكان بسبب افراطه فى التركيز على يهوديته . وقبل اندلاع ألسنة الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ظهرت فى أمريكا كوكبة من ألمع النقاد اليهود أثرت فى مجال الدراسات الأدبية والنقدية تأثيرا عظيما على رأسهم ليونيل تريلنج وفيليب راهف والفريد كازين وليسلى فيلدر وأرفنج هاو الذين أثبتوا بما لايدع مجالا للشك قدرة العقل اليهودى على استيعاب وتمثل التجربة الأمريكية النابعة أصلا من العقلية الانجلوساكسونية . وأيضا جذبت مجلة البارتيزان ريفيو اليهودية التى أشرف على تحريرها كل من فيليب راهف ووليام فيلبس اليها جماعة من الكتاب الأمريكان الشبان الذين كرسوا أقلامهم للدفاع عن الحداثة فالتفوا حولها وتركوا بصماتهم الواضحة فى مسار الأدب الأمريكى .

وفى عام ١٩٣٩ عين قسم اللغة الانجليزية بجامعة كولومبيا لأول مرة اليهودى ليونيل تريلنج للتدريس فيه فتعلم على يديه جيل بأكمله من معلمى اللغة الانجليزية . فضلا عما خلفه من أثر فى مجال الدراسات النقدية عن طريق نشر مؤلفيه المهمين «ماثيو أرنولد» (١٩٣٩) و«إى . م . فورستر» (١٩٤٢) ثم جاء ناقد يهودى آخر هو ألفريد كازين لينشر عام ١٩٤٢ تحليله العميق الباقى على مر الزمن لتطور النثر والواقعية الأدبية فى الولايات المتحدة تحت عنوان «حول ارض الوطن On Native Ground ثم جاء ناقد يهودى ثالث لينشر السيرة النقدية لحياة كل من الأديبين الأمريكيين وليم فولكنر وشيروود أندرسون بالاضافة الى سيل منهمر من الكتابات النقدية . وكذلك تناول الناقد اليهودى القدير ليسلى فيلدر تاريخ الرواية الأمريكية فى كتابه المنشور عام ١٩٦٠ بعنوان «الحب والموت فى الرواية الأمريكية» Love and Death in the American Novel ومما زاد من أثر هؤلاء النقاد اليهود انهم تضافروا مع زملائهم النقاد الامريكان فى فترة الاربعينات وعلى صفحات مجلة البارتيزان ريفيو فى تكريس جهودهم للزود عن مذهب الحداثة كما أرساها أدباء كبار مثل الشعراء ت . س . اليوت وازرا باوند ودابليو ب . ييتس والروائى فرانز كافكا . وبذلك تحققت نبوءة هويل Howell الذى قال عام ١٩١٥ إن الكتاب اليهود

المولودين فى الاحياء اليهودية الأمريكية سوف يشكلون ويحددون النوق الأدبى الأمريكى ويتربعون على عرش النقد الأدبى..

ولم يقتصر نفوذ هؤلاء النقاد اليهود على تشكيل النوق الأدبى الأمريكى بل تعداه الى تشكيل الوجدان الثقافى ومعالجة الأدب من منظور تاريخى . ويمكننا إدراك تأثيرهم العميق فى الحياة الأمريكية بصورة أوضح اذا نحن قارنا بين جماعة مثقفى نيويورك التى تزعمها اليهود وجماعة أخرى معاصرة ومنافسة لها تعرف فى تاريخ الأدب الأمريكى بجماعة النقد الجديد New Criticism فقد اتسم انصار النقد الجديد بالتقليدية والمحافظة وكان معظمهم من اساتذة الجامعات من غير اليهود الذين ينحدرون من الجنوب الامريكى أمثال جون كرو رانسوم John Growe Ransom وكلينيث بروكس من Cleanth Brooks وآلان تيت Allen Tete ودابليوك ومست W.K. Wimsett ور.ب . بلاكمور P.R. Blackmur وأيفور وينترز Yvor Winters وهم جميعا من اتباع المذهب الشكلى الذى يرى ان العمل الفنى كيان مستقل بداية وأننا نستطيع استجلاءه دون الحاجة الى معرفة اى شىء عن الكاتب وظروف نشأته . ولهذا رفضوا النظر إلى العمل الفنى فى سياقه الاجتماعى والتاريخى . اما موقف جماعة مثقفى نيويورك (ومعظمهم من اليهود) فكان مغايرا تماما . فليونيل تريلنج على

سبيل المثال (وهو واحد من أبرزهم) أصر فى مقالاته المنشورة فى البارتيزان ريفيو على ضرورة النظر الى العمل الفنى فى سياقه التاريخى والثقافى . ويرجع السبب فى تبنيهم لهذه النظرة الاجتماعية والتاريخية للأدب الى وقوعهم فى مبدأ حياتهم تحت تأثير الأفكار الماركسية التى نبذوها فى وقت لاحق من حياتهم . ولكن لا مناص من الاعتراف بأن تأثرهم السابق بالماركسية جعلهم يعارضون النظرة الجمالية الى الادب التى يعلى «النقد الجديد» من شأنها . غير انهم لم يرفضوا أفكار مدرسة النقد الجديد برمتها فهم لا يرون مانعا من دراسة العمل الفنى فى حد ذاته دراسة دقيقة متأنية ولكنهم جاهروا بأن مثل هذه الدراسة وحدها لاتكفى بل لابد - حتى تكتمل الدراسة - من ربط الانتاج الفنى بالظروف المحيطة به فالعمل الفنى حتى وان كان نسيجا وحده لايمكن فصله عن البيئة الثقافية والتاريخية التى اثمرته . وحتى ندرك الفرق بين مدرسة النقد الجديد والحركة اليهودية التى اثمرت جماعة مثقفى نيويورك نقول : إن الأولى تنتمى الى الثقافة الأمريكية الراسخة فى حين ان الثانية حركة وافدة عليها . أضف إلى ذلك ان الأولى (وهى حركة النقد الجديد) تنحدر من الجنوب الأمريكى المحافظ أحيانا والرجعى أحيانا أخرى فى حين ان الحركة الثانية تنبع من جماعة المهاجرين اليساريين المغتربين.

ليونيل تريلنج (١٩٠٥ ـ ١٩٧٥)

يعتبر الناقد والأديب الخلاق ليونيل تريلنج أحسن مثل على مدى التغلغل اليهودى فى الثقافة الامريكية ابتداء من منتصف العقد الثالث من القرن العشرين ، ولكن علاقته المتوترة بإليوت كوهين رئيس تحرير مجلة «تعليق» جعلته يحجم عن الكتابة فى هذه المجلة . غير ان الكتاب المشاركين فى تحريرها كانوا يدركون اهمية تريلنج الادبية وبخاصة تلميذه نورمان بودهورتيز Norman Podhoret وليس من شك ان استاذية تريلنج للأدب الانجليزى بجامعة كولومبيا مهدت الطريق الى ظهور جيل من الكتاب اليهود ومدرسى اللغة الانجليزية المنتشرين فى جميع انحاء الولايات المتحدة . وفى عام ١٩٤٦ نشر مختارات من المقالات المنشورة فى مجلة بارتيزان ريفيو باعتبار انها افضل الكتابات التى ظهرت فى الأدب الامريكي الحديث دون أن يشير على وجه التحديد إلى أهمية ما سطره اليهود فى هذه المجلة .

ورغم أهمية تريلنج الكبيرة كناقد فإنه ألف مجموعة من القصص القصيرة فضلا عن انه نشر عام ١٩٤٧ رواية بعنوان «منتصف الرحلة» The Middle of The Journey التى تتضمن تحليلا نفسيا وسياسيا لشخصية مستقاة من شخصية شيوعى

سابق اسمه هوتياكر تشامبرز Whittaker Chambers ، وذلك بعد ان ترك الحزب الشيوعي وتخلى عن تجسسه لصالح الاتحاد السوفييتي . وفي طبعة هذه الرواية الصادرة عام ١٩٦٧ سطر تريلنج تصديرا أنحى فيه باللائمة على الشيوعيين الستالينيين كما أبرز مناصبة تشامبرز العداء لما تنطوي عليه الستالينية من قبول للمسلمات ومناهضة للمذهب الانساني وايمان مقيت بأن الغاية تبرر الوسيلة . والرواية تخلو من أية اشارة على وجه التحديد الى اليهود .

ولد تريلنج في إحدى ضواحي مدينة نيويورك عام ١٩٠٥ في عائلة متوسطة وكان أبوه يهوديا مهاجرا من شرق أوربا ورجل أعمال واسع الثراء .. ورغم ان العائلة كانت تتحدث في البيت باللغة الانجليزية فإنها حرصت على ممارسة الطقوس اليهودية كل يوم جمعة . وتذكر زوجة الناقد تريلنج ان امه كانت واسعة الاطلاع بشكل غير عادى ، وبعد تخرجه من جامعة كولومبيا ظل لمدة ست سنوات ابتداء من عام ١٩٢٥ ينشر مقالاته بانتظام في المجلة اليهودية «مينورا» عن الأدب والهوية اليهودية . وفي شهر أغسطس عام ١٩٧٨ نشرت مجلة «تعليق» وبعد وفاته مقالا بعنوان «اسطورة اليهودى المتغيرة» The Changing Myth of the Jems

كانت مجلة مينورا قد قبلتها للنشر عام ١٩٣١ ولكنها أحجمت عن نشرها لسبب غير واضح . ورغم انه في قابل حياته أعرب عن عدم رضائه على مستوى هذا المقال فان زوجته بعد وفاته نشرته ضمن مقالاته المتناثرة . ويتناول هذا المقال طريقة معالجة اليهودى فى الادب الانجليزى . وهو من المقالات الرائدة فى هذا الصدد . ويذهب تريلنج فى مقاله إلى ان التصوير النمطى لشخصية اليهودى فى الادب بوجه عام ، وفى الرواية بوجه خاص لا يعدو ان يكون اسطورة ليس لها اساس من الصحة فهو مجرد نمط عرقى أو عنصرى من خلق اناس لا يهمهم تصوير اليهودى على حقيقته بل يهمهم إرضاء حاجاتهم النفسية والعاطفية .

ويبدو ان تريلنج تعرض لشىء من الاضطهاد الوظيفى بسبب يهوديته عندما التحق بالتدريس فى جامعة كولومبيا ، وهو يقول فى هذا الشأن «عندما قررت العمل فى السلك الاكاديمى اعتبرنى أصدقائى ساذجا الى حد العبط المضحك» ولم يكونوا مخطئين فى ذلك . ويشكل واضح كان تعيينى فى وظيفة التدريس بجامعة كولومبيا بمثابة تجربة كما ان التعقيدات اعترضت سبيل مستقبلى لبعض الوقت بسبب يهوديتى» . فعلى سبيل المثال ابلغته الجامعة بعدم عزمها تجديد تعيينه رغم انه أمضى أربعة أعوام كاملة

يدرس فى قسم اللغة الانجليزية بها . ويبدو ان احجام الجامعة عن تعيينه يرجع الى سمعته كيهودى يؤمن بفرويد وماركس ، وهى عورات تقف فى سبيل المتقدمين لشغل وظائف التدريس بالجامعات الامريكية آنذاك ويعترف تريلنج فى أوراقه الخاصة التى لم تر طريقها إلى النشر ان اقتناعه بمذهبى فرويد وماركس لعبا دورا حاسما في مستقبله كمثقف وناقد ولكن زوجته تذكر انه بحلول عام ١٩٣٩ تخلى عن ايمانه الباكر بالماركسية ، ولم يستسلم تريلنج لاضطهاد الجامعة له بل رمى زملاءه الاساتذة بالتحيز غير أن أموره تحسنت بحلول عام ١٩٣٩ فبعد أن تقدم برسالته المهمة عن ماثيو ارنولد للحصول على درجة الدكتوراه فى جامعة كولومبيا احتفل بـه رئيس الجامعة نكولاس مرى بتلر Nicholas Murray Butler ودعاه الى تناول الغداء معه ثم قام بتعيينه استاذا مساعدا للأدب الانجليزى ، وبذلك اصبح أول يهودى يقوم بالتدريس فى قسم اللغة الانجليزية بجامعة كولومبيا .

فى تلك الفترة تراجع ليونيل تريلنج عن يهوديته دون ان يحاول اخفاءها أو التنكر لها .

فقد كتب عام ١٩٤٤ يقول: « لايمكن ابدا ليهودى من جيلى ان

يهرب من يهوديته» . غير انه فى العشرينيات انشغل مع نفر فى كتاب مجلة «المينورا» فى البحث عن هوية علمانية وثقافية تحل محل هويتهم الدينية . تربى تريلنج تربية يهودية يقول عنها : اذا سلمنا بأن وجودى كيهودى هو احد الظروف التى شكلت طبعى فإنى بالتالى افترض ان يهوديتى لابد وانها تركت اثرها فى عقلى» ورغم ذلك فانه لم يعتبر نفسه كاتبا يهوديا لانه - على حد قوله - لم يستطع أن يكتشف اى شىء فى حياته الفكرية أو المهنية يمكن أن يعزوها على وجه الخصوص إلى مولده ونشأته اليهودية ، ولهذا نجده يستنكر الحركات الثقافية المجاهرة بخصوصيتها اليهودية ، وهو يقول ان تحقيق الكاتب اليهودى لذاته اليهودية لا يعلى من شأنه ككاتب كما أن بعض الأدباء اليهود الواعدين قضوا على الكثير من موهبتهم الأدبية بسبب شدة استمساكهم بخصوصيتهم اليهودية . ولكن هذا لم يمنع الكاتب اليهودى المجيد من الاستفادة فيما يكتب بتجربته اليهودية .

وفى المناظرة التى نشرتها مجلة «تعليق» عام ١٩٤٩ بعنوان «الكاتب اليهودى والتقليد الادبى الانجليزى» نراه يقول إن عداوة السامية ليست جوهرية فى هذا التقليد رغم تغلغلها فيه ، ولكن هذا لا يعنى ان عداوة السامية جزء ضرورى فى هذا التقليد . ومعنى هذا انه يمكن رفضها دون الحاق أى ضرر جسيم به .

يقول تريلنج فى هذا الصدد : «من الطبيعى ان أناصب العداء ضد العبارات المعادية لليهود .. ولكن هذا لايدمر بالضرورة علاقتى بالكاتب الذى تصدر عنه هذه العبارات» . وعندما يعالج هذا الناقد عداوة الشاعر ت . س اليوت ضد اليهود في شعره نراه يقول ان هذه العداوة لا تروق له ، ولكنه يخفف من وطأة هذه العداوة بقوله : ان اليوت يستخدم اليهود استخداما رمزيا في شعره ، ولكنه لايستطيع إخفاء انزعاجه من العداوة الصريحة لليهود التى يظهرها ت . س . اليوت فى نثره . ويعيب بعض النقاد على تريلنج انه كتب عام ١٩٥٠ مقالا عن الشاعر الرومانسى الانجليزى المعروف جون كيتس ذكر فيه ان والدة كيتس هجرت زوجها الثانى رولنجز Rowlings لتقيم علاقة مع يهودى اسمه ابراهام ووجه الاعتراض هنا هو عبارة (يهودى اسمه) ورغم ان تريلنج يسعى الى التخفيف من وطأة موقف ت . س . اليوت المعادى للسامية (على أقل تقدير فى شعره) فانه يصور عداوة ماثيو أرنولد ضد اليهود على حقيقتها . يقول تريلنج فى مبحثه البالغ الاهمية عن ماثيو أرنولد الذى أجراه عام ١٩٣٩ ان والده توماس ارنولد امن بالمبادىء المسيحية الجامدة والمتزمتة لدرجة انه ذهب الى ضرورة حظر التحاق اليهود بالجامعات والتمتع بحق المواطنة . ولابد انه كان متأثرا بأيامه الصعبة الأولى التى عانى فيها من يهوديته عند

التحاقه بجامعة كولومبيا عندما كتب عن توماس أرنولد يقول : إن أخشى ماخشيته هو الاضطلاع بامتحان طالب يهودى بجامعة لندن فى مادة التاريخ . وبعد أن أدرك العالم الفظائع المروعة التى ارتكبها النازيون لابادة اليهود اثناء الحرب العالمية الثانية كتب تريلنج عام ١٩٤٨ مقالا يقول فيه ان الهولوكست النازى يثبت بما لايدع مجالا للشك صواب تشاؤم الكاتب الانجليزى الكبير جوناثان سويفت الذى يرى ان الانسانية منحطة انحطاطا لا شفاء منه وان الامل الليبرالى فى تحسن الجنس البشرى ليس له اى نصيب من الصحة . يقول تريلنج فى هذا الشأن ان فظائع الهولوكست تفوق قدرة سويفت على التخيل .

غير أن أعمال ليونيل تريلنج الناضجة تحتوى على ذكر للخصوصية اليهودية . وفى عام ١٩٥٠ القى حديثا نشره فيما بعد بعنوان «الشاعر وردزورث واحبار اليهود Wordsworth and the Rabbis يقول فيه اننا لانستسيغ شعر وردزورث لأنه ينطوى على سمات يهودية خاصة الأمر الذى يوحى بأن تريلنج يعتقد ان مثل هذه السمات تتعارض مع الحداثة . ويبين هذا الناقد التشابه الموجود بين اشعار وردزورث وبين اقوال الآباء اليهود فى الفترة الواقعة بين القرنين الثالث قبل الميلاد، والثالث بعد الميلاد وهى أقوال مجموعة تحت عنوان «بيرك أبوث» Pirke Aboth ويذهب

تريلنج الى وجود وجه شبه بين مفهوم وردزورث عن الطبيعة ومفهوم أحبار اليهود الأوائل عن القانون . فضلاً عن أننا نجد عند وردزورث نفس التواؤم بين الفرد والمجتمع الذى نجده عند أحبار اليهود الأوائل . وينتقد هذا الناقد دعوة كل من وردزورث وهؤلاء الأحبار الى الصفاء أو السكينة لأن من شأن هذه الدعوة ان تستبعد الجنس من حياة الانسان في حين ان تأكيد الجنس يمثل إحدى خصائص الحداثة .

أما مقال تريلنج المهم الثانى عن الهوية اليهودية فيتجلى فى تحليله البديع للقصص القصيرة التى ألفها الكاتب اليهودى الروسي المنشق اسحق بابل . ويرجع تاريخ مقاله عن بابل الى عام ١٩٥٥ . يقول تريلنج انها بمثابة نكتة بائخة ان يجد اليهودى بابل نفسه .. (وهو الضعيف الواهن البدن) ضمن كتيبة قوزاقية من الروس القوزاق الاشداء) خلال الحرب التى اندلعت بين روسيا وبولندا عام ١٩٢٠ حيث كان بابل يعمل فى سلاح الامدادات ، والرأى عند بابل ان اليهودى والقوزاقى على طرفى نقيض فاليهودى مثقف مسالم ذو قلب رحيم فى حين ان القوزاقى يتسم بالعنف والفظاظة والخلو من العقل والسلوك . وتلخصت محنة بابل فى كتيبة القوزاق فى عجزه عن مجاراة القوزاق فى شراستهم واستعدادهم لسفك الدماء . ورغم ان بابل لم يكن

راضيا عن العنف فقد راقت له الجسارة النابعة وراء العواطف الهوجاء المحيطة به الى جانب مافى العنف من بساطة ومباشرة ورشاقة . ولم يكن هذا الانبهار بالعنف والانجذاب نحوه تطورا جاء متأخرا فى شخصية بابل بل كان استمرارا لانبهاره القديم ايام طفولته عندما عرف عن كثب العصابات اليهودية التى تعيث فسادا فى ميناء أوديسا الروسى والتى تناولها فى العديد من قصصه . ويضيف تريلنج ان بابل أراد ان ينفث عما لقيه والده من اذلال وخضوع على ايدى هؤلاء القوزاق ، ولم ينبهر بابل بالقوزاق الاشداء المشتركين فى الحملة الروسية ضد بولندا فحسب بل انبهر كذلك بيهود بولندا أنفسهم . فقد وجد فيهم نوعية مختلفة تماما عن اليهود الذين ألفهم فى أوديسا مسقط رأسه والذين تأقلموا مع الحياة فى هذا الميناء الذى يعج بمختلف الجنسيات . ويصف بابل اليهودى البولندى بأنه يتميز بالقدرة على مكابدة العذاب وهى قدرة مفعمة بالعظمة المحزونة كما ان اليهودى يحمل فى صمت احتقارا بلا حدود نحو طبقة الاشراف البولنديين . ويبين اسحق بابل ان خصائص اليهودى البولندى التى بهرت اسحق بابل لم تكن موجودة فيه شخصيا ، ويرى ان التعارض بين ما عبر بابل فى يهود بولندا وافتقاره الشخصى الى الاشياء التى بهرته فيهم كان الركيزة التى اقام عليه فنه القصصى .

ويذهب تريلنج الى ان موهبة بابل الأدبية تتجلى فى قدرته على التعبير عن مثل هذه التناقضات الداخلية فيه .

ورغم أهمية مقالات تريلنج عن اليهود واليهودية فان إهتمامه بهذا الموضوع كان محدودا للغاية وخاصة بعد أن توقف عن نشر مقالاته في مجلة «المينورا» إذ لم يعد هذا الموضوع يشغل باله وبخاصة في سني نضجه التي برز فيها كناقد ادبي يعني بشئون الثقافة . ومع انغماسه في شئون الثقافة والأدب وانصرافه الى الكتابة عن ماثيو أرنولد (١٩٣٩) واى . م . فورستر (١٩٤٣) شعر تريلنج بالحاجة الى ان ينبذ ثوريته وراديكاليته الباكرة ، ويمثل كتابه «الخيال الليبرالى» (١٩٥٠) The Liberal Imagination واحدا من أهم مؤلفأته النقدية على الاطلاق . ويتضمن هذا المقال مجموعة مقالاته الأولى التى ظهرت فى فترة الاربعينات . ويدل كتابه هذا على خيبة أمله فى الفكر الليبرالى والفكر الراديكالى معا . وهى أفكار انهارت امام زحف الفاشية والدكتاتورية الستالينية الكاسح كما اتضح فى أواخر الثلاثينات وخلال فترة الاربعينات. وينحى تريلنج باللائمة على الخيال الليبرالى لأنه فى رأيه خيال قاصر محدد يميل الى تبسيط الأمور فى حين ان التجربة الانسانية تتسم بالتعقيد ومن ثم حرصه على ان يستوعب النقد الليبرالى هذه الحقيقة . يقول تريلنج فى هذا الشأن : «أن وظيفة النقد هى اعادة الليبرالية الى خيالها الجوهرى الأول المتمثل فى

التنوع ومختلف الامكانيات مما يتضمن إدراك (مافى الحياة) من تعقيد وعسر» .

وفى المقال الذى نشره تريلنج عام ١٩٤٠ بعنوان «الحقيقة فى أمريكا» نراه يطبق نظريته فى الليبرالية عن كتاب ذاع صيته آنذاك من تأليف فيرنون آى فارنجتون Vernon I.Farrington بعنوان «التيارات الرئيسية فى الفكر الأمريكى» (١٩٢٧ - ١٩٣٠ Main Currents in American Ihought وأوضح تريلنج أوجه القصور فى هذا الكتاب الذى يكتفى على نحو معيب باعتبار التقليد الأدبى مجرد مجموعة من الأفكار . وكذلك يبين غموض مفهوم بارنجتون للرومانسية . وفى عام ١٩٤٦ سطر تريلنج الجزء الثانى من مقاله «الحقيقة فى امريكا» وفيه اتهم الخيال الليبرالى بقبول الاعتقاد - دون أدنى تمحيص بان الكاتب الامريكى ثيودور درايزر خير تجسيد للروح الليبرالية . ويحاول ناقدنا ان يبين تحيز النقاد من أجل درايزر وتعاطفهم المتسامح معه مشيرا الى عيوبه الواضحة مثل جمود عقليته الملتزمة بالأفكار القاطعة وعدائه ضد السامية وسوقيته الثقافية . ويرفض تريلنج الرأى النقدى السائد الذى يعتقد ان قدرة درايزر على الملاحظة النافذة العميقة يعوض ما يشوب أسلوبه النثرى من عيوب . والرأى عند تريلنج ان الروائى العظيم لابد وان يتميز بالقدرة على كتابة النثر الجيد ،

واستغل ناقدنا الضعف البادىء فى رواية درايزر «القلعة» (١٩٤٦) ليهاجمها وينال منها ولكن كثيرا من القراء والنقاد يخالفون تريلنج فى الرأى ، ويعتبرون درايزر كاتبا عظيما فضلا عن ان هجومه على المذهبين الليبرالى والراديكالى لم يرق فى عينى الكثير من الناس ويتهمه أنصار الليبرالية بأنه تجاهل المخاطر الناجمة عن شيوع المكارثية فى الثقافة الأمريكية . ورغم هذا فإنه يمكن وصف تريلنج بالليبرالى الكافر بالليبرالية .

وللحق والإنصاف يتعين علينا أن نذكر أنه تصدى أحيانا لاعداء الليبرالية والمدافعين عن المكارثية ، يقول هذا الناقد : «إن مقاومة الفكر الليبرالى قد تتخذ اشكالا قميئة وملتاثة . فضلا عن رفضه التماثل الفكرى . ولكن لابد من الاعتراف بأنه تجاهل الابعاد الاجتماعية والسياسية للأدب واقتصر على معالجة البعد الثقافى والصراع الفرويدى الذى يدور رحاه فى نفس الفرد كما نجد فى كتابيه «النفس المعارضة (١٩٥٣) The Opposing Self وماوراء الثقافة (١٩٦٥) Beyond Culture . ولم يخف تريلنج عدم اهتمامه بالمجتمع فقد كتب يقول صراحة : «إننى أتحدث عن تحقيق الذات من الناحية الثقافية وليس من ناحية المجتمع» . ويذهب الى نفس الرأى فى كتابه «ماوراء الثقافة» حيث يرى انه يجب على الناقد ان يقف فوق الثقافة ويتجاوزها حتى يتمكن من نقدها وهو موقف يحمل فى احشائه الازورار عن المجتمع وتحطيم

المذهبين الليبرالى والراديكالى بمناهضته الواضحة للسياسة والاجتماع .

لقد بلغ تريلنج ذروة نفوذه النقدى والثقافى فى الخمسينات ولكن جيل الستينات ما لبث ان انصرف عنه وآثر تلاميذه الانضمام الى حركة «اليسار الجديد» التى بدأ نجمها يبزغ . غير ان عقد السبعينات شاهد تغيرا غريبا . فبعد ان عين تلميذه بودهورتيز مسئولا عن تحرير مجلة « تعليق» ابتعد بمسارها عن اليسار وكرس صفحات هذه المجلة للهجوم على كل الاتجاهات الليبرالية والراديكالية . وتبنت مجلة «تعليق» موقفا محافظا تعاطف معه وتحمس له كثير من المثقفين اليهود فى مدينته نيويورك كرد فعل ضد تطرف «اليسار الجديد» . وعلى الرغم من ان تريلنج وعد بمناصرة الاتجاه المحافظ للمجلة الذى اختاره لها رئيس تحريرها فانه يبدو انه تراجع حتى لا يشترك فى الحملة المسعورة ضد اليسار الجديد . وفيما بعد شكا بود هورتيز رئيس تحرير مجلة «تعليق» من ان تريلنج وجه إليه اتهاما بالمبالغة فى ردود فعله ضد اليسار الجديد وفى الاعلاء من شأن فضائل المجتمع الامريكى النابعة من روح وقيم الطبقة المتوسطة سواء اتفق المثقفون أم اختلفوا مع افكار هذا الناقد اليهودى الكبير فما من شك فى انه حفر لنفسه مكانا باقيا فى تاريخ الادب الأمريكى.

فيليب راهف

يعتبر هذا الناقد اليهودى البارز واحدا من أهم النقاد الذين أفرزتهم النهضة الادبية اليهودية ، وكان يتحاشى الجوانب اليهودية فى الكتابات المعاصرة فلا يخوض فيها الا نادرا . وليس أدل على ذلك من ان أول مجموعة مقالات يهودية ، ظهرت بعنوان «النفاذ» (١٩٦٤) Breakthrough اشتملت على مقال لراهف لا تربطه باليهود والكتابات اليهودية ادنى صلة . وعندما كتب راهف تصديره لمجموعة قصصية من تأليف الكاتب اليهودى الكبير كافكا جاءت اشاراته الى انتمائه الى اليهود وموقفهم منهم عابرة . ولكن الامر تغير فيما بعد عندما نشر راهف عام ١٩٦٧ مقالا عن الرواق اليهودى الامريكى برنارد مالامود . فقد عبر عن طائفة من الملاحظات المهمة بشأن الكتابات اليهودية . ويحذرنا راهف فى هذا المقال من مغبة الظن ان الكتابات اليهودية تقدم إلينا نسقا واحدا أو ان الكتاب اليهود ينتمون الى مدرسة ادبية واحدة بل ينبهنا الى شدة تنوعهم واختلافهم عن بعضهم البعض .

فضلا عن تنوع أحاسيسهم ومواقفهم تجاه يهوديتهم ويقول راهف ان كتاباتهم الخلاقة تخلو أحيانا من أية إشارة الى يهوديتهم، فالروائى اليهودى الامريكى نورمان مالر على سبيل

المثال قد يكون على الصعيد الشخصى شديد الوعى بيهوديته دون ان تكون ليهوديته أية أهمية تذكر فيما يسطر من أعمال خلاقة . ويضيف راهف أن معظم الكتاب اليهود فى امريكا يتخذون مواقف متضاربة وغير واضحة من يهوديتهم وهو يصف مالامود بأنه أكثر ايجابية فى يهوديته من سائر اقرانه من الكتاب اليهود وانه يعبر فى كتاباته عما فى المأساة والعذاب من امكانيات كوميدية تبعث على الضحك وان اسلوبه النثرى ، رغم انه مكتوب باللغة الانجليزية - تقليد للغة اليديش الخاصة بيهود شرق اوربا ، ويذهب راهف الى ان يهودية مالامود تتمثل فى شدة حساسيته للعذاب .

ويرى البعض ان اهتمام راهف المحدود للغاية بالشخصية اليهودية فى الأدب لا يعنى انه يرفض الهوية اليهودية لان عدم اهتمامه يرجع فى الاساس بانشغال باله بالمشكلات الادبية والثقافية الاخرى ، ورغم اعجابه الشديد بكتاب غير يهود محدثين مثل ت . س اليوت وازرا باوند فانه بكل تأكيد لا يعيش فى زاده الثقافى عالة عليهما ، بل إنه ينحى باللائمة على الأدب المسيحى الذى يكتبه ت . س . اليوت . ويدل مقاله الذى اسهم به عام ١٩٤٩ فى المناظرة التى عقدتها مجلة «تعليق» بعنوان «الكاتب

اليهودى والتقليد الأدبى الإنجليزى» أنه يشن هجوما شديد الوطأة على سعى اليوت وأمثاله إلى إحياء المسيحية من جديد فى عالم الأدب ، وقد سبق أن اتهم ليسلى فيلدر هذا الاتجاه بتوسيع رقعة عداوة السامية ويوافق راهف على المقولة التى تذهب إلى أن معاداة السامية جزء لا يتجزأ من الملحمة المسيحية التى يحاول ت . س . إليوت وأمثاله إنشاءها . وهو يناشد جميع المثقفين أن يقفوا فى وجه هذا التدين الجديد ليس على أسس طائفية بل من منطلق أن مثل هذا التدين لا يخدم مصالح العقل ويسهل التهرب من المشكلات الملحة حقا . كما أنه يعارض اتجاه بعض الكتاب اليهود للتأقلم مع الحماس الأدبى السائد من أجل الأسطورة والتقاليد ويطلب اليهم تكريس أنفسهم لعلمنة وتدويل الثقافة بطريقة جذرية ، أى جعلها ذات طابع علمانى ودولى فى آن واحد .

ويعرب راهف عن رفضه القاطع للحلول الوسطى مع أية جوانب رجعية قد تشوب فكر الأدباء الكبار وعلى رأسها معاداة السامية . غير أنه فى الوقت نفسه يعرب عن سخطه على قيام حركات مسيحية مستحدثة بمقاومة معاداة السامية لأنه يريد من هذه المقاومة أن تنبع من جذور دينية . وهو يتجاهل الدور الذى يلعبه إزرا باوند فى إشاعة عداوة السامية من منظور علمانى

وليس من منظور دينى ، فإزرا باوند يقدم إلينا هذه العداوة لليهود في شكل علماني وليس في شكل مسيحي مثلما يفعل ت . س . اليوت . غير أن دور إزرا باوند كان محدودا فى تأثيره فى مجال الأدب على أية حال . والجدير بالذكر أن راهف لم يعالج مشكلة عداوة السامية من منظور يهودى بل عالجها باعتباره مدافعا عن اضفاء الصبغة الدولية على الأدب الأمريكي والثقافة الأمريكية .

ويعتبر فيليب راهف من أكثر النقاد تأثيرا فى الأدب الأمريكى منذ أواخر الثلاثينات بفضل مقالاته المنشورة فى مجلة بارتيزان ريفيو وكتاباته عن الروائيين هنرى جيمس وفيودور دستوفسكى . وهو واحد من المثقفين اليهود القلائل الذين لم يحنوا رؤوسهم أمام طوفان المكارثية وظل يقاومها بكل ما أوتى من قوة . وسخر راهف من زملائه الذين عبروا عن عداوتهم للسامية ولكنهم فى الوقت نفسه اظهروا تخاذلا فى مقاومة المكارثية وإفراطا مخلا فى هجومهم على الستالينية الأمر الذى شوه أحكامهم السياسية والثقافية . وعاب راهف على زملائه المهاجمين على الستالينية بصورة جامدة ومتصلبة جنوحهم إلى المحافظة والتماثل الذى يجعلهم يقفون فى وجه أى شكل من أشكال الانشقاق عن المعايير البورجوازية .

الفريد كازين

تميز الفريد كازين بأنه أكثر صراحة فى التعبير عن يهوديته والتأكيد عليها من كل من الناقدين ليونيل تريلنج وفيليب راهف . ويتضح لنا هذا بجلاء من كتابه المنشور عام ١٩٤٢ بعنوان « على أرض الوطن» ، ولكن كازين ظل حتى ظهور هذا الكتاب سجينا للفكر والتقليد الأدبى الإنجلو ساكسونى الذى استمر سائدا فى تاريخ الأدب الأمريكى منذ بدايته حتى الفترة التى تلت الحرب العالمية الثانية . واللافت للنظر فى هذا الكتاب هو خلوه من أى ذكر للأدباء اليهود فى أمريكا منذ عام ١٨٩٠ فصاعدا وهى الفترة التى يناقشها الكتاب بين دفتيه . ومن الكتاب اليهود الذين أغفل الكتاب ذكرهم ابراهام كاهان Abraham cahan ودانييل فوتش Daniel Fuchs وماير ليفين Meyer levin وكليفورد أودتس clif-ford odets وهنرى روث Henry Roth ويحلول عام ١٩٦٥ لفت كازين الأنظار إلى أهمية رواية يهودية بعنوان «سمة النوم» call It sleep التى اعتبرها رائعة أدبية منسية . وأيضا أشار كازين إشارة عابرة إلى رواية يهودية ألفها مايك جولد Mike Gold بعنوان «يهود مفلسون» ولا تزيد معالجة كازين للأديب لودفيج لويسون عن حيز ضئيل للغاية ولكنه يشير إلى تحامل الدوائر

الأدبية ضده بسبب يهوديته . ويغفل كازين فى كتاباته الاشارة إلى رواية يهودية بعنوان «الجزيرة بداخلنا» The Island Within . ويرجع السبب فى اهتمام كازين النسبى بلودفيج لويسون إلى أن لويسون كان أسبق منه فى تاريخ الأدب الأمريكى ، فقد سبقه لويسون عام ١٩٣٢ فى اصدار كتاب قبله بعنوان « التعبير فى الأدب الأمريكى » . والجدير بالذكر أن مؤلفات لويسون النقدية كانت لها أهمية فى العقدين الأول والثانى من القرن العشرين . والرأى عند كازين أن لويسون كان قوة تحفز على التقدم رغم ما شاب كتاباته من مبالغات معيبة.

وعلى أية حال فإن كتاب كازين « على أرض الوطن» يفوق فى حيويته وأهميته النقدية كتاب لويسون . ولا غرو فهو واحد من كوكبة النقاد والأدباء اليهود الذين تفجرت موهبتهم فى العقد الثالث من القرن العشرين ، ومعظمهم أبناء أو أحفاد مهاجرين نزحوا من أحياء اليهود فى شرق أوربا إلى الولايات المتحدة واستطاعت هذه الكوكبة بموهبتها الأدبية الفذة أن تكذب الادعاء الذى ظل سائدا حتى الثلاثينات بعجز اليهود عن استيعاب وتمثل الثقافة الغربية . ورغم تنوع هذه الكوكبة وعدم انتمائهم إلى مدرسة أدبية واحدة فقد جمعت الحداثة شملهم وانتهجوا نهج

المحدثين الغربيين أمثال هنرى جيمس وچيمس جويس ومارسيل بروست وت . س . اليوت وازرا باوند وفرانز كافكا وفيودور دستيوفسكي ، ولكنهم رفضوا الاقتداء بالمذهب الجمالى والشكلى الذى اتبعته المدرسة النقدية الجديدة ، وكما أسلفنا دأب هؤلاء الأدباء واليهود المبرزون على النظر إلى الأدب فى سياقه التاريخى والسياسى والاجتماعى . ورغم أنهم جميعا نبذوا المذهب الماركسى الذى تشربوه فى مبدأ حياتهم فإنهم ظلوا متأثرين باهتمام هذا المذهب باستجلاء الجوانب الاجتماعية فى الدراسات الأدبية .

كان كازين فى السابعة والعشرين من عمره عندما أصدر كتابه النقدى المهم «عن أرض الوطن» الذى كان سببا فى رسوخ قدمه فى مجال الكتابات النقدية . ولا غرو فالكتاب قمة فى النقد التاريخى الأمريكى لم يسبقه سوى فان ويك بروكس Van Wyck Brooks ونقد بارنجتون الاجتماعى للفكر الأمريكى . ويبين اسهامه فى المناظرة التى تحمل عنوان «أقل من أربعين سنة» موقفه من التراث اليهودى ، وهو موقف غير رافض لهذا التراث رغم إغفال كازين الاشارة إلى المؤلفات اليهودية التى ظهرت على أيامه . ويرجع هذا الاغفال إلى تجاهله العام للعناصر العرقية الموجودة فى الثقافة الأمريكية . وفى موقفه من الأدب اليهودى نراه

يؤكد إعجابه بجوانب كثيرة فى التراث اليهودى مثل كتابات شوليم ألتشيم وأى . ل . بيرتز المكتوبة بلغة الييديش إلى جانب الكتاب اليهود الاشتراكيين وأيضا روزا لوكسمبورج وبناة الثقافة العبرية فى فلسطين وطائفة من الكتاب اليهود والفنانين المعاصرين أمثال حاييم ناخمان بياليك Hayim Nochman Bialik ومارك شاجال Marc Chagall وارنست بلوخ Ernest Bloch ، والذى يثير اعجابه بالشخصية اليهودية على حد تعبيره هو «نسيج الثقافة العبرية الأصيلة والمتوارثة والإيمان الذى لا يعنى بالأسس الروحية للحياة الإنسانية وعشق الكتب وحب الاستطلاع العام» . ولكنه رفض تلك المحاولات التى بذلها الكتاب اليهود لاستحداث ثقافة أمريكية يهودية لأنه اعتقد أن مثل هذه الثقافة ليس أمامها أمل للنمو والازدهار . ويعيب بعض النقاد عليه عدم قدرته على ادراك الفروق العرقية التى تميز المهاجر من شرق أوربا عن قرينه المهاجر فى أوربا الغربية ، وعلى أية حال أسهم كازين بكل طاقته وكامل وعيه بنصيب وافر فى الثقافة الأمريكية دون اهتمام أو اسهام ذى بال من جانبه فى الحياة العرقية اليهودية سواء كانت هذه الحياة علمانية أو دينية .

لقد حالت فظاعة الهولوكست الكتاب اليهود المشتركين فى تحرير مجلة «تعليق» الذين راقبوا عن كثب إنشاء دولة إسرائيل، وأزعجهم أن يكتشفوا أن الغالبية العظمى من كبار الكتاب الانجليز عبر القرون من ألد أعداء السامية الأمر الذى تجلى بوضوح فى أعمالهم الخلاقة مما أصاب ناقدنا كازين وغيره من اليهود بالمرارة وملأ قلوبهم بالغصة والألم . ولهذا نرى الفريد كازين يشكو فى «المناظرة التى عقدتها مجلة «تعليق» بعنوان «الكاتب اليهودى والتقليد الأدبى الانجليزى» من عداوة كبار الأدباء المحدثين لليهود أمثال ت . س . اليوت وازرا باوند وهنرى چيمس ودستيوفسكى الخ . يقول كازين فى غضب : « لشد ما نكن لهم الحب فى حين أنهم لا يحبوننا» . ثم أضاف قائلا : إن ثمة أوجه شبه موجودة بين هؤلاء الكتاب العظام واليهود فهم يشاركون اليهود الشعور بالاغتراب عن غالبية المجتمع . ورغم ذلك فإنهم «مغفلون على الدوام ويلحقون بنا الاهانات» . ويستمر كازين فى شكواه منهم قائلا : « يجب علينا أن نطالع أعمالهم ونتحمل سخافاتهم بطبيعة الحال دون أن نصبح أذلاء خاضعين لهم ودون أن نخشى أن نسمى جهلهم وقسوتهم التى لا ترحم باسمائها الحقيقية حتى لو جاء تنا من أباطرة الأدب الذين يتحكمون فينا» .

ورغم انشغال كازين بالتدريس فى الجامعة وعرض الكتب فى المجلات وتأليف الكتب النقدية عكف كازين بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية على تسجيل ذكرياته مع والديه الفقيرين وظهر أول مجلد من هذه الذكريات بعنوان «الماشى فى المدينة» (١٩٥١) ولا غرو فقد كان كاتبنا يهوى المشى . والمجلد يسجل طفولته التى عاشها فى مدينة برونزفيل حتى بلوغه السادسة عشرة من عمره ويسيطر على هذا الكتاب حنين قوى إلى الماضى ، وفيه يصف كازين البيئة اليهودية المنغلقة على ذاتها التى عاشها فى صباه وهو يرنو بشدة إلى المجتمع الخارجى غير اليهودى الذى يلوح له من بعيد . ويعتبر هذا الكتاب بمثابة توثيق صادق ومهم لتأقلم اليهود الثقافى مع الفكر الأمريكى كما أنه يصور الجو العاطفى المشحون الذى عاشه كازين كطفل شديد الحساسية يتلمس طريقه على نحو غامض للوصول إلى حياة أرحب وأوسع من تلك الحياة التى عاشها كابن مهاجر يعانى من الفقر وشظف العيش . كان كازين وهو طفل لا يكف عن التساؤل لماذا كتب عليه كيهودى أن يعيش فى حاجة وعوز فى حين عاش الآخرون فى بحبوحة . ولماذا يوجد دائما فرق بين عالمين : عالم اليهود وعالم غير اليهود ، يقول كازين فى هذا الشأن : «لاح لى من بعيد عالم غير اليهود الغريب

الذين يعلو الشعر الكتانى رؤوسهم والذين يضمرون الكراهية لليهود وخاصة الفقراء منهم ويحملون أسماء قبيحة لا يمكنني قراءتها أو سماعها دون أن أرى مدية تقترب من رقابنا ؟ إن اليهودية معناها الشك فى حق اليهود فى الحياة ولكن إحساس كازين القوى بالاغتراب لم يمنعه من ارتياد المكتبة العامة والنهل مما تحتويه من كتب . وقد لعبت المكتبة العامة دورا حيويا فى عملية تأقلمه وتأقلم غيره من اليهود مع الحياة الثقافية الأمريكية .

ويسجل كازين فى ذكرياته غلالة العنوية والرقة والحنين التى أحاطت بتنشئته الباكرة . كما يذكر فيها أن أبويه اليهوديين كانا رغم بعدهما عن الدين يحرصان على ممارسة الطقوس اليهودية فكانت أمه كل يوم جمعة عند غروب الشمس تشعل الشموع ابتهاجا بقدوم يوم السبت المقدس ، فضلا عن أن أسرته اعتنقت الفكر الاشتراكى وتناقشت فيه حول مائدة المطبخ ، ويذكر كازين بكل العاطفة والشجن الجهود المضنية التى بذلتها أمه فى عملها كخياطة والسهر على خدمة أسرتها . ويذكر كازين عن والده تضامنه القوى مع أقرانه من اليهود الأمر الذى عمق فى كازين الاحساس بأنه ينتمى حقا إلى شعب وأنه لا يعيش بمفرده بمعزل عن هذا الشعب ، ومن ثم يستحيل عليه الهروب من يهوديته . وازداد هذا الشعور قوة ورسوخا نتيجة إقدام النازيين على الابادة الجماعية لليهود .

إن كـازين لم يكتب الرواية ولكنه كـتب ذكـرياته عن طفـولتـه وشـبـابه فى قـالب روائـى يدور حـول تأقلم اليـهودى الأمـريكى مع الثقافـة الأمريكيـة ، ثم واصل وصـف عمليـة التـأقلم هذه فى رواية أخرى بعنوان «البداية فى الثلاثينات» (١٩٦٣) Starting Out in the Thirties روى فيـها قصة انفتاحه على عالم أوسع وأرحب من عـالمه اليـهودى ، وهذا العـالم الأرحب هو عـالم الأدب والسـيـاسـة الراديكالية الشائعة آنذاك . يقول كازين عام ١٩٣٥ عند اكتشافه لهذا العالم الجديد الرحب أنه تمثل أباه وأمه وذويه اليهود كمـا لو كانوا شخصيات مأساوية شكسبيرية مثل شخصيتى هاملت والملك لير الأمر الذى جعله يدرك أن الفن والحق والأمل شئ واحـد .

وفى عـام ١٩٧٨ واصل كـازين حكايتـه كـيـهودى تحت عنوان «يهودى نيويورك» New york Jew ويتـضـمن هذا الكتاب الجديد تأكيدا لهويته اليهودية أكثر من أى وقت مضى فضلا عن إيمانه بأن اليـهـودى المهـاجـر إلى أمـريكا خـيـر من يرفع لواء الأدب الأمريكى فى مجالات الرواية والشعر والنقد والدراسات الأدبية ، وغنى عن الذكـر أن كـتـابه «على أرض الوطن» الذى يدور حـول تجاريه أثناء فترة الحرب العالمية الثانية وفى العقدين التالين لهما يتناول تلك الكوكبـة اللامعة من الأدباء اليـهـود الذين التفـوا حـول المجلة اليـهـودية «تعليق» . ويحـدثنا فـى هذا الكتـاب عن الهـوية

اليهودية معبرا عن شديد احترامه عن البيئة اليهودية الباكرة المتحدثة بلغة اليديش التى تربى فيها فى شرق أوربا غير أن اشاراته إلى ثقافة يهود اليديش الأدبية محدودة للغاية بسبب إنغماسه الكامل فى الثقافة الأمريكية باللغة الانجليزية ، فضلا عن أنه يهاجم موقف كثير من زملائه المذبذب وغير الواضح من الرجعية الكارثية كما أنه يعبر عن عظيم احتقاره وعدائه للمذهب الشيوعى .

وفى عام ١٩٦٦ جمع كازين طائفة مختارة من المقالات المنشورة فى مجلة «تعليق» تحت عنوان «قارئ مجلة تعليق» The Commentary Reader وقدم لها بمقال ناقش فيه موضوع «اليهودى ككاتب حديث . موضحا الدور الرائد الذى اضطلعت به هذه المجلة فى تعميق مفهوم الحداثة الأدبية . ويذهب كازين فى تقديمه لهذه المقالات إلى أن الجمهور الأمريكى أصبح مستعدا فى السنوات الأولى من القرن العشرين لتقبل اليهودى ككاتب أمريكى حديث ليس فى صحون الجامعات ولا فى الصحافة ولكن فى مسارح الفودفيل واللهو والضحك الرخيص وصالات الموسيقى والغناء ومسارح المهرجين وكتاب الأغانى اليهود . ومعنى هذا أن اعتراف الامريكان بحداثة اليهود فى مطلع القرن العشرين جاء أول ما جاء فى مجال الرخص والابتذال ، ولكن هذا الوضع

سـرعـان مـا تبـدل وتغيـر وذلك بعـد أن هاجـر عـدد من اليـهـود المسـتنيرين الذين عانوا من الاضطهاد فى الأحياء اليهودية فى شرق أوربا إلى الأراضى الأمريكية حيث عاش الكاتب اليـهودى المهاجر فى مفترق الطرق الثقافية متأرجحا بين الحياة والموت . ولهـذا كـان من الطبـيـعى أن يشـوب التـوتر نظرة الرعـيل من المهاجرين إلى الحياة . ولكن بحلول الثلاثينات من القرن العشرين أنجب جيل الآباء عددا من الكتاب اليـهود الموهوبين الذين انتجوا أدبا دراميا وروائيا باقيا ، هؤلاء اليـهود الموهوبون ساعدوا على خـروج يهـود أمـريكا من شـرنقـة المحليـة المحـدودة الضـيقـة وعلى احتضانهم نظرة أرحب وأوسع تتجاوز يهوديتهم . وقد خرج جميع هؤلاء الموهوبين من عـبـاءة مـجلتى «بارتـيزان ريفـيـو» و «تعليق» ليسيطروا بعد نبذهم للأفكار الماركسية (التى اعتنقوها فى بواكير حياتهم) على الجو الثقافى الأمريكى تاركين بصماتهم الواضـحة فـيه . يقـول كـازين فى هذا الشـأن : « يوجـد الآن روائيـون يهـود استطاعوا أن يتقنوا أدوات الرواية الحديثة المعقدة ، وأن يكتبوا بلغة انجليزية حبيبة إلى القلب وهم يتمتعون بالقدرة الفائقة على امتلاك العواطف لدرجة أن اللغة والشكل والذكاء الفنى أصبحت أشياء طبيعية بالنسبة لهم تماما كما كان ناموس موسى شيئا طبيعيا بالنسبة لاجدادهم» .

ليسلى فيلدر

على الرغم من أن الناقد اليهودى ليسلى فيلدر قد يكون أقل موهبة من أقرانه تريلنج وراهف وكازين فإن الفضل يرجع إليه فى إبراز دور المثقف اليهودى فى الحياة الأمريكية وهو يشبه زميله إرفنج هاو فى كثرة ما كتبه عن دور اليهود فى الأدب . وعندما نشر فيلدر مقالاته المجموعة Collected Essays فى جزء ين عام ١٩٧١ نراه يخصص ثلث أحد هذين الجزء ين لمناقشة الموضوعات اليهودية .

ولد فيلدر فى نيوجرسى عام ١٩١٧ واعتنق المذهب الشيوعى بتحمس شديد فى شبابه . ولكنه ما لبث أن نبذه بسبب محاكمات التطهير التى أجراها ستالين فى موسكو ، وأيضا بسبب معاهدة عدم الاعتداء التى عقدها هذا الديكتاتور مع الطاغية النازى أدولف هتلر عام ١٩٣٩ . ويبدو أن نبذه للشيوعية مرده حرصه على الاحتفاظ بجـــنوتها مشتعلة دون أن تصـــل إليها يد العطـــب أو الفساد . وهذا على أية حال ما يقوله الناقد الفريد كازين عندما قام بنقد كتاب فيلدر الصادر عام ١٩٥٥ بعنوان «نهاية البراءة»
An End to Innocence.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية كتب فيلدر فى مجلة «الكونجرس الأسبوعى » Congrass Weakly عن الصعوبات التى تعترض طريق المثقف اليهودى الذى يبغى العودة إلى حظيرة دينه، ويشكو فيلدر من أن اليهودية الأمريكية بوجه عام تمركز كل شئ فى الله مما لا يتفق مع مشارب اليهودى العائد إلى دينه والذى يرنو إلى الخلاص ويشتاق إلى «مجئ المسيح» اللذين يعتبرهما فيلدر أجمل شئ فى الديانة اليهودية على الاطلاق . ورغم أن رأى فيلدر هذا لا يتماشى مع الدين اليهودى التقليدى فإن فيلدر أقام علاقة طيبة مع المؤسسات اليهودية التقليدية بدليل ما سطره من مقالات فى عقد الستينات فى مجلة «اليهودية الأمريكية» American Judism»

وليس أن شك أن كتابات فيلدر الكثيرة عن وضع اليهود فى الأدب الأمريكى أثارت اهتمام الأدباء فى محافلهم وندواتهم ، وفى عام ١٩٤٨ أسهم فيلدر فى المناظرة التى عقدتها مجلة «البارتيزان ريفيو» بعنوان «حالة الكتابة الأمريكية » . وكان فى مقالته الوحيدة الذى دعا إلى ضرورة التوفر على مناقشة اسهام اليهود فى الأدب مبرزا أهمية كتابات كافكا . يقول فيلدر عن يهودية كافكا « إنها ليست مجرد صدفة عابرة ، فكلا اليهودى الحقيقى واليهودى المصنوع فى نسج الخيال (أى اليهودى الذى يظهر فى الأدب مثلما

يظهر على سبيل المثال فى رواية «يوليسيس» لچيمس جويس) يعطى الفترة الحالية مذاقها الخاص . ويشير فيلدر إلى جيل كامل من الكتاب اليهود فى سن الثلاثين تقريبا أمثال ديلمور شوارتز والفريد كازين وايزاك روزنفيلد وبول جودمان وشاؤول بيلو الذين يضربون المثل فى وقتنا الراهن على أن اليهودية شرط من شروط الفنان . فضلا عن أن ناقدنا كتب فى عام ١٩٤٩ مقالا مثيرا فى مجلة تعليق بعنوان : « ما الذى يمكن عمله بالنسبة لفاجين» . وفاجين كما نذكر هو رئيس العصابة اليهودى فى رواية ديكنز الشهيرة أوليفر تويست سلط فيه الضوء على ظاهرة العداء السافر للسامية الموجود فى التقليد الأدبى الانجليزى بل أيضا عند الكثيرين من كبار الأدباء المحدثين أمثال تى . س . اليوت وازرا باوند وشجعت هذه المقالة مجلة «تعليق» لعقد مناظرة خصصتها لمناقشة موضوع «الكتاب اليهودى والتقليد الأدبى الانجليزى» .

لن نجد من هو أكثر من فيلدر تقلبا وتغيرا فى أفكاره . ونحن نراه فى مقاله المنشور فى مجلة تعليق يتشبث باستحداث أسطورة جديدة كى يحارب بها الأسطورة القديمة المعادية لليهود والمتمثلة فى صورة اليهودى فى الأدب الانجليزى أى أنه اتبع المثل القائل : «وداوها بالتى كانت هى الداء» ومن ثم سعى إلى القضاء على الأسطورة التى تصور اليهودى كشيطان رجيم ليستبدلها فى لغة

واضحة باسطورة نمطية جديدة مضادة ترسم لنا صورة اليهودى كفنان يعانى من الاغتراب مثلما فعل كافكا عندما صور اليهودى (ك) كفنان إلى جانب تصوير جيمس جويس لشخصية يلوم فى رواية يوليسيس .

وأيضا أولى فيلدر اهتمامه بفكرة Archetype أى النموذج الأول الذى لا يعتريه تبديل أو تغيير عبر العصور المتعاقبة . هذا النموذج لا ينتمى إلى أية حقبة تاريخية معينة بل إلى كل الأحقاب ومن ثم فهو يتجاوز التاريخ . ويتجلى مفهوم فيلدر عن هذا النموذج الأول فى كتابه المهم «الحب والموت فى الرواية الأمريكية» الصادر عام ١٩٦٠ الأمر الذى دعا الناقد والمؤرخ الأدبى روبرت أولتر Robert Alter المتخصص فى دراسة شخصية اليهودى فى الأدب إلى التعليق بقوله إن فيلدر بعدم اكتراثه بالتاريخ يتورط فى مجموعة من الأخطاء واساءة التفسير مثل اعتقاده أن شخصية يوسف التى ورد ذكرها فى الكتاب المقدس لها ما يقابلها فى العصر الحديث فى أعمال كل من فرويد وكافكا . ويفسر فيلدر تاريخ الرواية الأمريكية بأنه مجموعة من النماذج الباقية على مر الدهور والأزمنة يشوبها عيب خطير يتمثل فى أنها تتحاشى الخوض فى الجنس وتولى الموت شديد عنايتها ، وهكذا يطبق هذا الناقد على الرواية الأمريكية فكرتين جذريتين مستمدتين من علم النفس الفرويدى وهما الايروسى Eros أى شهوة الجنس والثانتوس Thanatos أى

الخوف المرضى من الموت . وقد كتب فيلدر كتابه الهام «اليهودى فى الرواية الامريكية» (١٩٥٩) فى ضوء هاتين الفكرتين .

ولم تقتصر كتابات فيلدر عن اليهود على الرواية بل امتدت إلى النقد الأدبى ، ورسم لنا فى هذا النقد سمة عامة تجمع بين جميع اليهود فى مشارق الأرض ومغاربها مفادها أن اليهودى بالضرورة انسان مغترب وفى عام ١٩٦٢ اشترك مع ثلاثة من الأدباء هم دافيد بوروف David Boroff وماكس ليرنر Max lerner وفيليب روث philip Roth فى حوار أمريكى إسرائيلى نظمه المؤتمر اليهودى الأمريكى حول معنى الهوية اليهودية من وجهة نظر المثقفين الغربيين ، وقدم فيلدر مفهومه لهذه الهوية فقال إنها بكل بساطة تتمثل فى شعور اليهودى بالاغتراب وأنه فى منفى فضلا عن أنه سوف يجد نفسه فى كل لحظة غريبا فى أى مكان يوجد فيه . ووافق فيلدر على تفسير روث القائل بأن اليهودى منشق بالضرورة ولكنه آثر القول إنه واجب اليهودى هو الشهادة الحق (ضد الجهل والخمول والتمييز العنصرى وانتهاك المثل وضد الرشوة والفساد . وينتقد بعض النقاد هذا المفهوم للهوية اليهودية ويرون أنه مفهوم دينى وأخلاقى وليس مفهوما عرقيا فهو لا يقيم وزنا للاختلاف العرقى الذى يتسم به اليهود عبر الزمن عن سواهم من البشر ، فضلا عن أنهم يرون أن الانشقاق ليس مقصوراً على

اليهود لأن فيهم من ينزع إلى الانشقاق وفيهم من ينزع إلى التماثل ، وهناك بطبيعة الحال وشائج من القربى تربط بين تحريض اليهودى بأنه الشاهد على الحق وبين انشقاقه البطولى عن البنية التى يعيش فيها ، ولهذا يقبل فيلدر الفكرة القائلة بأن اليهود شعب الله المختار ولكنه يستطرد قائلا إن المختار لا يتمتع بحق الاختيار لأنه محكوم عليه الادلاء بالشهادة الحق تحت كل الظروف ، والذى يعزز نزعة اليهودى إلى احقاق الحق هو أنه دائما أبدا مضطهد فى كل العصور ، والغريب أن ينسب شهادة الحق إلى اليهودى فقط دون خلق الله جميعا ويقول فيلدر إن شهادة الحق تقتضى من اليهودى الوقوف فى وجه تحيز الرجل الأبيض ضد الزنوج واعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية . ويبدو أن شغل فيلدر الشاغل كان تحسين صورة اليهودى فى ذهن الأمريكان وتحبيبهم فى خصاله ، الأمر الذى دعا روبرت أولتر عام ١٩٦٨ إلى القول : « هناك مؤامرة مسكوت عليها تحاك فى السنوات الأخيرة من أجل زرع خصال يهودية متنوعة تدعو إلى الإعجاب بين الجمهور الأمريكى فى حين أن هذه الخصال الحميدة هى فى واقع الأمر سمات إنسانية عامة يتسم بها كل البشر» .

والجدير بالذكر أن اهتمام فيلدر الشديد بالدور الذى يلعبه اليهودى فى الأدب أخذ يخبو ويضمحل بانتهاء عقد الستينات .

إرفنج هاو

بالرغم من أن إرفنج هاو كان أصغر النقاد والأدباء اليهود سنا فقد كان نفوذه فى الحياة الثقافية الأمريكية عميقا إذ أن الفضل يرجع إليه أكثر من غيره فى إبراز الدور الذى لعبه اليهودى فى الأدب الأمريكى الحديث ، فضلا عن أنه مسئول عن زيادة وعى الأمريكان بالتقاليد اليهودية الاجتماعية والثقافية .

ولد هاو فى مدينة برونكس بالولايات المتحدة عام ١٩٢٠ من أبوين مهاجرين فقيرين ، وذلك بعد مولد تريلنج بخمسة عشر عاما وكازين بخمسة أعوام وفيلدر بثلاثة أعوام . وقد جاء ت كتاباته عن اليهود كرد فعل للهولوكست أو الابادة النازية الجماعية لليهود مما زاده اقتناعا بفكرة إنشاء دولة لليهود ، وهو لم يكتف باستجلاء كتابات اليهود المعاصرين له بل كرس وقته كى ينقل إلى الجمهور الأمريكى جانبا من التراث الثقافى المكتوب بلغة اليديش التى يستخدمها اليهود فى روسيا وشرق أوربا ، الأمر الذى دعاه إلي الاشتراك مع شاعر اليديش اليزر جرينبرج Eliezer Greenberg فى نشر عدة مجلدات تحتوى على ترجمات انجليزية لأدب اليديش فى قصص وشعر ومقالات ومذكرات ويوميات الخ .. وفى عام ١٩٧٦ ظهر عشقه لأدب اليديش فى شكل كتاب ذائع

الصيت ألفه إرفنج هاو عام ١٩٧٦ بعنوان « عالم أجدادنا »
The World of Our Fathers.

قلنا إن رد فعل هاو ضد الهولوكست تمثل في عمله الدائب على إشاعة أدب اليديش بين اليهود وغير اليهود على حد سواء ، في حين انصرف غيره من الصهاينة في نشر الوعي بالأدب العبرى ومصير الشعب اليهودى مثلما فعل روبرت أولتر الذى دفعه الإيمان بالمذهب الصهيونى إلى الاهتمام البالغ بنشأة دولة إسرائيل . والفرق بين أولتر وهاو أن الأول كان يدين بالصهيونية الخالصة فى حين كان الثانى رغم يساريته ورفضه للصهيونية مدافعا قويا عن وجود الدولة الإسرائيلية .

وبسبب اهتماماته السياسية القوية تنوعت الموضوعات التى كتب فيها ارفنج مثل «تاريخ الحزب الشيوعى الأمريكى» (الذى ألفه بالاشتراك مع لويس كوزر Lewis Coser) وعلم الاجتماع والنظريات الاشتراكية إلى جانب سيرة حياة بعض الأدباء ، وفى عام ١٩٥٤ أسس مجلة «الانشقاق» Dissent اليسارية الليبرالية وكتب سيلا من المقالات الصحفية ذات الصبغة السياسية والاجتماعية إلى جانب طائفة من سير حياة الأدباء مثل «شيروود أندرسون» (١٩٥١) و«وليم فوكنر» (١٩٥٢) و«توماس هاردى» (١٩٦٧) ونبذة عن حياة تروتسكى (١٩٧٨) وحتى فى أيام الطلب

بكلية بروكلين الامريكية اهتم إرفنج هاو بتحليل عقلية المثقفين اليهود المعاصرين له . وفى شهر سبتمبر ١٩٤٧ نشرت له مجلة «تعليق» مقالا مهما بعنوان: «المثقف الشاب الضائع: رجل مهمش يعانى من غربتين» ، يقول هاو فى هذا المقال : «من الصعب أن يكون المرء يهوديا ومن الصعب أيضا ألا يكون كذلك. » ويضيف أن اليهودى فقد إحساسه بالاستمرارية التى كان أجداده يستمدون كيانهم منه. «هذا اليهودى يختلف عن جيل الآباء والأجداد الذين اقتصر طموحهم على إصابة النجاح المهنى فاليهودى الجديد ثائر وراديكالى يناهض الحياة البورجوازية . ثم أن اهتمامات اليهود الثقافية المتنوعة متفرقة الأمر الذى يعترض سبيل التواصل مع غيرهم. ومن المفارقة أن جيل المهاجرين الآباء أنفسهم يتغير بمضى الزمن فعندما يكبر الأولاد يكون الآباء قد بدأوا فى التأقلم على حياة المهجر والاندماج فيه. وهنا تظهر المفارقة فى أن أبناءهم الثائرين هم الذين يصبحون غرباء جدد» وقد رفض هاو اقتراح بعض اليهود الصهيونية كحل ومطالبتهم بالعودة إلى التقاليد اليهودية كبديل لهذه الغربة. فضلا عن أن نزعة هاو اليسارية تجعله يرفض فكرة التعليم اليهودى وإعادة بناء المجتمع اليهودى

والثقافة اليهودية باعتبارها أفكارا انغلاقية أو انعزالية تزيد من اتساع الفجوة التى تفصل بين اليهود والمجتمعات التى يعيشون فيها.

ويذهب هاو – دون أن يقول هذا صراحة – أن الحل لمشكلة الأقليات اليهودية يكمن فى المذهب الاشتراكى أى اقامة مجتمع أمريكى يندمج فيه اليهودى ، وعلى أية حال انتشرت هذه النزعة الثورية والراديكالية بين يهود أمريكا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة. وكما أسلفنا انتهى الأمر بهؤلاء اليهود الراديكاليين والثوريين إلى التصالح مع المجتمع الأمريكى عندما أتاح لهم هذا المجتمع الفرص الاجتماعية والمهنية والاقتصادية التى كانوا يتطلعون إليها. غير أن هاو ظل يستمسك بالمذهب الاشتراكى على عكس معظم زملائه الذين نبذوه من جماعة مثقفى نيويورك التى التفت حول مجلتى «بارتيزان ريفيو» و«تعليق» . وهما المجلتان اللتان أسهم هاو فيهما بمقالاته.

ويتضح لنا اهتمام هاو الشديد بموضوع اليهودى فى الأدب فى مقال آخر نشره فى أغسطس ١٩٤٩ فى مجلة «تعليق» تحت عنوان «الغريب والضحية هما نمطا الرواية الأمريكية» . ويتناول هذا المقال طريقة معالجة الكتاب اليهود على أيدى الكتاب اليهود

أمـثال ابراهـام كـاهـان Abraham Cahan وهنرى روث Henry Roth إلى جانب الكتاب غير اليهود المنتمين إلى عقد العشرينات.

ويلاحظ هاو أن مـعظم الروائيين الأمـريكان ينكرون فى رواياتـهم على اليـهودى «الحق الوحيد الذى يحتاج إليه اليهودى وهو وجوده كانسـان متكرر له فرديته الخاصة به» . وفى عدد مجلة «تعليق» الصادر فى أكتوبر ١٩٤٩ أسـهم هاو بمقال حول الموضوع الذى طرحـته للمناقشـة هذه المجلة بعنوان: «الكاتب والتـقليد الأدبى والإنجليزى». ويتضح من مقاله أنه لا يتسامح بالمرة مع معاداة السامية أيا كان مصدرها. ولكنه يرى أن عداوة الشاعر الانجليزى تشوسر للسامية لها بعض التبرير لأن تشوسر الذى عاش فى القرن الرابع عشر كتب فى جو تسيطر عليه المفاهيم المسيحية التى تناصب اليهودية العداء فى حين أنه ليس هناك مبرر على الاطلاق للعداوة التى يظهرها فى العصر الحديث درايزر وإليوت وباوند نحو السامية. ويعبر هاو عن ضيقه بالتقليد الأدبى الانجليزى الذى يقدم إلينا اليهودى بصورة كاريكاتورية. ويختتم هاو مقاله قائلا: «لا ينبغى أن تؤثر فينا أية أفكار عن سمو الأدب أو قداسة الفن فتمنعنا من التعبير عن مشاعرنا التلقائية المتأججة نحو الكتاب

المعـاصـرين الذين يسلمـون أنفسـهـم بإرادتهم أو بغـيـر إرادتهم لمعاداة السابقة».

أشـرنا فـيمـا سـبق إلى أن هاو كـان يتـخـذ مـواقف فكرية وسياسية تختلف عن المواقف التى اتخذها عدد كبير من المثقفين فى مدينة نيـويورك الذين هللوا مرحبين بفترة الرخاء والازدهار فى أمريكا عقب الحرب العالمية الثانية كما رحبوا بسياسة الحرب الباردة التى اتبعتها الحكومة الأمريكية آنذاك مع الكتلة الشيوعية الشرقية. وكما أشـرنا من قبل تخلى معظم المثقفين اليهود الملتفين حول مجلتى بارتيزان ريفيو وتعليق عن ايمانهم الباكر بالاشتراكية وأصبحوا يضمرون العداء المتأجج للدكتاتورية الستالينية . ولكن هاو رفض أن يحـذو حـذوهم وظل يحتـفظ بإيمانه بضـرورة الاشتراكية منتقدا المكارثية بسبب اثارتها للديماجوجية والغوغائية فى عداء الأمريكان ضد الشيوعية. فلا غرو إذا رأيناه يعبر عن رفضه للسياسة الأمريكية القائمة على الحرب الباردة، ويعبر عن هذا الرفض فى المناظرة التى عقدتها مجلة «بارتيزان ريفيو» عام ١٩٥٢ بعنوان «بلدنا وثقـافتنـا» وأولى غاليـة زملائه من المثقفين ممن أسـهموا بأقلامـهم فى تحـرير البـارتيـزان ريفـيـو ظهورهم للاشتـراكـية ونددوا بها مكرسين كل طاقتهم للهجوم على أخطار

الثقافة الجماهيرية التجارية. وأنحى هاو باللوم عليهم واتهمهم بأن مقتهم للستالينية فاق مقتهم لنشوب حرب ثالثة. وأكد هاو استمساكه بالماركسية: «إن الماركسية تبدو لى أفضل الطرق لصنع التاريخ وفهمه» . كما أنه هاجم المكارثية لما تنطوى عليه من خطر على الحريات المدنية على عكس معظم أقرانه الذين ارتضوا بها . وفى العدد الصادر فى يناير - فبراير ١٩٥٤ فى مجلة «البارتيزان ريفيو» شن هاو هجوما عاتيا على المثقفين الأمريكان الذين يقبلون المجتمع الأمريكى على علاته . وقد ضمن هاو نقده هذا فى مقال بعنوان «عصر التماثل» The Ag of Conformity . ثم أنشأ فيما بعد مجلة «انشقاق» التى دافع فيها عن المذهب الاشتراكى الذى فهمه على نحو يكتنفه الغموض .

استمر ارفنج هاو فى تأليف الكتب والمقالات الأدبية إلى جانب اهتمامه بالموضوعات ذات الطابع الاجتماعى والسياسى وبالدور الذى يلعبه اليهودى فى الحياة العصرية وخاصة فى الأدب الأمريكى الحديث. ولم يقم هاو وزنا للمعايير الشكلية والجمالية التى وضعتها مدرسة النقد الجديد والتى تتناول الأعمال الأدبية فى سياق اجتماعى وتاريخى مما يذكرنا بالأسلوب الماركسى فى

معالجة الأدب ، ولكن تحليله للظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى نشأت فيها الأعمال الأدبية لم يكن بعمق واتساع ودقة وتفصيل النهج الماركسى التاريخى والاجتماعى للمصادر التى تستمد الأعمال الأربعة جذورها. ويعتبر كتابه «السياسة والرواية» Polities and the Novel (١٩٥٧) من أبرز مؤلفاته النقدية. ويبدو أن عقد الستينات شاهد تغيرا فى موقفه الراديكالى وفى مشاعره المائلة إلى اليسار الجديد. فهو لم يعد يحمل له نفس حماسه السابق لهذا اليسار. ومعنى هذا أن عداوته للطبقة الوسطى بقيمها المادية ورضائها عن النفس خفت حدتها عن ذى قبل. ويتضح لنا تغيره هذا من المقال الطويل الذى كتبه فى مجلة «انشقاق» بعنوان أساليب جديدة فى المذهب اليسارى» New Styles in Leftism ، وقد لاحظ الناقد البريطانى اليسارى الكبير راموند وليامز Raymond Williams هذا التغير أثناء عرضه لكتاب هاو «العمل الجاد الدءوب» Steady Work فى مقال كتبه بعنوان «مقالات حول السياسة الراديكالية الديموقراطية منذ عام ١٩٥٣ حتى عام ١٩٦٦.. يقول راموند وليامز إنه كان يتوقع من كتاب هاو أن يدافع عن المذهب الاشتراكى والراديكالى الذى ينتقد عيوب

المجتمع الأمريكي. ولكن اتضح له أن مساحة مثل هذا النقد الوارد في الكتاب محدودة للغاية وأن المؤلف يخصص صفحاته للهجوم على جماعة اليسار الجديد.

ويتضمن كتاب هاو «عالم آبائنا» المنشور عام ١٩٧٦ (الذى يدل على تمكنه من انتهاج المنهج الاجتماعى فى النقد الأدبى) تحية تقدير وولاء لأجداده يهود أمريكا الذين انحدر من صلبهم. ومما زاد من شعوره بأن الواجب يحتم عليه مثل هذا الولاء اعتقاده بأن مجتمع اليديش ولغته ليس لهما أى مستقبل يبشر بالخير. ولكن يبدو أن اعتقاده هذا ليس له نصيب من الصحة فقد استمر الاهتمام بلغة اليديش لعدة أجيال لاحقة. والجدير بالذكر أن هاو استعان بزميل له يدعى كنيث ليبو Kenneth Libo وبثلاثة عشر معاونا له فى كتابه هذا السفر الضخم الذى يبلغ سبعمائة صفحة. وأصاب هذا الكتاب نجاحا عظيما ففاز بجائزة بولتزر فى التاريخ وطبقت شهرته الآفاق الأمريكية. ويتتبع هاو فى كتابه اضمحلال ثقافة اليديش فى الولايات المتحدة الأمريكية بسبب طغيان الثقافة الأمريكية عليها. والكتاب مكتوب من منظور اشتراكى وعلمانى ومن وجهة نظر اليهود المهاجرين إلى أمريكا.

يقول هاو فى مقاله «الروائيون اليهود الأمريكان» إن الانتاج

الأدبي اليـهودي منذ عقـد الثلاثينات اتسم بالمحلية شـأنه في ذلك شـأن الكتـابات التي دبجـهـا كتـاب الجنوب الأمـريكي وأن نفس الشيء كان مـصـير ثقافـة الجنوب الأمريكي التي تفككت وتحللت بسبب انتشار التصنيع فيه. ويذهب هاو إلى أن التطور اليهودي أثرى اللغة الانجليزية بفضل تأثير أساليب البيديش فيها، وتأثر لغة البيديش بالانجليزية خلقا وأسلوبا نثريا أمريكيا جديدا ومدهشا» وقد عالج هاو هذا الموضوع باستفاضة في مقال بعنوان «غرباء» Strangers صدر به كتاب «احتفالات وهجمات! ثلاثون عاما من التعليق الأدبي الثقافي» (١٩٧٩) . ويضم هذا الكتاب بين دفتيه طائفة من المقالات القصيرة التي سطرها هاو في الفتـرة بين الأربعينات والسبعينات . ويذكر أن الكاتب اليهودي الحديث يشعر بأن فحول الأدب الروسي أمثال ليو تولستوي وايفان تورجنيف وتشيكوف أقرب إلى قلبه من التقليد الأدبي الأمريكي الفردي الذي أرسـاه رالف والده إمـرسـون Ralph Waldo Emerson ووالت ويتمان Walt Whitman ويقول إن الكاتب اليـهـودي الأمريكي استمد كتاباته من ماضيه لأن هذا الماضي هو الشيء الوحيد في أمريكا الذي يعرفه عن كثب معرفة وثيقة ويمكنه أن يسبر أغواره . ويرى أن الكاتب اليهودي الأمريكي يفتقر إلى معرفة ثقافة البيديش

معرفة جيدة . بل أن صلته بلغة اليديش التى كان أسلافه يستخدمونها فى بلادهم الأصلية اعتراها الضعف والوهن. ولهذا بدأت أنظارهم تتجه شطر البنية الأمريكية والمجتمع الأمريكى بوجه عام. وأيضا اقتصرت تجاربهم وخبرتهم على الحياة فى الحضر الأمريكى وليس فى الريف الأمريكى وعلى معرفتهم الوثيقة بظروف بيئتهم الامريكية وما ورثوا عن آبائهم وأجدادهم المهاجرين من عادات وتقاليد. وهكذا استطاع الكتاب اليهود بموهبتهم الأدبية أن يدخلوا صوتا جديدا على لغة الرواية وتعميق عنصر السخرية الفذة فيها. ومن ثم استحدث هؤلاء الكتاب اليهود الأمريكان أسلوبا أمريكيا جديدا فى الكتابة تمتزج فيه السخرية الروعة بالعواطف المفرطة بدون ضابط أو رابط وبالحكمة النابعة من قاع المجتمع ، وأيضا بآثار التعليم الجامعى العالى الذى حظى به جيل اليهود الأبناء . ويذهب هاو إلى أن التجديدات الأسلوبية التى استحدثها فى الأدب الأمريكى كل من الكاتبين الأمريكيين همنجواى وفوكنر ترتبط ارتباطا وثيقا بالكتاب والمؤلفين اليهود والأمريكان. والرأى عنده أن أسلوب الروائى اليهودى شاؤول بيلو أفضل مثل يمكن أن يساق على عمق الأثر اليهودى فى الأدب الأمريكى.

٤ ـ أدب الاغتراب

ديلمور شوارتز

تعتبر القصة التى نشرها ديلمور شوارتز فى أول عدد صادر من مجلة بارتيزان ريفيو فى شهر ديسمبر عام ١٩٣٧ بعنوان «فى الأحلام تبدأ بالمسئوليات In Dreams Begin Responsibilites رمزا يشير إلى ظهور الجانب الخلاق الذى مارسه يهود أمريكا فى تأليف القصص وقرض الشعر. أصبح شوارتز بين ليلة وضحاها الرائد الذى مهد الطريق لبزوغ عقلية جديدة وأدب جديد. مزج شوارتز فى أدبه بين نفض الأوهام والاستيقاظ إلى الحقيقة السياسية من ناحية وبين مذهب الحداثة الوجودى من ناحية أخرى. فضلا عن أنه أفضل من عبر عن روح الجيل الثانى من اليهود المهاجرين إلى أمريكا. ذلك الجيل الذى تأرجح وتذبذب بين أصوله العائلية اليهودية وبين بيئته الجديدة فى أرض المهجر، ومهما قيل عنه فليس هناك أدنى شك فى ريادته للأدب اليهودى الأمريكى الذى دار حول اليهودى كشخصية محورية.

ولد شوارتز فى بروكلين بأمريكا عام ١٩١٣ من الطبقة الوسطى. ولم يعرف أبواه طعم السعادة فى حياتهما الزوجية. وكان والده وهو زير نساء رجل أعمال ناجح انفصل عن عائلته عندما كان ابنه فى الثامنة من عمره. وترك الشقاق بين والديه

ندوبا عميقة فى نفسه لم تنجح الأيام فى شفائه منها. ويتضح لنا هذا بجلاء فى قصته «فى الأحلام تبدأ المسئوليات» . ورغم أن الروح العامة التى شاعت فى مجلة بارتيزان ريفيو فى فترة الثلاثينات اتسمت بالتفاؤل والاستبشار خيرا بالمستقبل فإن الأدب المتشائم الذى أنتجه ديلمور شوارتز كان نغمة نشازا فى هذا الجو المتفائل. وهو على أية حال لم يكن الكاتب الوحيد آنذاك الذى غمر التشاؤم كتاباته. فقد ألف روبرت م. آدمز Robert M. Adams عام ١٩٦٦ كتابا عن العبث الوجودى واليأس من الحياة وفراغها بعنوان «العدم: حكايات عن انتصار الفراغ فى ميدان الأدب فى القرن التاسع عشر».

Nil : Episodes in the Literary Conquest Of Void in the Nineteeth Century

يقول آدم فى كتابه «إن الفراغ أصبح يسكننا - كما تسككننا الأرواح والعفاريت فى مجالات الفن والأدب والعلم والثقافة بوجه عام. ويتتبع المؤلف وجود هذا الفراغ فى كثير من الكتاب أمثال نوفاليس Novalis ودى كوينس De Quincey وفلوبرت وبودلير ومالارميه وعند رواد الحداثة فى أمريكا أمثال ادجار آلان بو Edgar Allen Poe وهيرمان ميلفيل Melville . ومن نافلة القول أن تحليل آدمز يمكن أن ينطبق على الكثير من أعلام الحداثة فى

أوربا فى القرن العشرين أمثال كافكا وييتس و ت. س. إليوت وإزرا باوند وفاليرى. ولا ريب أن شوارتز مزج الظروف التعسة الخاصة التى نشأ فيها بظروف المجتمع الأمريكي العامة وعدم ارتياحه عن نشأته اليهودية فى مجتمع لا يحمل الود لليهود ، حيث خالط جماعة من المثقفين اليهود الراديكاليين النابهين الناقدين للمجتمع الأمريكى فى فترة الكساد العظيم. وتنبه شوارتز الذى تأثر بالفكر الماركسى إلى تمرغ التجربة السوفيتية فى وحل الطغيان الستالينى الأمر الذى أفضى به إلى مكابدة الاغتراب. ومن المؤكد أن شعر ت. س. إليوت وخاصة قصيدته المعروفة «الأرض الخراب» عمقت فيه الشعور بالاغتراب . فلا غرو إذ أصبح نبى الاغتراب فى عالم الأدب الأمريكى.

احتضنت جماعة البارتيزان ريفيو - التى كان شوارتز أحد أعمدتها - فكرة الاغتراب كمظهر من مظاهر الحداثة فقد أحس بهذا الاغتراب كل من اليهوديين فرانز كافكا ومارسيل بروست إلى جانب شخصية بلوم التى رسمها جيمس جويس فى روايته «يوليسيس». وقد عبر شوارتز بجلاء عن فكرة الاغتراب فى مسرحيته القصيرة «شننندوه Shenendoah» التى تدور أحداثها حول طقس مهم للغاية عند اليهود هو طقس الختان الذى اعتبره

شوارتز بمثابة علامة تدل على أن اليهود هم شعب الله المختار وأن الله قد اصطفاهم من أجل التجوال والغربة.

وقد عبر الشاعر شوارتز عن أفكاره عن الاغتراب في قالب نثرى عام ١٩٤٤ في المقال الذى أسهم به في المناظرة التى تحمل عنوان «تحت سن الأربعين» وهو فى ذروة مجده الأدبى وريادته للحداثة فى أمريكا حيث استقبل الأمريكان مجموعته القصصية «فى الأحلام تبدأ المسئوليات» (١٩٣٨) بالتهليل والتكبير وحظى بتقريظ لم يحظ به شاعر آخر منذ ظهور الشاعر الانجليزى المعروف أودين. وفى عام ١٩٤٣ ألف شوارتز قصيدة طويلة ضمنها سيرته الذاتية اعتبرها بعض النقاد أهم أعماله. وعندما كان شوارتز يحاضر فى الأدب الانجليزى بجامعة هارفارد عام ١٩٤٤ مزج بحسم وقوة يهوديته بالاحساس بالاغتراب الذى أسهم به فى المناظرة المشار إليها. يقول شوارتز فى هذا الشأن: «شاهدت فى يهوديتى رمزا رئيسيا للاغتراب .. كدلالة على الحياة الحديثة».

ويذهب شوارتز إلى أن احساس اليهودى بالاغتراب يعود إلى تأرجحه بين عالمين: العالم اليهودى الذى يتحدر منه والعالم غير اليهودى الذى يعيش فيه. فرغم أن اليهودى يتأقلم بمرور الوقت

على العالم غير اليهودى الغريب عنه فإنه يستحيل عليه الانصهار فيه مائة فى المائة. ومن ثم فإن انتماءه إلى كلا العالمين انتماء هامشى على حد تعبير علماء النفس. والكتاب اليهود فى أمريكا دون سواهم مؤهلون للتعبير عن هذه الغربة بفضل وجودهم الهامشى فى المجتمع الأمريكى وتأرجحهم بين مجتمع المولد ومجتمع التربية والنشأة والتعليم. فهؤلاء اليهود يفوقون غيرهم فى شدة حساسيتهم إلى انتمائهم الهامشى إلى كل من هذين العالمين. وهذه التجربة اليهودية القائمة على الاغتراب لها ما يقابلها على الصعيد الفلسفى فى المذهب الوجودى الذى شاع فى اتجاه أوربا عقب الحرب العالمية الثانية وهو المذهب الذى دعا إليه كل من الفيلسوفين كير كجارد وجان بول سارتر. وهكذا تآلفت واجتمعت عدة عناصر بعد الحرب العالمية الثانية من أجل العمل على انضاج الأدباء اليهود من الجيل الثانى أمثال ديلمور شوارتز الذى سطعت موهبته ليحمل لواء الوجودية فى الحياة الثقافة الأمريكية.

إن شوارتز لم ينس يهوديته فى أى يوم من الأيام ويبدو أنه لم يتعرض إلى أى اضطهاد أو سوء معاملة بسببها فى مدينة نيويورك حيث أمضى شبابه. ويبدو أيضا أن استمساكه بيهوديته آنذاك كان بالنسبة له مسألة كرامة لا أكثر ولا أقل. ومع ذلك فهو

يخبرنا فى «تكوين» Genesis أنه تعرض لمضايقات فى طفولته بسبب يهوديته. وعلى أية حال يمكن القول إن حساسيته إلى جذوره اليهودية تعود إلى الفترة التى أعقبت مغادرته لمدينة نيويورك لاستكمال دراسته وخاصة فى فترة التحاقه بجامعة هارفارد التى تخرج منها ليعمل مدرسا فى عقد الثلاثينات. وفى عام ١٩٣٩ عاد شوارتز إلى جامعة هارفارد لتدريس الانجليزية فيها.. وهناك ساءه ما لاحظه من مظاهر معاداة السامية وبالغ فى تضخيمها . ومما عمق شعوره بالغربة فى جامعة هارفارد ضآلة أعداد الطلبة اليهود الملتحقين بها. ويذكر جيمس أتلاس James Atlas كاتب سيرة حياته أنه تعذب كثيرا فى جامعة هارفارد بسبب يهوديته.

ورغم شدة اعجابه بشعر ت. س. إليوت فإنه استشاط غضبا بسبب ما تضمنه هذا الشعر من عداء سافر لليهود. ووصف شوارتز هذا العداء بأنه شىء مروع وفظيع. يؤكد جيمس أتلاس أن شوارتز ظل يذكر على الدوام كراهية إليوت ضد اليهود. وهو ما يقرره بكل صراحة فى كتابه الذى لم ير طريقه إلى النشر عن إليوت. ولم يغفر شوارتز لاليوت أنه قال فى كتابه «بحثا عن آلهة غريبة» After Strange Gods ونحن نجد فى المجتمع الصالح أن

العقل والدين يسعيان إلي القول بأن الزيادة الكبيرة فى أعداد اليهود الملاحدة شيء شاذ وغير مرغوب فيه على الاطلاق. «ورغبة منه فى الثأر من ت. س. إليوت لهجومه على اليهود نراه يشدد النكير على طائفة الكاثوليك الانجليكان التى تحول إليها إليوت بعد أن اهتدى إلى المسيحية الحقة . وأيضا ضاق شوارتز ذرعا بالصورة النمطية الكريهة لليهود كما رسمتها كل من أديث وارتون Wharton Edith فى كتابها «منزل من المرح» House of Mirth والروائي الكبير هنرى جيمس فى كتابه «المنظر الأمريكى» The American Scene بل أنه اعتبر هجوم هنرى جيمس على الأمريكان بمثابة قذف وسب شخصى ضد والديه اليهوديين اللذين عاشا آنذاك فى نفس المنطقة التى كتب عنها هنرى جيمس. زد على ذلك أن الغضب العارم اجتاحه بسبب اشارات الشاعر إزرا باوند المعادية لليهود التى ضمنها كتابه «المرشد عن كلثور» (١٩٣٨) Guide to Kulcher لدرجة أنه كتب رسالة إلى إزرا باوند يقول فيها إنه تراجع عن الاعجاب به ولم يعد يعترف بأستاذيته عليه.

ورغم كل هذا فلا مناص من الاعتراف بأن شوارتز استطاع أن يتذوق الأعمال الخلاقة رغم ما تتضمنه من هجوم على اليهود. وشوارتز على أية حال لم يستخدم بوضوح موضع معاداة السامية

فى مؤلفاته القصصية باستثناء قصة واحدة هى قصته التى تحمل عنوان «مهزلة مريرة» A Bitter Farce. وفيها يشير المؤلف إلى تفشى معاداة السامية بشكل واضح بين طلبة جامعة هارفارد وأنهم عبروا عن هذا العداء دون مداراة فيما سطروه من مقالات وموضوعات الانشاء أثناء الحرب العالمية الثانية.

ويدرك شوارتز أن كل قصصه وشعره يتضمن عنصر اليهودية بصورة حيوية على نحو ما . وهو لا يفتأ يردد أن وضع اليهود جعل منه رمزا جاهزا للاغتراب فى المجتمع الحديث. وفى عام ١٩٥١ نشر شوارتز فى مجلة الشعر Poetry مقالا بعنوان «حرفة الشاعر فى العالم الحديث». The Vocation of the Poet in the Modern World اعترف فيه بالأثر الكبير الذى تركه صديقه المؤرخ الناقد ماير شابيرو Meyer Schapiro على مفهومه للشعر. وشوارتز شديد الاقتناع باغتراب الشخصية اليهودية وعدم امكانية تحطيمها. فهى صلبة كالحجر الصوان واليهودى مغترب عن بلده وعن نفسه. ورغم هذا فهو يظل على قيد الحياة فى مواجهة قوى التاريخ العاتية الجبارة المدمرة. ومن ثم يجب أن يكون الشاعر مستعدا للاغتراب والصمود أمام قوى الفناء فى مستقبل مروع لا يمكن التنبؤ به. ونحن نراه يدرك كآبة هذا

المستقبل فى وقت باكر يرجع إلى عام ١٩٣٨ وهو العام الذى يشهد اكتساح النازية الألمانية لما عداها من قوى سياسية. وتتضمن قصته القصيرة «ليلة رأس السنة» هذا الإدراك المبكر لكآبة المستقبل ، وتروى لنا هذه القصة وضعا للاحتفال الذى تقيمه مجموعة من محررى مجلة «بارتيزان ريفيو» بمناسبة قدوم عام ١٩٣٨ التى قال المؤلف عنها متشائما: «لم يكن أحد يعرف أنه فى تلك السنة سوف تعقد معاهدة ميونيخ المستسلمة المخزية. ولكن كل الناس كانوا يدركون أن حربا جديدة سوف تندلع عن قريب بسبب إيمان جماعة من البشر العزل وغير المهتمين بالله ، وأيضا بضرورة إقامة مجتمع عادل لدرجة أنهم كانوا على استعداد لأن يدفعوا من أجل إقامته الثمن غاليا» . ولم يخف شوارتز فى قصته السبب المزدوج فى اغترابه فهو نهبة شعورين: شعور بما يتهدد العالم من مخاطر الفناء وشعور بأن أحلامه فى الاتحاد الاشتراكى كقوة اشتركية قد تبددت.

ولعلنا نتساءل ماذا تعنى اليهودية بالنسبة لديلمور شوارتز وبالنسبة لمعظم أبناء الجيل الثانى من اليهود المهاجرين إلى أمريكا. هذه الهوية اليهودية قامت فى الأغلب الأعم على عدم تأقلم اليهود الكافى مع بيئة بلاد المهجر. فضلا عن عدم التزامهم بديانة

المولد اليهودية إلى جانب عدم اهتمام الجيل الثانى من اليهود بمعرفة حقيقة الدين اليهودى والتاريخ اليهودى. وبمعنى آخر إن يهوديتهم أقرب ما تكون إلى الشكل منها إلى الجوهر والمضمون. فهى يهودية قائمة على مجرد مراعاة العادات والتقاليد والطقوس اليهودية. هذه هى يهودية ديلمور شوارتز ولكن الشىء البارز الذى أثار اهتمام أديبنا فى حياة اليهودى الأمريكى هو أنه يستخدم اللغة الانجليزية على نحو خاص. ويتضح لنا هذا الاهتمام اللغوى بجلاء من قصته «أمريكا أمريكا» America America التى تعالج صعود عائلة يهودية السلم الاجتماعى وطريقة استخدامها للغة الأمريكية. ونلاحظ فى هذه القصة أن مشاعر مؤلفها تتأرجح بين نقيضين هما الشعور بغربته عن عالم اليهود وشعور مضاد بأن عرى التلاحم التى تنفصم تربطه بهم فهو يشاركهم نفس الهواء الذى يتنفسونه والعصر الذى يعيشون فيه والعذاب الذى يكابدونه. وهكذا يجد المؤلف نفسه نهبا مقسما بين ثقافتين. ثقافته اليهودية المولود فيها وهى ثقافة موروثة ليس له أى يد فيها وثقافة أخرى فى اختياره هى ثقافة الحداثة الأثيرة إلى فكره ووجدانه . ويمكن القول إنه قبل يهوديته فى سلبية فى حين أنه بذل جهداً إيجابيا من أجل توسيع رقعة الثقافة الحديثة الوافدة عليه.

وتتميز قصص ديلمور شوارتز بقدرته على تصوير خصيصتين

يهوديتين يتصف بها اليهود المنتمون إلى الطبقة الوسطى. وهاتان الخصيصتان هما بيئة اليهودية نصف المتأقلمة مع الحياة الأمريكية وثقافة الجيل الثانى من اليهود الشبان المغترب عن المجتمع الأمريكى. وكما أسلفنا تعكس قصته التى ألفها عام ١٩٣٥ بعنوان «فى الأحلام تبدأ المسئوليات» إحساسه العميق بالاغتراب فى حين أن قصته «أمريكا أمريكا» تعكس التناقض أو التضاد فى موقف المثقف اليهودى المنتمى إلى الجيل الثانى من روابطه اليهودية وتأرجح هذا الجيل بين الانتماء ليهوديته وعدم الانتماء إليها . فضلا عن أن قصته «الطفل هو المعنى فى هذا الحياة» The Child is the Meaning of this life ترسم صورة بلا رتوش تنتقد عددا من أسرة المؤلف وعلى رأسها عمه. وهكذا يتضح لنا أن شوارتز استمد مادة أفضل قصصه من تجاربه الشخصية كشاب يهودى صغير السن. والجدير بالذكر أن قصته «العالم زفاف» The World is a wedding تتسم بالتهكم والسخرية وتحتوى على احساس عميق بالاغتراب . ولهذا اعتبر المثقفون المغتربون فى أمريكا ديلمور شوارتز لسان حالهم وممثلاً لهم فى ميدان الأدب. وقد ظل مؤلفنا يشعر بالضيق من اسمه الأول «ديلمور» ويشعر بالتناقض بين هذا الاسم الأنجلو ساكسونى واسم عائلته اليهودى القح شوارتز.

ولا ينبغى أن تغيب عن أذهاننا أهمية ديلمور شوارتز كشاعر إلى جانب أهميته كناثر فقد استطاع أن يقف فى صدارة الشعر الأمريكي وهو لا يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره. ويلقى ديوانه المنشور إبان الحرب العالمية الثانية بعنوان «التكوين: الكتاب الأول» الضوء على حياة عائلته منذ أن كان جده يعيش فى روسيا حتى هجرته إلى أمريكا حيث تلقى مؤلفنا حتى سن السابعة العلم فى إحدى المدارس الالزامية الأمريكية ، ونحن نرى الشاعر شوارتز فى قصيدة بعنوان «القلب الذى يكرر» (١٩٣٨) The Re-petitive Heart تستلهم أصله اليهودى بقدر ما تستلهم أساطير الأغريق. والقصيدة لا تشير كثيرا إلى يهوديته كطفل فى حين أن تكثر من الاشارات إلى يهودية جده وأبويه . وعلى أية حال يذكر أديبنا أن زملاءه تلاميذ الحضانة، تكاثروا عليه وصاحوا فى وجهه «يهودى.. يهودى» ولكنه استطاع فى حياته اللاحقة أن يتجاوز هذه المضايقات الشخصية ليعبر عن الاغتراب الأمريكى كله وليس فقط الاغتراب اليهودى . والقصيدة مزيج من الشعر الحر والفقرات النثرية القصيرة . ويردد أبيات الشعر فى هذه القصيدة كورس من الأشباح التى تعلق على الأحداث مثلما يفعل الكورس فى الدراما الأغريقية ومثلما يفعل الشاعر والروائى الكبير توماس هاردى فى قصيدته المعروفة «العائلات المالكة» The Dynasts.

ويشير النقاد إلى أن موهبة شوارتز الأدبية قد تخلت عنه وأن طاقاته الابداعية جفت ينابيعها فى حياته اللاحقة. فبعد أن حمل مشعل الشعر فى عقد الثلاثينات جف الهامه الفنى بشكل واضح فى عقد الخمسينات إلى أن توفاه الله عام ١٩٦٦ وهو فى الثالثة والخمسين من عمره . وينسب الدارسون جفاف موهبته إلى انكفائه على ذاته واستغراقه منها إلى جانب الاهتزاز الذى أصاب عقله. ويذكر كاتب سيرة حياته جيمس أتلاس أنه رغم قلة انتاجه المنشور فقد خلف وراءه بعد مماته عددا كبيرا غير منشور وغير مستكمل من المؤلفات: ورغم أن مؤلفاته الأدبية الباقية على مر الزمن قد تكون محدودة فإنه يعتبر بحق رائد «النهضة اليهودية» فقد فتح الطريق أمام الكتاب اليهود في أمريكا كى يحتلوا مركز الصدارة فى الثقافة الأمريكية. وفى عام ١٩٥٠ نشرت مجلة «تعليق» مقالا افتتاحيا عنه وهو فى ذروة مجده الأدبى يلقى الضوء على الدور المهم الذى اضطلع به فى صياغة الثقافة الأمريكية. يقول المقال: «إن ديلمور شوارتز يعتبر أهم أديب يمثل جيل المثقفين اليهود فى عقد الثلاثينات . فلا يوجد شاعر أو روائى آخر يتفوق عليه فى رسم صورة الصراعات الداخلية التى ابتلى بها هذا الجيل ضد أمريكا وضد ذاته».

إيزاك روزنفيلد

بالرغم من أن الأديب إيزاك روزنفيلد Isaac Rosenfeld لم يتمتع بنفس شهرة ديلمور شوارتز فإنه اضطلع بدور مهم فى ريادة الأدب الأمريكى . لم يكن روزنفيلد أصلا من مدينة نيويورك التى لعبت دورا طليعيا فى ريادة الأدب الأمريكى فقد جاء إليها فى عام ١٩٤١ وهو فى الثالثة والعشرين من عمره ، مما يؤكد أن الحداثة الأدبية التى جاءت على أيدى الأدباء اليهود بعد الحرب العالمية الثانية انبثقت من الحضر وليس من الريف الأمريكى . توفى روزنفيلد فى وقت باكر لا يتجاوز الثامنة والثلاثين . وبمجرد وصوله إلى نيويورك بادر الأدباء بالاعتراف به ممثلا لجماعة المثقفين اليهود الشبان الذين ترعرعوا فى مدينة نيويورك .

اتصف روزنفيلد بالجاذبية واعترف بجاذبيته صديقه الحميم الروائى اليهودى شاؤول بيلو على مدى خمسة وعشرين عاما كما اعترف بقدرته على التأثير فيمن حوله إذ كان يتمتع بقوة هائلة على التأثير فى الناس . ويبدو أن انصرافه الى كتابة الافتتاحيات الصحفية منعه من تكريس كل وقته للكتابة الأدبية عن محنة البشر. جاء روزنفيلدالى نيويورك لأن جامعتها أعطته منحة علمية لدراسة الفلسفة وبعد مضى عام واحد فى نيويورك تم تعيينه محررا لمجلة

«الجمهورية الجديدة» New Republic حيث بقى فى وظيفته لمدة سنة واحدة فقط . وفى عام ١٩٥٢ غادر مدينة نيوريوك ليعيش فى قرية جرينتش ويؤلف القصص القصيرة ومراجعة الكتب . وقد ألف عام ١٩٤٦ روايته الناجحة «رحلة بعيدا عن البيت» Passage From Home . وبعد أن أمضى عامين فى التدريس بجامعة منيسوتا عاد إلى شيكاغو حيث توفى عام ١٩٥٦ . وبعد وفاته ظهرت في الأسواق مختارات من مقالاته ومراجعاته للكتب تحت عنوان «عصر الفظائع» «١٩٦٢» An Age of Enormity ثم مجموعته القصصية «البداية والنهاية» «١٩٦٦» Alpha and Omega . .

تميزت جميع مؤلفات روزنفيلد بتحليل مشاعر الإنسان وأنشطته الداخلية سواء كانت من النواحى الفكرية أو العاطفية أو الأخلاقية . ولم تكن هذه الأعمال تخلو من السخرية والفكاهة . ورغم أنه لم يلتجيء للدين اليهودى فإنه كان شديد الادراك له والوعى به . وتنم قصصه القصيرة عن حساسية شبيهة بما يظهره أدب كافكا من حساسية . ولهذا لقبه الشاعر ديلمور شوارتز بكافكا أمريكا . وهو يشبه كافكا فى تعبيره عن محنة الإنسان الحديث فى عصر التصنيع . ويذكر شاؤول بيلو أنه لم يكن يفهم

السياسة بمعناها الضيق أى فى شكل أحداث جارية . ولكن هذا لم يمنع من أن تكون له توجهات سياسية بالمعنى العام والعريض ولا غرو فقد اضطرته ظروف الكساد العظيم الذى اجتاح العالم فى الثلاثينات أن يهتم بالسياسة ويتبنى الأفكار التروتسكية . غير أنه مالبث أن تخلى عنها . وقد ساهم الشتات الذى عانى منه الشعب اليهودى على مدار ألفى عام والإبادة الجماعية لليهود على أيدى النازيين وأحداث الحرب العالمية الثانية إلى اقتناعه باغتراب الإنسان الحديث وخاصة اغتراب اليهود .

عبر روزنفيلد - شأنه فى ذلك شأن شوارتز - عن احساسه العميق بالاغتراب فى المناظرة التى عقدت عام ١٩٤٤ تحت عنوان «دون سن الأربعين» . ويشير روزنفيلد فى هذه المناظرة الى شدة وعى اليهودى بيهوديته بسبب حزنه على وجود فروق عرقية ودينية تعزله عن الآخرين الأمر الذى يشكل صعوبة خاصة أمام الفنان اليهودى الذى يحس بأن الآخرين يطالبونه بتقديم تفسير ليهوديته. ولكنه يرى أن هناك ميزة يتحلى بها الكاتب اليهودى دون سواه وتتلخص هذه الميزة فى قدرته - بسبب وجوده الهامشى فى مجتمعات يهودية – أن يلاحظ الأشياء الخفية الخبيئة فى مثل هذه المجتمعات . وبالنظر إلى إحساس اليهودى العام فى كل أرجاء

العالم بانتفاء الأمان فى حياته نراه أقدر من غيره على ملاحظة مظاهر عدم الأمان فى شتى أنواع الأدب الحديث ، وهو ما تنبه اليه الكاتب آدمز فى كتابه عن العدم . ويعبر كارل ماركس عن هذا الإحساس الخاص بالاغتراب وعدم الأمان بقوله : «إن الإنتاج الرأسمالى يناصب العداء بعض جوانب الانتاج الفكرى مثل الفن والشعر» ، ويؤكد المثقفون اليهود أن الكاتب اليهودى - بحكم الغربة التى كابدها عبر التاريخ - أكثر تأهيلا من غيره فى التعبير عن هذه الغربة . بل انه يمكن اعتبار اليهودى رمزا للتفكك الذى أصاب الذات الإنسانية الحديثة فى المجتمعات الغربية . وبالنظر الى المعاناة التى يكابدها اليهودى من جراء غربته فإنه يشارك المطحونين والضحايا معاناتهم . ويذهب روزنفيلد الى أن العذاب الذى تلظى بناره اليهود على أيدى جلدتهم النازيين يؤهلهم لاكتشاف بعض حقائق الحياة الأخلاقية التى عجزت البشرية جمعاء عن اكتشافها .

جسد روزنفيلد احساسه بالاغتراب فى روايته التى نشرها بعنوان «رحلة بعيدا عن البيت» . وتدور أحداثها حول غلام شديد الحساسية فى الرابعة عشرة من عمره يدعى برنارد ميللر Ber- nard Miller وتصور هذه القصة شعور مؤلفها الجارف

بالاغتراب المتمثل فى عنوان القصة نفسها . كما أن القصة تعالج موضوع عقدة أوديب المتمثلة فى كراهية الابن لأبيه . ويغمر قلب الصبى احساس دفين بالغربة حتى عن أبيه الذى يعيش معه تحت سقف واحد . ولا يقتصر احساسه بالغربة على علاقته بوالده بل يمتد الى كل المحيطين به . حتى الشخصيات التى يشعر بالاغتراب عنها يعانى كل منها بالاغتراب عن الآخرين . ومعنى هذا أن اغتراب الإنسان الحديث اغتراب عام وشامل .

ابتعد روزنفيلد عن عالم السياسة ليقترب من عالم الجنس الفرويدى . ويرجع إيمانه بأن الطاقة الكامنة فى الجنس والحركة للكون الى تأثره الواضح بأفكار ويلهلم رايخ Wilhelm Reich الذى رأى فى عدم تحقق الرغبة الجنسية تشويها للشخصية الإنسانية وجعلها شخصية غير سوية . ولهذا حذا مؤلفنا حذو ويلهلم رايخ فى المناداة بضرورة قيام علاقة حميمة وسوية بالجنس الآخر . ويرى روزنفيلد أن الحب هو الشىء الوحيد الذى يمكن الإنسان من التغلب على غربته فهو قادر عن طريق الحب والوجد الصوفى أن يتجاوز غربته . فضلا عن أن روزنفيلد لايقصر الاغتراب على اليهودى فحسب بل يرى مثل شوارتز أن ظاهرة الاغتراب أشمل وأعم فى عصرنا الحديث . وينحى بعض النقاد

على أدب روزنفيلد الروائى باللائمة لانصرافه الى التحليل وعدم عنايته بالسرد القصصى نفسه . وقد أظهر روزنفيلد اهتماما بكتاب اليديش الكلاسيكيين أمثال أ.د. بيرتز وشوليم ألتشيم فكتب عنهما . وتدل روايته «رحلة بعيدا عن البيت» على تأثره بالأفكار الصوفية المعروفة بالهاسيدية Hesidism . وأصابت هذه الرواية نجاحا كبيرا فأعيد نشرها عام ١٩٦١ . ويذهب النقاد الى أن روزنفيلد لا يتمتع بعقلية تحليلية فحسب بل بفكر عميق ليس له نظير فى أدب شوارتز . ويضيف هؤلاء النقاد ان اغتراب كل من شوارتز وروزنفيلد اغتراب سياسى فى نهاية الأمر ليس بالمعنى الضيق ولكن بالمعنى الواسع لكلمة السياسة . فاغترابهما ترجع جذوره إلى حالة المجتمع الأمريكى . هذا الفهم للاغتراب من منطلق اجتماعى هو الذى دفع شوارتز الى الكتابة عن الحرب الأهلية فى قصيدة «لينكولن» Lincoln التى يقول فيها إن هذه الحرب انتهت بانتصار النظام الرأسمالى . ويتضمن المقال الذى كتبه روزنفيلد بعنوان «عصر الفظاعات» اصدار أحكام سياسية على المجتمع مثل القول إنه مجتمع مغترب وعار عن الإنسانية . ونحن نرى روزنفيلد يتورط فى التناقض عندما أسهم فى المناظرة التى عقدتها مجلة «تعليق» تحت عنوان «الكاتب اليهودى والتقليد

الأدبى الانجليزى» حيث يقول إنه يجب الحكم على عداء الكتاب العظام أمثال تشوسر وشكسبير ومارلو ضد اليهود من منظور الظروف التاريخية التى كتبوا فى ظلها لأن الأدب يعكس بالضرورة الظروف الاجتماعية والتاريخية التى نشأ فيها. ولكن روزنفيلد يتناقض مع نفسه عندما اعتبر عداء السامية عرضا من أعراض مرض نفسى جنسى أصاب المجتمع . غير أنه رأى على أية حال أن معاداة السامية التى نطالعها فى كتب الأدب أقل فى خطرها من معاداة السامية التى تمارسها الحكومات والجيران . وليس من شك أن تأثره بعلم النفس الفرويدى وبأفكار ويلهلم رايخ بالذات حدا به الى اعتبار معاداة السامية نوعا من المرض النفسى .

وأيضا تحت تأثير علم النفس الفرويدى كتب روزنفيلد عام ١٩٤٩ مقالا بعنوان «آدم وحواء فى شارع ديلانسى» Adam and Eve on Delencey Street فى مجلة تعليق تناول فيه هذا المؤلف العلاقة الوثيقة التى رأى أنها تربط بين نوعية الأطعمة المحرمة شرعا من وجهة نظر الدين اليهودى والعجز عن ممارسة الجنس ممارسة طبيعية وسليمة وما يتركه مثل هذا الطعام من آثار وخيمة وضارة على المتدينين من اليهود . غير أن اللجنة اليهودية الأمريكية التى تولت الانفاق على مجلة «تعليق» استاءت من مثل هذه الآراء .

ورغم سياسة الحياد التى اتبعتها فى إدارة المجلة فإنها آثرت التدخل فأرسل رئيسها جاكوب بلوشتين Jacob Blaustein خطابا الى المجلة فى شهر نوفمبر ١٩٤٩ ينبهها الى أن مقال روزنفيلد المشار اليه أساء إلى مشاعر عدد كبير من اليهود ودفع المقال بأنه يجافى الذوق السليم ويسىء استخدام الحرية التى توفرها المجلة لكتابها . وعبر بلوشتين عن أمله فى عدم تكرار مثل هذه الاساءات فى المستقبل .

ويوجه عام تنم معظم قصص روزنفيلد عن تأثره الواضح بالروائى اليهودى كافكا . وإذا كانت روايته «الرحلة بعيدا عن البيت» تفتقر الى روح الدعابة فإننا نلاحظ كثرة ورود هذه الدعابة فى اثنين من أفضل قصصه هما «اليد التى أطعمتنى» ١٩٥٣ The Hand THAT Fed Me و«الملك سليمان» ١٩٥٦ Solomon King . وتتكون القصة الأولى من سلسلة خطابات سطرها رجل يدعى جوزيف فيجنبوم Joseph Feigenbaum فى ليلة الكريسماس عام ١٩٤٢ الى فتاة غير يهودية كان قد تعرف بها عام ١٩٣٩ فى فترة بحثهما معا عن عمل . وفى الحال وقع فيجنبوم فى غرام هذه الفتاة ولكنها رفضت اللقاء به والاستجابة إليه فيضطر العاشق الولهان إلى التعبير عن حبه من جانب واحد دون أن يتلقى من

حبيبته أى رد . ولا غرو اذا رأيناه يعانى من الوحدة والاغتراب والحب بلا أمل . وتشير قصة «الملك سليمان» الى ما يعانى منه هذا الملك من اغتراب يعيد الى الأذهان اغتراب المؤلف . حتى ملكة سبأ التى كان الجمال يتوجها عجزت عن أن تثير اهتمامه بها أو رغبته فيها .

ونحن أيضا نطالع موضوع الاغتراب فيما كتبه روزنفيلد من نقد أدبى . وتتضمن كتاباته النقدية مقالا معروفا سطره عام ١٩٥٢ وناقش فيه رواية من تأليف كاهان Cahan بعنوان صعود دافيد لفنسكى The Rise of David Levinsky . ويخلص روزنفيلد فى هذا المقال إلى أن لفنسكى يمثل الأمريكى الذى ينشد النجاح وتحقيق الثراء ولكنه يشعر رغم تحقيقهما بأنه يعيش وحيدا وغريبا مثل المليونير الأمريكى الذى تعجز ملايينه عن ملء حياته وتبديد فراغه . يقول كاهان فى نهاية روايته ان الأمريكى ينظر الى النجاح على أنه إله قادر على كل شىء . ويذهب روزنفيلد الى أن مشكلة ليفنسكى أعوص من مجرد اصابة الثراء فهو فى رأيه يتأرجح بين نازعين لا يستطيع التخلص منهما هما الرغبة فى الثراء والرغبة فى العلم . وهو نهم الى كليهما فلا المال وحده أو العلم وحده يكفيه . والرأى عند مؤلفنا أن هذا الظمأ الدائم هو

السمة التى تميز اليهودى عن غير اليهودى الأمر الذى يملأ قلب ليفنسكى بالاغتراب والوحدة ، ويعتقد روزنفيلد أن قصة ليفنسكى القادر على تحقيق النجاح هى قصة كل الأمريكان واليهود . ومن المؤكد أن روزنفيلد يفوق زميله شوارتز فى قدرته على دمج الخصائص الأمريكية بالخصائص اليهودية . ويدل المقال الذى كتبه عام ١٩٤٩ بعنوان «معنى الرعب» The Meaning of Terror على عمق تأثره بالهولوكست اى إبادة النازية الجماعية لليهود . ولهذا نراه فى نقده لكتاب «الرماد والنار» Ashes and Fire الذى ألفه جاكوب بات Jacols Pat عام ١٩٤٨ يتساءل كيف سمح الغرب بوقوع أحداث الهولوكست البشعة . ويرى روزنفيلد أن ثمة علاقة تربط بين الهولوكست وانهيار الأخلاق واستخدام القنبلة الذرية وفظاعات المعسكرات السوفييتية . ورغم أن الأجل لم يمهل أديبنا لتطوير إنتاجه وخلف كتابات باقية على مر الزمن «فقد مات وهو فى الثامنة والثلاثين من عمره» فإنه الى جانب شوارتز يعتبران رائدين من رواد التقريب بين الأدب اليهودى والثقافة الأمريكية.

٥ - شاؤول بيلو

كتب شاؤول بيلو فى عقد الخمسينات يحتج على الذين يعتبرون اليهود كما مهملا بقوله : «لا أستطيع الموافقة على رأى الكتاب المحدثين الذين يخبروننا أننا لا شىء . صحيح أننا فى واقع الأمر لسنا كما كان يحلو للعصر الذهبى مزهوا أن يصورنا به . ولكننا نمثل شيئا . وبالرغم مما تعرض له اليهود من عمليات ابادة جماعية فى فترة الحرب العالمية الثانية فقد ظل يحتفظ بتأكيد اليهود على أهمية الحياة . وليس هناك ما يدل على إيمان بيلو بالدين اليهودى ولكن هناك ما يدل على إيمانه على نحو ما بوجود إله يتجاوز الكون المادى . فضلا عن أن بيلو يتمتع أكثر من غيره من الكتاب اليهود ببصيرة نافذة وفهم عميق للقيم الثقافية اليهودية. كما أنه جمع بطريقة نادرة بين الحساسية الفنية والموهبة اللغوية والثقافة الحقة .

ولكن عقد الستينات شاهد تغييرا فى مواقف بيلو الفكرية ، فمع اقتراب نهاية الستينات ومجىء عقد السبعينات سادت المثقفين نزعة الاتجار بالفن وانتشر الفقراء المطحونون السود العاطلون عن العمل وزادت معدلات الجريمة الأمر الذى ترك بصماته على إنتاج بيلو الأدبى وأثر فيه . وظهرت أولى دلائل التغير فى روايتيه «كوكب

مستر سـامـلر» Mr. Sammler's Planet ١٩٧٠ و «عميد شهر ديسمبر» The Deam's December ١٩٨٢ فقد اختفت في هاتين الروايتين عذوبة الحياة ونكهتها اللطيفة . وبدا من الواضح أن بيلو أخذ يشعر بمدى عمق ما في هذا العالم من شر . ولهذا ضعفت في أعماله اللاحقة نغمة تأكيده القوى للحياة التي ميزت أعماله الباكرة وخاصة تعبيره عن التأكيد اليهودى التقليدى لقيمة الحياة ليحل محله ما يشبه اليأس من مستقبل البشرية . والجدير بالذكر أن بيلو أنتج ما لا يقل عن سبع روايات تستبشر خيرا للحياة قبل أن يدب اليأس الى قلبه .

ورغم أن بيلو أعلن فى كتاباته الباكرة أنه لا ينتمى الى كتاب العدم والاغتراب المحدثين فإن ثمة صلة ربطت بينه وبينهم . فقد ربطته الصداقة بكاتبى الاغتراب شوارتز وروزنفيلد اللذين توقفا عن الانتاج الأدبى فى عقد الخمسينات اذ أصيب شوارتز بمرض عقلى وتوفى روزنفيلد فى باكورة عمره . وكما اسلفنا كانت الصداقة التى تربط بين بيلو وروزنفيلد بالذات صداقة حميمة دامت مدة خمسة وعشرين عاما تاركة أثرها فى شخصية بيلو وكتاباته . يقول بيلو فى هذا الشأن: «فى الغالب الأعم حنوت حنوه فى بعض معتقداته الغريبة بسبب حبى له وعدم رغبتى فى أن أفقد صلتى به

. وعندما ترك بيلو شيكاغو ليعيش فى نيويورك فى فترة الخمسينات توطدت علاقته بشوارتز . وفى عام ١٩٥٢ باشر التدريس لمدة عام فى جامعة برنستون الأمريكية كمساعد لشوارتز . ويلقى بيلو فى روايته «هدية همبولدت» ١٩٧٥ Humboldt's Gift – التى تتحرى فى كثير من جوانبها وجه الدقة التاريخية ـ الضوء على الصداقة التى ربطت بين الرجلين ، وبطبيعة الحال أسهمت هذه الرواية فى تخليد اسم شوارتز .

والجدير بالذكر أن الاغتراب موجود فى أدب بيلو رغم نبذه له واحتضانه للحياة والاقبال عليها . وتدور رواية «هدية همبولدت» حول فحص طبيعة الملل الذى تصطلى الإنسانية بعذابه ويقوم المؤلف بتطبيقه على ما يعرف بالاغتراب فى الأزمنة الحديثة . ويرد بيلو هذا الاغتراب الى استغلال النظام الرأسمالى لعرق العمال وكدحهم وإلى اندثار المعتقدات الدينية والزيادة فى العقلانية فى المجتمع التكنولوجى . ولا غرو اذا رأينا روايات بيلو تعالج موضوع الاغتراب ولكن مع فرق واحد هو أن الشخصيات الروائية عنده تقاوم هذا الاغتراب ولا تستسلم له بل تسعى الى الانتصار عليه فى حين أن الشخصيات الروائية عند معاصريه تقع فريسة هذا الاغتراب وتسمح له بالسيطرة عليها .

إن بيلو الذى رفض الاستسلام للاغتراب لم يخامره أدنى شك فى هويته اليهودية . وقد ذكر هذا صراحة فى اجتماع عام عقد عام ١٩٧٠ فى تل أبيب بإسرائيل . قال بيلو بالحرف الواحد «إننى لم أشعر بالانزعاج ولو للحظة واحدة حول هويتى ، فقد كنت أعرف على الدوام هويتى ». وهو قول تسانده جميع رواياته باستثناء روايتين هما «هندرسون ملك المطر» ١٩٥٩ Henderson The Rain King و«شهر ديسمبر» ١٩٨٢ . فجميع رواياته منغمسة فى بيئة يهودية علمانية يقبلها المؤلف على علاتها . غير أنه كفنان يستمد مادته الروائية من تجاربه الشخصية التى تشكل اليهودية عنصرا جوهريا فيها ولكن فى اطار أمريكى أوسع وأشمل .

ورغم أن بيلو ولد عام ١٩١٥ بالقرب من مونتريال فى كندا فقد أحضره والده الى شيكاغو وهو صبى فى التاسعة من عمره حيث تلقى العلم فى مدارسها وجامعتها، وفى منتصف الستينات عاد اليها بعد أن أمضى بعض السنوات فى كل من نيويورك وباريس . وليس من شك أن يهوديته شكلت شخصيته ووجدانه من الألف الى الياء وأنه ضمنها فى أدبه الروائى الذى ينضح بالغربة ولكن يسعى فى الوقت نفسه الى تجاوزها والتغلب عليها .

ويؤكد لنا الناقد ابراهام تشابمان هذا المعنى عندما يناقش أدب بيلو قائلا : «تبدو كثير من الكلمات المتكررة فى أعمال بيلو - وهى الضيق والوجيعة وخيبة الأمل والكفاح المرير وكأنها تبحث عن المقابل الصحيح باللغة الانجليزية عن كلمة اليديش المناظرة لها . ويستحدث بيلو - بوصفه كاتبا يهوديا - أمريكيا - فى فترة ما بعد الحرب الثانية رؤية للحياة تشتمل على التراث اليهودى والتجربة التاريخية الطويلة مع العذاب والاحتقار والرفض وترويض الروح لمجابهة العذاب والضيق الملازمين للوجود الإنسانى وأيضا التعايش معهما وتجاوزهما .

لقد تشبع بيلو بعيشة اليهود الأمريكان فى الحضر واستطاع عن طريق هذه البنية الحضرية استحداث لغة مثقفة ومتميزة اتسمت بأسلوب لغوى جديد بعيد عن التوتر وعدم التواؤم . وتعتبر لغة اليديتش أحد مكونات هذا الأسلوب المتميز . ويشرح ارفنج هاو شدة تأثر هذا الأسلوب بلغة اليديش فيقول إنه لا يستعير من هذه اللغة بعض ألفاظها ولكنه يستعير منها النبرة والايقاع . ويضيف هاو إن بيلو أوضح فى تأثره بلغة اليديش من الكتاب اليهود الأمريكان الآخرين حيث إن لغته تحمل نفس ما تتسم به لغة اليديش من ايماءات ساخرة وقبح حميم الى جانب ذلك المزيج

الغريب من العواطف المتدفقة على نحو رخيص ومبتذل وتلك القتامة التى يتميز بها أسلوب البيديش فى التحادث الأمر الذى مكن بيلو من استحداث تحول ثقافى ولغوى نابض بالحياة فى اللغة الانجليزية . ويذهب كثير من النقاد الى أن روايته «هيرزوج» Herzog هى أكثر أعماله تأثرا بلغة البيديش فهى تحتوى على عبارات بأكملها مأخوذة عن هذه اللغة الأمر الذى يرى هؤلاء النقاد أنه يضيف نكهة خاصة أو مذاقا خاصا الى اللغة الانجليزية التى زاد من ثرائها ادخال هذه العبارات فيها .

ورغم أن بيلو يعرب عن ضيقه بتسميته بالكاتب اليهودى الأمريكى لأنها تسمية غير دقيقة فقد اضطر الى الاعتراف بأن الكاتب اليهودى شىء مختلف عن سائر الكتاب الآخرين . وجاء ذلك الاعتراف فى الخطاب الذى ألقاه عام ١٩٦٨ بمناسبة حصوله على جائزة التراث اليهودى . والجدير بالذكر أن الناقد اليهودى ماير ليفين Meyer Levin انتقده لخلقه أبطالا يهودا يعانون من الاغتراب الكامل كما أنه اتهمه بكتابة روايات تدعو الى ضرورة استيعاب اليهود للثقافة الأمريكية . ومضى ليفين فى اتهاماته يقول إن بيلو لا يسجل فى أدبه الروائى أى رد فعل من جانبه ضد الهولوكست وأنه يتحاشى أن يتبع ما للهولوكست من أثر مدمر فى

نفسية اليهودى الحساسة . ونحن نرى فى الخطاب الذى ألقاه بيلو عام ١٩٧٦ بمناسبة حصوله على جائزة نوبل للأدب يعترف بأنه لم يلتفت فى بادىء الأمر الى فظاعة الهولوكست وأنه يخجل من نفسه ويشعر بالعار لأن تنبهه الى بشاعات الهولوكست جاء متأخراً .

ولكن هذا الادراك المتأخر لفظاعات الهولوكست لا يعنى بحال من الاحوال أن بيلو لم يكن كاتبا يهوديا . وليس أدل على يهوديته من أنه قال أمام مستمعيه من الإسرائيليين إنه الكاتب اليهودى الأمريكى الوحيد الذى يعرف لغة اليديش باستثناء ماير ليڤن الذى ينتمى الى جيل أكبر منه سنا . يقول بيلو إن كتاب اليديش تركوا أعمق الأثر فى صباه ولكنه يعترف بأن تأثره بكاتب اليديش جيمس فينيمور كوبر James Fenimore Cooper أكثر من تأثره بالكاتب شوليم أليتشيم . وحفزه اتقانه للغة اليديش وتأثره بأدبها الى قيامه بترجمة انجليزية للرواية التى ألفها ايزاك باشيفس سنجر Isaac Bashevis Singer بعنوان «جمبل المغفل» ثم قام بنشرها عام ١٩٥٣ فى مجلة البارتيزان ريڤيو . وكانت هذه الترجمة الانجليزية سببا فى اهتمام الكثيرين بأدب سنجر . وفى الستينات نشر بيلو مجموعة قصصية مترجمة الى الانجليزية من اللغات العبرية والألمانية والروسية تتضمن مقدمة تعالج القصة

اليهودية . وفى عام ١٩٧١ صرح بيلو : «لم أكن صهيونيا فى أى يوم من الأيام » ولكن مثل هذه التصريح لا ينفى يهوديته أو يقلل منها .

زار شاؤول بيلو اسرائيل عدة مرات . وعند نشوب حرب ١٩٦٧ شعر بضرورة الذهاب الى اسرائيل حيث أرسلته جريدة «نيوزداى» Newsday كمراسل حربى . ثم زار فى نفس هذا العام اسرائيل للمرة الثانية . ونشر عقب هذه الزيارة كتابه «الى القدس والعودة منها» ١٩٧٦. To Jeruslem and Back . ويتضمن هذا الكتاب أفكاره عن الكتاب والمثقفين اليهود الذين التقى بهم فى اسرائيل . غير أن هذا الكتاب لا يشير بالمرة الى التقائه بأى من المثقفين أو الكتاب العرب . وتدل لغة الكتاب على شدة قلقه على مستقبل اسرائيل وشعب اسرائيل .

وتعبر أولى روايات بيلو وهى بعنوان «الرجل المتدلى» ١٩٤٤ Dangling Man عن توجهه الروائى والرواية مكتوبة على شكل يوميات تبدأ من ١٥ ديسمبر ١٩٤٢ حتى ٨ ابريل ١٩٤٣ وتدور أحداثها حول شاب اسمه جوزيف ينتظر انخراطه فى الجيش . ويصرح المؤلف منذ بداية روايته أنه تخلى عن اسلوب همنجواى الذى ساد السرد الروائى آنذاك مما يشير الى أن الرواية

الأمريكية أخذت فى الابتعاد عن طريقة همنجواى . فضلا عن أن جوزيف أعلن نبذه [illegible] من الحزب الشيوعى واشمئزازه من تحمسه السابق له . يقول جوزيف عن تخليه عن الماركسية : «لقد غيرت فكرى حول إعادة تشكيل العالم من القمة الى السفح على طريقة كارل ماركس» .. ويمثل تخليه عن الفكر الراديكالى موقف جيل بأكمله من المثقفين اليهود الأمريكان فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية فقد نبذ هذا الجيل أحلامه بشأن اقامة مدينة فاضلة واكتفى بمرارة الغربة وانتفاء اليقين . ويشير الدارسون الى شدة تأثر رواية «الرجل المتدلى» برواية دستيوفسكى الشهيرة «مذكرات من العالم السفلى» Notes From the Underground التى تعبر بقوة عن فكرة الاغتراب والاقتلاع من الجذور . ولكن رواية بيلو تختلف عن رواية ديستيوفسكى فى إنها على عكس الرواية الروسية ترفض القنوع بالاغتراب بل إنها تسعى الى قهره ، والتغلب عليه . وتنتهى رواية بيلو بدخول جوزيف الجيش وخضوعه للأوامر العسكرية التى يقبلها عن طيب خاطر لأن النظام الصارم الذى يفرضه الجيش عليه يعفيه من النضال ضد احساسه بالاغتراب . والجدير بالذكر أن بيلو لم يظهر أية ايجابية أو تحمس لحرب الحلفاء ضد النازية التى إجتثت اليهود

وأبادتهم . وتنتهى رواية «الرجل المتدلى» برفض الاغتراب وعدم الاستسلام له وقبول جوزيف التخلى عن حريته الشخصية نتيجة انضمامه الى صفوف الجيش . ومن الواضح أن جوزيف شخصية يهودية شأنها فى ذلك شأن الكثيرين من شخصيات هذه الرواية ، ولكن المؤلف لا يذكر هذا بصراحة .

وتدور رواية بيلو التالية «الضحية» ١٩٤٧ The Victim فى ظاهرها على معاداة السامية . ولكنها فى حقيقة الأمر تعالج الغموض والتعقيد الذى يكتنف مسئولية الفرد عن سلوكه وتصرفاته . فالمؤلف يطرح سؤالا شائكا حول هذه المسئولية ويتساءل من الضحية : اليهودى المجنى عليه فى حوادث معاداة السامية أم الجانى نفسه الذى يمارس الفظاعات العنصرية ؟ ويبدو أن بيلو يعتبر كلا المجنى عليه والجانى ضحية . وهكذا يعرض المؤلف مشكلة معاداة السامية من منطلق التعقيدات الأخلاقية والنفسية .

وتدور رواية «الضحية» حول محرر فى جريدة تجارية اسمه أسا ليفنثال Asa Leventhal بدعوة صاحب الجريدة الى احتفال مقام فى بيته حيث نجد نفرا من اليهود ينشدون أغانى البالاد القديمة . ولا يروق هذا فى عين سكران اسمه ألبى Albee فيقاطع غناءهم . ويحتج بقوله أنه لا يليق بهؤلاء اليهود أن يرددوا مثل هذه

الأغنيات التى لم يتشربوها منذ ولادتهم . وهى اشارة واضحة إلى أن اليهود غرباء عن هذه الأغنيات ، وتحاول زوجة الرجل السكران تهوين الأمر على المنشدين اليهود وناشدتهم ألا يلتفتوا إليه وأن يستمروا في الغناء . وبالفعل استجاب المنشدون اليهود الى طلبها غير أن زوجها عاد إلى مقاطعتهم وطلب اليهم بوصفهم يهودا أن ينشدوا مزمورا من العهد القديم ، أو يغنوا أغنية يهودية يمكن لجوارحهم أن تحس بها الأمر الذى أحرج كل الحاضرين . واغتاظ المحرر الصحفى ليڤنتال لهذا الوضع واستاء للاهانة التى لحقت بأصدقائه من اليهود فيعمد فيما يبدو الى الانتقام من السكير الوقح . ويطلب هذا الرجل من هذا السكران أن يعرفه برئيسه فى العمل وهو صاحب دار نشر لا يقل فى صلفه ووقاحته عن مرؤوسه. ويكيل ليڤنتال الاهانات للناشر الذى يقوم بطرده من مكتبه ثم يطرد مرؤوسه من العمل . ولكن المؤلف يترك قارئه فى حيرة وبلبلة فهو يصور ليڤنتال على أنه لا يعرف على وجه اليقين اذا كان بالفعل مسئولا عن طرد ألبى من عمله . وتطرح الرواية هذا التساؤل المعقد من الجانى ومن الضحية . هل الجانى هو ألبى المعادى للسامية أم أنه ليڤنتال الذى أراد الانتقام بسبب اهانته للمغنين اليهود ؟

أصاب بيلو قدرا كبيرا من الشهرة بفضل روايتيه الأوليين «الرجل المتدلى» و«الضحية» وأثبتت هاتان الروايتان اتقان مؤلفهما لحرفته وعمق تفكيره الى جانب استخدامه الكثيف والدقيق للغة الانجليزية الأمر الذى يذكرنا باستخدام الروائى فلوبيرت للغة الفرنسية . وعندما بدا يتلو حياته الأدبية كانت الفكرة القائلة بعجز اليهود عن استيعاب اللغة الانجليزية والأدب الانجليزى سائدة بين الناس . يقول بيلو فى حديث له «أوضحوا لى بجلاء عندما كنت أدرس فى الجامعة أنه يحتمل أنه لن يكون بمقدورى أن أحس احساسا سليما بالتقاليد الأدبية الانجلو ساكسونية وبالكلمات الانجليزية بسبب كونى يهوديا وابنا لعائلة يهودية روسية» . ولهذا نراه يسعى جاهدا فى روايتيه الأوليين الى التحرر من هذا التحيز . وما أن أكدت روايتاه الأوليان موهبته الأدبية حتى تمكن من التخلص من اقتفاء أسلوب الروائى فلوبيرت فى الكتابة .

وأدى تحرره من أسلوب فلوبيرت الى تأليف رواية ثالثة عام ١٩٥٣ بعنوان «مغامرات أوجى مارش» The Advertures Of Augie March التي فازت بالجائزة القومية للكتاب والتى تسببت فى ذيوع صيت مؤلفها . وبهذه الرواية استحدث شاؤول بيلو لنفسه أسلوبا جديدا من نوعه يجمع بين الديموطيقية ولغة الييديش واللغة الانجليزية البديعة . والرواية تنتمى إلى الجنس الأدبى المعروف

برواية المغامرة والشطارة The Picaresque Novel وهى تصف بالتفصيل الدقيق أماكن وتجارب إنسانية متنوعة يمر بها بطلها باعتباره ابن عائلة مهاجرة . ورأى بيلو أن أسلوب فلوبيرت وما يفرضه عليه من قيود عاجز عن التعبير عن مثل هذه الأماكن والتجارب . ويستمد بيلو الجزء الأول من هذه الرواية من تجاربه وهو يعيش فى بيئة يهودية فى شيكاغو . وإلى جانب استخدام هذه الرواية المتكرر للغة اليديش نراها تصف العادات والتقاليد اليهودية على نحو واقعى وليس من باب الحنين الى الماضى . والرواية تزخر بالشخصيات والعائلات اليهودية . وتتجلى السمات اليهودية فى شخصية أوجة وموقفها من الحياة أكثر مما تتجلى فى غيرها من الشخصيات .

والملاحظ أن أدب بيلو الروائى ينصرف الى البحث عن المعنى الايجابى الكامن فى الحياة . ولكن هذا البحث الدائب لا يعنى بالضرورة أن الشخصيات الروائية عثرت عليه ، ورغم يقينها من أنه موجود فليس هناك ما يؤكد أن هذه الشخصيات وجدت المفتاح للقيمة النهائية للحياة التى لا تكف عن البحث عنها . صحيح إن بيلو عاش فى عصر فرض عليه وعلى شخصياته الروائية الاغتراب، ولكنه لا ينفك يسعى كما أسلفنا على محق هذا

الاغتراب والتغلب عليه . وهو يحقر كل من يقبل على نفسه الاستسلام له . وشخصية أوجى خير دليل على ذلك. فبالرغم من التنوع المحير والغريب فى أعمال أبطاله وفى خبراتهم وتجاربهم فإنهم يرفضون الالتزام بأى شىء سوى بحثهم الدائب عن القيمة الإيجابية فى الحياة أو ما يسميه المؤلف «خطوط الحياة المحورية» . صحيح أن أوجى لا يعثر على خطوط الحياة المحورية هذه، ولكنه على أقل تقدير يعرف الشىء الذى يبحث عنه .

ونحن نراه في وقت لاحق في مغامراته يعترف بأنه يحس بوجود «خطوط الحياة المحورية» التي يرتكز عليها الوجود الإنساني. ويتلخص هذا الاحساس فى البحث عن قيم الحقيقة والحب والسلام والكرم والفائدة والانسجام ، فمثل هذه القيم هى التي تعطى للحياة الانسانية معنى، فحيث توجد خطوط الحياة المحورية يتبلور وجود الانسان ويعيش فى فرح حقيقي.. حتى آلامه سوف تتحول إلى فرح طالما أنها آلام صادقة، وفى هذه الحالة سوف يعجز يأسه عن انتزاع قوته. ومهما ابتعد عن نفسه واغترب عنها فلن يضيع منها أو يتوه فى زحمة الغربة.

وإذا أصابته خيبة الأمل فلن تقتل الحب فيه ، وهكذا يصبح الهدف من وراء الحياة السعى إلى العثور على مرفأ يبعث على

الدفء والطمأنينة وسط لطمات الحياة وإحن الواقع الذى لا مفر منه وليس السعى الى تحقيق طوبيات . ويجرى هذا البحث وفقا لطبيعة كل انسان حتى يتمكن من تحقيق الانسجام والتوائم مع خطوط الحياة المحورية. والاخوة الانسانية هى احدى مظاهر البحث عن هذا التوائم والانسجام، وهو ما نجده فى روايته التالية «امسك بزمام اليوم» (٩٥٦) Seige the Day التى يعتبرها بعض النقاد أبدع ما سطره قلمه. وتدور احداث هذه الرواية حول شخص اسمه تومى ويلهلم Tommy Wilhelm كتب عليه الفشل والاخفاق فى كل ما يقوم به من افعال ويضطلع به من علاقات شخصية، ونحن نراه يعيش بمفرده فى احد فنادق «نيويورك» بعد انفصاله عن زوجته وطفليه، حتى ابوه وهو جراح ثرى متقاعد يعامله بدون رحمة ويزدريه ويرفض تقديم العون له وانتشاله من ورطته المالية . ويكابد تومى الغربة من جراء ذلك وهى غربة ترجع اساسا الى سوء تقديره وحكمه على الاشياء وايضا إلى المعايير الزائفة التى تنتهجها المجتمعات الحديثة . ويقع تومى الغلبان والمغلوب على أمره فريسه خداع محلل نفسى دعى اسمه الدكتور تايكن يستولى على كل ما يمتلك فى هذه الدنيا من متاع قليل، ورغم ان تومى يكتشف انه ضحية هذا

النصاب فإن هذا النصاب لقنه درسا بالغ الاهمية مفاده انه يتعين على الانسان ان يعيش الحياة لحظة بلحظة . يقول هذا المحلل النفسي : «انني اسعى إلى جعل الناس يعيشون الحاضر في هذه الدنيا ويتشبثون باللحظة الراهنة». وتنطوى هذه النصيحة على احتضان الحياة ورفض الزواج من العذاب على حد تعبيره. وفي ذروة بؤسه وعذابه يدخل تومي الكنيسة ليحضر جنازة أحد المتوفين ، وعندما يبدأ صوت الأرغن يجلجل تغوص موسيقاه في قلب تومي الذى يجهش بالبكاء بحرقة شديدة . وتتلخص اهمية هذه التجربة في انها اقامت جسرا يصل بينه وبين الآخرين ، الامر الذى أزاح الاغتراب عن كاهله وجعله يحس بالتوحد مع الآخرين. ويشعر تومي بنفسه تتطهر كما ان هذه التجربة تعمق فيه احساسه بضرورة تأكيد الحياة . واللافت للنظر في هذه الرواية أن معظم شخصياتها من اليهود الذين يتحركون في بيئة يهودية من الطبقة العليا، ولكن هذا الجو اليهودى ليست له أية دلالات جوهرية أو محورية فهو مجرد أحد معطيات الرواية لا أكثر ولا اقل مما يدل على أن بيلو لم يكن في أى يوم من الايام سجين يهوديته . فلو غرو إذا رأينا ان روايته التالية «هندرسون ملك المطر» تخلو

تماما من اليهود . ورغم ذلك فإن الرواية تنضح بالفكرة السائدة بين المثقفين اليهود الامريكان آنذاك والمتمثلة في ضرورة تأكيد الحياة . فضلا عن ان هذه الرواية تنتهي بسحق الاغتراب والانتصار عليه . فالرواية تحكي لنا قصة ثرى يهجر زوجته وأولاده ويرحل الى افريقيا ليعيش بين قبائلها ويدرس ظروفها الانثروبولوجية. ولكن هذا الرجل يتغير في نهاية الرواية وتدفعه السمة اليهودية الخاصة بتأكيد الحياة إلى العودة إلى اسرته التي سبق ان تخلى عنها.

وإذا كانت رواية «هندرسون ملك المطر» تفتقر الى الشخصيات اليهودية فإن روايته التالية «هيرزوج» تزخر بالعناصر اليهودية لدرجة أن الناقد ملتون هندوس Milton Hindus يصفها بأنها أكثر أعماله الروائية يهودية. فضلا عن أن كثيرا من النقاد يرون أنها أفضل ما أنتجه يراع بيلو من أدب روائي على الاطلاق. صحيح انها رواية يهودية ولكن يهوديتها لا تحول دون تلقائيتها ، والرواية إلى جانب هذا تحتوي على قدر هائل من الفكر والثقافة مما جعل بعض النقاد يصفونها بأنها «وليمة ساحرة وخلابة تقدم الى العقل» ويشبهونها برواية ميدل

مارش Middlemarch للروائية الانجليزية المعروفة جورج اليوت التي عاشت في القرن التاسع عشر.

ويتمثل أهم وانجح تجديد تكنيكي استحدثه بيلو في رواية «هيرزوج» في طريقته في استخدام الرسائل التي يكتبها كاتبها ويحتفظ بها دون أن يرسلها إلى المرسل إليهم ودمج هذه الرسائل في متن الرواية . وتقليد كتابة الرسائل في الرواية الانجليزية قديم وراسخ ولكن الجديد أن الرسائل عند بيلو لا ترسل أصلا إلى المرسل إليهم . وبطبيعة الحال مكنت هذه الرسائل الشخصيات الروائية من التعبير عن افكارها مثل قول احدي هذه الشخصيات أن ممرضة تحمل قصرية بول وبراز للمرضى تقدم خدمة إلى الناس تفوق خدمة الحزب الشيوعي لهم وعلى أية حال أستطاعت هذه الشخصيات الروائية عن طريق الرسائل غير المرسلة مخاطبة عظماء المفكرين في الحاضر والماضي كما مكنت المؤلف من صهر الأفكار في بوتقة الحياة اليومية في وحدة عضوية.

وتشبه شخصية هيرزوج بقية شخصيات شاؤول بيلو الباكرة من حيث أنها تبدأ باليأس ثم تنتهي بالهدوء والصفاء وقبول الحياة. وهيرزوج أستاذ اللغة والأدب الانجليزي تهجره زوجته

وتطلب منه الطلاق لتتزوج بأعز أصدقائه . وفى بحثه عن هدوء النفس وصفائها وقبول الحياة علي علاتها نراه يسترجع الماضى ويعايشه من جديد منذ أن كان صبياً وابناً لعائلة مهاجرة يكثر من استخدام اللغة العبرية أو اليديش فضلا عن انه مزواج ومطلاق إلخ.. و«هيرزوج» يؤمن بالله ولكنه لا يعترف بذلك أمام الناس. وهو يتساءل عما اصاب ركائز الحضارة الدينية من تفتت ويعرض لما يكابده المثقفون من شعور بالاغتراب ولكنه فى نهاية الأمر يتغلب على إحساسه بالغربة والعدم، ومن الواضح انه يرفض اية حلول اجتماعية للمشاكل الانسانية مثل الايمان بالاشتراكية كحل لهذه المشاكل ، بل هو يريد حل هذه المشاكل عن طريق السلوك الفردى.

قلنا ان شاؤول بيلو نبذ إيمانه الباكر بالافكار الماركسية وانه كفر بكل من الشيوعية والاشتراكية ولم يعد يؤمن بأية حلول جماعية للمجتمع بل آمن بأهمية السلوك الفردى . وأيضا كفر بيلو بإقامة يوتوبيا على الأرض ، وآثر ان تجىء تصرفات الانسان من منطلق الواقع والحدود المتاحة فلا يبدد طاقاته فى الاوهام والمثاليات الجوفاء، ولا يعنى هذا ان بيلو دعا إلى الرضا البليد بالنفس، ولكنه أراد مجابهة العدم من أجل التغلب عليه.

وهو مايتناوله المؤلف فى روايته التالية: «كوكب المستر سـاملر (١٩٧٠)».

ولا يجد القارىء اكثر من «كوكب المستر ساملر» تأكيدا لقيمة الحياة واستمساكا بها، فبطل هذه الرواية آرثر ساملر نجا بأعجوبة من الهولوكست النازى . عمل ساملر مراسلا صحفيا في لندن لجريدة صادرة فى بولندا . وبمضى الوقت تطبع هذا الرجل بطباع الانجليز وعاداتهم، وقبل نشوب الحرب العالمية الثانية مباشرة يقوم بزيارة إلى بلده بولندا برفقة زوجته فيقع فى أسر الجيش النازى الذى اجتاح بولندا . ويقوم النازيون بتطويق عدد كبير من اليهود ويصدرون إليهم الأمر بتعرية اجسادهم وحفر خندق حتى يكون مقبرتهم التى يدفنون فيها بعد اطلاق النازيين النار عليهم . ولكن ساملر ينجو من الموت، بأعجوبة ويزحف على بطنه بين جيف اليهود . والعجيب انه يفقد ايمانه بالحياة وبالانسان رغم البشاعات والفظاعات التى يقترفها .

ولا غرو فقد تشرب من بنى جلدته اليهود بقيمة الحياة وضرورة التأكيد عليها . ورغم التجارب المروعة التى مر بها وانه رأى الموت بعينيه ، فقد ظل محبا ودودا نحو الآخرين. وساملر يعبر عن وجهة نظر المؤلف فى نبذ الأفكار الثورية والراديكالية

كحل لمشكلات البشر. وتنتهى الرواية بأن نرى المؤلف يطرح مشكلة الايمان بالدين فى عصر يسوده العلم والمادية والوحشية.

ويطالع ساملر الكتاب المقدس بانتظام كما يطالع أعمال المتصوف الألمانى ايكاردت Eckhardt. وساملر على ا قتناع بأن ابن عمه المتوفى عرف اكثر منه ومن غيره كيف يعيش، ثم يقدم إلينا المؤلف الفكرة الواردة فى التلمود الخاصة بمسئولية الانسان أمام الله بموجب عقد مبرم بينهما . ويختتم المؤلف الرواية بقوله إن الحقيقة التى نعرفها تفيد بوجود الله، ونحن نعرف ذلك.. نعرف ذلك.. نعرف ذلك.. ويرى بعض النقاد فى هذا التكرار تأكيدا من جانبه لوجود الله فى حين يرى البعض انه محاولة لاقناع نفسه بوجوده.

وبعد ان نبذ بيلو ايمانه الباكر بالافكار الثورية بدا من الواضح أنه لم يطق فوضى الستينات وحرب فيتنام التى تمخضت عن هذه الفوضى والمظاهرات الطلابية التى اندلعت آنذاك. وتعكس رواية «كوكب المستر ساملر» تحول مؤلفها من الراديكالية إلى المحافظة . ومن دلائل محافظته قوله فى هذه الرواية عن كارل ماركس إن حشيشه الايدولوجى قوى وفعال للغاية.

وفى يوليو ١٩٧٠ ألقى شاؤول بيلو خطابا فى تل أبيب أظهر

شيئا من التفهم والتعاطف مع تمرد الشباب ، فقد ذكر ان الاتهام الذى يوجهه الشباب إلى الطبقة المتوسطة اتهام سليم وله ما يبرره لأن هذه الطبقة فشلت فى خلق أية قيم يهتدى بها الشباب . ومع ذلك فإنه عاب عليهم هجومهم على الجامعات لأن هذه الجامعات، تمثل فى نظره المكان الوحيد ولعله الأخير فى أمريكا الذى يسمح بتبادل الآراء بحرية. وايضا عاب بيلو على الآباء اليهود سعيهم الى العيش فى الارياف عيشة مغلقة كما لامهم على العمل على احياء الدين اليهودى والافكار الدينية الراسخة إلى جانب ابتعادهم عن الانخراط فى مجرى الحياة الامريكية . ولكنه امتدح أبناءهم لانهم آثروا الانخراط فى هذه الحياة، ومعنى هذا أن موقف بيلو من الشباب فى رواية «كوكب مستر ساملر» موقف يتسم بالملامة والتقريع فى حين أن المحاضرة التى ألقاها المؤلف عام ١٩٧٠ فى إسرائيل تدل على انه اصبح أكثر تقديرا لتمرد الشباب فى الستينات وادراكا لما ينطوى عليه هذا التمرد من إيجابية.

وفى العقد الاخير من حياة بيلو نراه يعود على نحو متكرر الى معالجة موضوع القيم . يقول بيلو بمناسبة حصول روايته «هيرزوج» عام ١٩٦٥ على الجائزة القومية للكتاب انه من

الواضح ان الاستغراق في الممارسات الجنسية والتصريح بقوة عن الاغتراب لن ينتجا أعمالا «فنية عظيمة»، ويعبر بيلو عن طائفة من الآراء غير المتسقة، فهو - مثلما رأينا - لم يعبر عن تفهم اكبر لتمرد الشباب فحسب بل انه لا يستبعد الحلول الاجتماعية والسياسية للمشكلات الانسانية. ففي معرض الحديث الذى ألقاه امام الكتاب البولنديين فى وارسو عام ١٩٦٦ نراه يقر انه امر سيىء أن يعجز الناس عن التغلب على قيودهم السياسية والأيدولوجية لان هناك كثيرا من المشاكل فى العالم التى تنتظر الحل.

ثم يضيف إلى ذلك قوله إن الايدولوجية السياسية لم تندثر. وعندما تسلم عام ١٩٧١ الجائزة القومية للكتاب عن روايته «ساملر» نراه يقول لزملائه من الكتاب: «هناك إيمان قديم بأن الفن يقدم علاجا لفساد الوعى الانسانى.. وإذا نحن معشر الكتاب لم نفعل شيئا من أجل هذا العلاج فلن يكون هناك اى معنى فى ان نكتب الكتب».. ومهما كانت هناك تحفظات على عدم انسجام آرائه احيانا فما من شك أنه كرس أعماله الخلاقة لتأكيد قيمة الحياة أمام الافكار العدمية.

وبعد أن توارت الفضائح التى اقترفها النازيون ضد اليهود

بدأ اهتمام مؤلفنا بالهولوكست يتجدد بسبب ما اعتبره تهديدا للوجود الاسرائيلى نتيجة الحروب المتكررة التى اشتعلت بين العرب واسرائيل . والجدير بالذكر ان بيلو زار اسرائيل عدة مرات، ورغم عدم إقتناعه بالافكار الصهيونية فإن زياراته الكثيرة لاسرائيل زادت من وعيه بيهوديته.. ونحن نراه حتى فى روايته الاخيرة التي نشرها عام ١٩٨٢ بعنوان «عميد شهر ديسمبر» يؤكد قيمة الحياة وضرورة انتصارها على العدم. يقول بيلو في هذا الشأن:

«إن افضل البشر وانقاهم يؤمنون بقداسة الحياة».. ورواية «عميد شهر ديسمبر» لا تتناقض مع الإيمان بقداسة الحياة ولكنها ترسم صورة قاتمة لانحطاط العلاقات الانسانية ليس فى المجتمعات الشيوعية وحدها بل فى المجتمعات الرأسمالية ايضا رغم ما فيها من ميزة التمتع بالحرية.

مثل هذه القتامة قمينه بأن تلقى الظلال على مستقبل البشرية. فضلا عن اختفاء روح الدعابة وخفة الظل التى اتسمت بها اعماله الروائية السابقة.

وتدور رواية «عميد شهر ديسمبر» حول عميد بجامعة شيكاغو اسمه ألبرت كورد Albert Corde . ويكاد هذا الرجل

الايرلندى البروتستانتى ان يكون البطل الوحيد فى روايات بيلو الذى لا ينتمى الى اليهود، فضلاً عن خلو الرواية من أية شخصيات أخرى واضحة اليهودية . والرواية تتضمن جانبا من سيرة حياة مؤلفها فهذا العميد متزوج من امرأة مهاجرة من رومانيا تعمل استاذة فى علم الفلك، وتذهب هذه المرأة برفقة زوجها إلى رومانيا حتى تكون بجوار أمها التى تحتضر. ونفس الشىء حدث فى حياة المؤلف فقد كان متزوجا من عالمة فلك رومانية كما انه رافقها إلى رومانيا حتى يكونا بجوار حماته المحتضرة . وفى رومانيا يستغرق بطل الرواية وعميد الكلية ألبرت كورد فى تأمل الانحطاط الموجود فى كل من الشرق الشيوعى والغرب الرأسمالى.

وتكاد رواية «عميد شهر ديسمبر» تصل الى حافة اليأس والقنوط. والرواية تطرح سؤالا دون ان تجيب عنه بشكل حاسم . والسؤال هل هناك امل فى حدوث أى تقدم اجتماعى؟ ومن الواضح ان الرواية تزخر بصور الفساد الامر الذى يجعل من العسير ان نتصور وجود مثل هذا الامل . غير أن الرواية فى نفس الوقت لا تجزم بعدم وجوده . واللافت للنظر فى هذه

الرواية أن الوهن والضعف يعتريان شعور المؤلف القوى وإيمانه الشديد بقيمة الحياة، وهو إيمان ورثه عن اسلافه من اليهود.

وإذا كانت الحيوية والفكاهة قد فارقتاه فى هذه الرواية فإنهما لم تفارقا روايته التالية التى نشرها عام ١٩٨٤ بعنوان «قدمه فى فمه» . Him With His Foot in his Mouth وهى مجموعة قصصية ترسم فيما ترسم صورا لبعض اصدقاء شاؤول بيلو من الادباء والنقاد أمثال هارولد روزنبرج Harold Rosen-berg روزنبرج واسحق روزنفيلد . وأهم ما يميز هذه المجموعة اختفاء النغمة القاتمة المتشائمة والعودة بقوة إلى الدعابة والحيوية الدافقة . ولكن هذه الرواية الاخيرة تفتقر الى تأكيد المؤلف السابق للحياة فالموت يظللها والردى يرفرف عليها.

٦ - برنارد مالامود

يؤكد الروائى اليهودى الامريكى برنارد مالامود انتماءه إلى الثقافة الامريكية وليس إلى الثقافة اليهودية الامريكية كما يؤكد شاؤول بيلو نفس الشيء .

ويقاوم هذان الكاتبان اليهوديان المرموقان على خلاف معاصريهم من غير اليهود الاتجاه نحو الايمان بالعدم . وقد اوضحنا بجلاء نبذ بيلو للافكار العدمية وتمسكه بالايمان اليهودى التقليدى الراسخ بقيمة الحياة، ونفس الشيء ينطبق على برنارد مالامود الذى قاوم العدمية فى استقلال تام عن قرينه بيلو فقد نادي مالامود بازالة كل اسباب الانتقاص من انسانية الانسان. قال مالامود بمناسبة حصول روايته «البرميل السحرى» The Magic Barrell (١٩٥٨) على الجائزة القومية للكتاب «لقد ضقت ذرعا تماما بالانتقاص المخادع الهائل لقيمة الانسان فى يومنا الراهن».. وترجع أسباب الانتقاص من قيمة الانسان الى نشوب الحروب وطغيان الانظمة الشمولية والتهديد بفناء الجنس البشرى برمته الأمر الذى جعل الإنسان ضحية» . ويرد مالامود هذا الانتقاص إلى قبول الانسان لهذا الوضع الشائن دون أى احتجاج .

ولهذا كرس مالامود أدبه لرد الاعتبار والكرامة الى الانسان والاعلاء من شأنه ، وهو نفس ما يدعو شاؤول بيلو اليه فى روايته بأسلوب مختلف، ومعنى هذا ان كلا الكاتبين اليهوديين يتسمان بخصوصية يهودية واحدة هى تكريم الانسان والاعلاء من شأن الحياة، غير ان اسلوب مالامود يغاير أسلوب بيلو فى الكتابة فبيلو يتبع التقليد الواقعى فى حين ان أسلوب مالامود يشيع فيه الخيال.

ولد مالامود فى بروكلين عام ١٩١٤ من والدين يهوديين روسيين هاجرا الى الولايات المتحدة. وكان والده صاحب محل بقالة صغير يظهر فى احد اعماله وهو «صبى البقال»، the Assistant وتلقى الغلام تعليمه فى مدرسة ايرازموس العالى Erasmus Han High School حيث اشترك فى تحرير وإصدار مجلة المدرسة . وفى عام ١٩٣٦ تخرج مالامود فى كلية مدينة نيويورك ثم تزوج من امرأة تنحدر من أبوين إيطاليين ، وبعد تخرجه قام بالتدريس فى مدرسة ايرازموس العالية ثم فى كلية ولاية أوريجون فى الفترة بين عامى ١٩٤٩ و ١٩٦١ التى اطلق عليها اسم كلية كاسكاديا Cascadia College فى روايته «حياة جديدة» A New Life ، وبعد ذلك باشر التدريس فى كلية بنجتون

Bennington في فيرمونت Vermont وفى عام ١٩٤٩ نشرت له مـجلة هاربرز بازار Harper's Bazaar أول قصـة له مـدفوعة الأجر. ثم ظهرت روايتـه «الطبيـعى» the Natural عـام ١٩٥٢، وبالرغم من شدة حساسيته وتعاطفه مع العاطلين بسبب الكساد العظيم وتألمه من الحرب بين الحلفاء والمحور ومن الهولوكست النازى فإنه يكاد الا يذكر هذه الأحداث الجسام والأليمة فى أعماله الأدبية الباكرة. يقول جرانفيل هيكس Granville Hicks فى هذا الصدر إن مالامود فى صدر حياته «كان يختلف مع الكثيرين من معاصريه فى انه لم يهتم مطلقا بالقضايا الراديكالية أو الثورية، فقد كانت لديه مشاكله الخاصة، فضلاً عن أنه فقد الثقة بالشيوعيين وخاصة بعد محاكمات التطهير فى موسكو».

اتسمت كتابات مالامود بالعصرية وهى تكشف عن تأثرها بأعمال دستيوفسكى وتشيكوف وجوجول وجيمس جويس إلى جانب تأثره بكل من الكاتبين الأمريكيين ماكسويل أندرسون Maxwell Anderson و ت . س. إليوت. وفى عام ١٩٦٣ اعترف مالامود للناقد الأمريكى إيهاب حسن أنه لم يهتم بالمشاكل الإجتماعية إلا فى حدود كتاباته.. يقول مالامود بصراحة: «إن انخراط المؤلف فى الكتابة يقتضى منه عدم الانخراط فى المشاكل

الإجتماعية فهو ليس بحاجة إلى الإنخراط فى السياسة» .. وعندما سأله إيهاب حسن عن موقف الكاتب بوجه عام من القضايا الإجتماعية أجاب مالامود بأنه يتعين على الكاتب أن يعالج هذه القضايا بطريقة فريدة وعلى نحو خيالى بحيث تتحول إلى فن ، فالقضايا الإجتماعية فى حد ذاتها لا تثير اهتمام الكاتب أو الفنان.

ورغم ازودار مالامود عن التصدى للمشاكل الإجتماعية بوجه عام فإن هذا لا يمنع من معالجته لبعض منها فيما انتجه من أدب فى وقت لاحق مثل معاداة السامية، والإبادة النازية الجماعية لليهود والعلاقة بين البيض والسود ، كما نرى فى رواية «المستأجرون» The Tenants وبعض قصصه. فضلاً عن أن المشكلات الإجتماعية تحتل مركزاً محورياً فى روايته «المثبت»، The Fixer وتتصف بعض إشاراته إلى المشاكل الإجتماعية بالاستفاضة مثل الفقرة التى تصف حال سيمور ليفين Sey-mour Levin. فى الرواية التى نشرها عام ١٩٦١ بعنوان «حياة جديدة» فقد ورد فى هذه الرواية أن أمريكا العاصفة قد حلت محل أمريكا الهادئة بسبب عدة عوامل منها التوتر الناجم عن الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتى والغرب وتهديد السيناتور

مكارثى لحرية وأمن المواطن الأمريكى الذى يجرؤ على التفكير بحرية. ومع ذلك يمكن القول إن مثل هذه الاشارات المستفيضة نادرة فى مجمل أعماله باستثناء رواية «المثبت» والجدير بالذكر أن مالامود فى فترة رئاسته لنادى القلم الأمريكى كثيرا ما بادر بتوقيع الالتماسات المطالبة بحرية الكتاب والمثقفين المسجونين والمضطهدين فى جميع بقاع العالم.

قلنا إن أسلوب مالامود يختلف عن أسلوب بيلو ومع ذلك فإن سمة اليهودية تجمع بين الكاتبين. والقارئ لأدب مالامود لا يخطىء يهوديته بسبب كثرة إشاراته إلى اليهود ورسمه للشخصيات اليهودية وقد سئل مالامود عن السبب الذى يدعوه إلى إظهار كل هذا الاهتمام باليهود رغم أن تربيته وتعليمه أبعد ما يكونان عن البيئة اليهودية فأجاب بأن اهتمامه بهم يرجع فى الأساس الى عطفه عليهم بسبب ما كابدوه من ويلات وأهوال على أيدى النازيين. وأضاف أنه يكتب عن اليهود لأنه يعرف حياتهم عن كثب أكثر مما يعرفه عن سواهم.

وذكر مالامود سببا ثالثا هو أنه يعتبر اليهودى رمزا للانسان الوجودى فى كل مكان ذلك الانسان الوحيد الذى يكابد العذاب ويتحمله. أما السبب الرابع لاهتمامه باليهود فيرجع على حد قوله

إلى زواجه من امرأة إيطالية غير يهودية الأمر الذى حفره إلى فحص وتمحيص علاقته ببنى جلدته اليهود ومعنى هذا أن زواجه من غير يهودية لم يضعف وعيه باليهود بل زاد من وعيه بهم على عكس ما هو متوقع. ولعل أكثر هذه الأسباب لفتا للنظر هو اعتبار اليهودى رمزا للانسان الوجودى مما حدا ببعض النقاد الى القول إن مالامود يستخدم يهوديته بمثابة استعارة أو بمثابة رمز أخلاقى على حد قول روبرت أولتر. ويشرح الناقد ثيودور سولوتاروف Theodore Solotaroff دلالة هذه الاستعارة فيقول انها تشير الى البعد المأساوى فى حياة اى انسان كما انها تمثل معيارا أخلاقيا شخصياً.

ويعتبر مالامود اليهود رمزا لكل وجودى على وجه هذه الأرض من حيث أنه يؤكد الكرامة الانسانية ويرفض الخضوع للقيم الاجتماعية الزائفة. ولهذا السبب نجد أن المؤلف يضفى على شخصياته اليهودية خصائص الشخصية اليهودية كما يصورها الأدب الشعبى اليهودى وهى شخصية مهيضة الجناح ومحبطة يزدريها المجتمع ولا يلقى إليها بالا. ويذهب مالامود أن اليهودى يمكن أن يكون جانيا بقدر ما هو مجنى عليه ويستخدم الأدب اليهودى الشعبى أسلوب السخرية والهجاء فى رسم صورة

اليهودى المضطهده ويقول مالامود فى تفسيره لاهتمامه بصورة اليهودى إننا نعيش فى زمن انحطت فيه قيمة الانسان وإنه رأى فى تقديم صورة اليهودى فى أدبه الروائى دعما ومؤازرة للكرامة الانسانية.

والموضوع الرئيسى الذى تدور حوله روايات مالامود يتلخص فى مكابدة العذاب وتجاوزه. وهو موضوع روايته الأولى و«الطبيعى» (١٩٥٢) التى تخلو من كل إشارة إلى اليهود وإستخدامهم كاستعارة ويسعى بطل هذه الرواية واسمه روى هوبز Roy Hobbs إلى الانتصار على العذاب. والرواية تهدف شأنها فى ذلك شأن سائر أعمال مالامود الروائية الى تصوير العذاب كوسيلة لتحقيق السعادة. ويقول سيدنى ريتشمان Sidney Rich-man ان العذاب فى أدبه يمثل الطريق الى الخلاص. وهى فكرة يألفها اليهود لكثرة ما ابتلوا به من نازلات. ويربط مالامود فى روايته التالية «صبى البقال» (١٩٥٧) بين فكرة الخلاص عن طريق العذاب وبين ما مر به اليهود فى تاريخهم من تجارب مريرة. ونحن نرى المؤلف يستخدم فيها اليهودية كاستعارة ترمز الى محنة الجنس البشرى بأسره.

وتروى رواية «صبى البقال» قصة شاب يدعى فرنك أولباين

يعمل كصبى فى محل بقالة صغير يمتلكه رجل يهودى اسمه موريس بوير ورغم أن فرانك ليس بالشخص الشرير فى أعماقة فإنه يتفق مع شريك له فى سرقة محل مخدومه ولكن وخز ضميره يوجعه ويقع هذا الشاب فى غرام ابنة مخدومه اليهودية وتظهر له الفتاة شيئاً من الود غير أنها تنفر منه عندما يحاول اغتصابها وتشتمه الفتاة قائلة: أيها الكلب غير المختون. ويسعى فرانك من جانبه الى التكفير عن خطئه فيكرس كل جهده بعد وفاة مخدومه لخدمة أبنته وأرملته وأمام اخلاصه وتفانيه يبدأ قلبها فى الخفقان له، وبسبب تعذيب الضمير يتحول هذا الشاب إلى انسان مهذب ويكتسب الحكمة من تجاربه. ومن دلائل نضجه وحكمته تخلصه من مشاعره المعادية لليهود فضلا عن انه اقتنع بسلامه أخلاق مخدومه اليهودى. ويلاحظ فرانك أن اليهود يعيشون من أجل العذاب. وفى حديث يتبادله البقال وصبيه حول التوراة والدين اليهودى نراه يقول لصبيه إن البشر ليسوا حيوانات ومن ثم حاجتهم إلى الناموس وهذا ما يؤمن به كل يهودى . عندئذ يقول فرانك لمخدومه إن كل الأديان تؤمن بالناموس فلماذا إذن يتميز اليهود على بقية اتباع الأديان الأخرى بشدة حساسيتهم للعذاب؟ ويتساءل إذا كانت طبيعة اليهود تجعلهم يستعذبون الألم ويتلذذون بالعذاب؟

فيجيبه مخدومه بقوله إن اليهودى يتعذب من أجل الناموس وإنهم إن لم يفعلوا هذا فلن يكون وراء عذابهم أى طائل. وتنتهى الرواية باقتناع صبى البقال بوجهة نظر مخدومه اليهودى ومن ثم نراه يتوجه إلى المستشفى كى تجرى له عملية الختان . وهو لا يكتفى بذلك بل إنه يتحول إلى الدين اليهودى.

ورغم حماس مالامود لليهودية فإنه لا يتجاهل أن الأديان الأخرى تدعو إلى الصلاح. وتلقى الكلمة التى ألقاها الحبر اليهودى فى جنازة البقال اليهودى الضوء على مفهوم اليهودية الحق. صحيح أن هذا البقال لم يراع الطقوس والعادات اليهودية أى أنه لم يعن بالحفاظ على الشكل اليهودى التقليدى ولكن الحبر الذى يؤبنه يعتبره يهوديا حقا فى روحه وقلبه ويكفى للدلالة على يهوديته أنه كابد العذاب وتحمله ولكنه احتفظ بالأمل رغم ذلك.

ويدور عدد كبير من روايات «مالامود» حول صورة اليهودى كما يصورها ذلك الرمز الذى يشير الى عذاب الانسان وقدرته على تحمل هذا العذاب ولكن العوائق والصعوبات تعترض طريق تحقيق هذه الصورة. ويستخدم المؤلف صورة السجن للتعبير عن هذه العقبات. ونحن نرى أن هذه الصورة تتكرر فى رواية «صبى البقال» فضلا عن تكرار ورود صورة الكفن كبديل لصورة السجن.

وصبى البقال واسمه فرانك يعتقد أن مخدومه عبد محل البقالة الصغير الذى يملكه وأن هذا المحل بمثابة السجن الذى يحيط به من كل جانب. والرأى عند فرانك أن اليهود ولدوا كى يكونوا سجناء. وعندما شرع صبى البقال فى دراسة تاريخ اليهود توافر على دراسة اليهود الخارجين من غياهب السجون والساكنين فى حارات اليهود الأمر الذى يجعلهم يتعجبون من أن التوراة تصفهم بشعب الله المختار.

وتتكرر صورة السجن أيضاً فى روايته التالية «حياة جديدة». ورغم أن الرواية لا تحتوى سوى إشارة واحدة إلى يهودية بطلها سيمور ليفين فإن هذه الاشارة تلعب دورا مهما فى حبكتها التى تدور كالعادة حول فكرة الخلاص عن طريق العذاب . ويمثل سيمور ليفين شخصية اليهودى الذى يكابد العذاب. ولكنه فى نهاية الأمر يتجاوزه ويتغلب عليه. يقول الناقد روبرت أولز عن مغزى رمز السجن فى روايات مالامود (الذى قد يكون سجن النفس كما هو الحال مع بطل رواية «حياة جديدة») ان انسانية الانسان الكاملة لا تتحقق إلا إذا عرف هذا الانسان حدوده وقبلها عن طيب خاطر مهما كانت هذه الحدود أليمة على نفسه.

وتتضمن قصص مالامود القصيرة نفس فكرة الخلاص عن

طريق العذاب والقدرة اليهودية على تجاوزه. وتعتبر قصته «البرميل السحرى» من أروع انتاجه. والجدير بالذكر أن جو أدب اليديش الشعبى يشيع فى طائفة كبيرة من قصصه القصيرة التى تفوق الأدب الشعبى اليهودى فى نعومتها وغموضها ومن ثم فى حداثتها. ويصور معظم هذه القصص عذاب الشخصيات وتجاوزها لهذا العذاب عن طريق الحب.

ويدور معظم انتاج مالامود الروائى والقصصى حول اليهود والطليان فهو يعرف اليهود عن كثب لأنه واحد منهم ويعرف الطليان جيدا لأنه تزوج منهم ولأن مجلة بارتيزان ريڤيو منحته منحة لدراسة أحوالهم والتجوال فى بلادهم . وتعالج قصصه ايضا بعض الموضوعات الأخرى مثل كراهية اليهودى لنفسه مثلما نجد فى قصة «سيدة البحيرة» Lady of the Lake وهذه القصة تدور حول شاب يهودى أمريكى يدعى هنرى ليفين يخفى يهوديته طمعا فى الزواج من فتاة يظن أنها غير يهودية وتناصب اليهود العداء، وتعترف له الفتاة بيهوديتها وترفض الزواج منه لأنها ترغب فى الزواج من يهودى أمريكى. وكذلك نطالع فى مجموعته القصصية (١٩٦٣) «البلهاء أولا» Idiots Fisr قصة بعنوان «الطائر اليهودى» The Jewbird تدور حول كراهية اليهودى لنفسه وكراهية اليهودى لليهودى.

حصل مالامود على جائزة بوليتزر عن روايته «المثبت» التى تتميز بإضافة بعد جديد لم يكن له وجود واضح فى مؤلفاته من قبل وهو البعد السياسى والاجتماعى. ولكن هذا البعد الجديد لم يكن مفاجأة إذ كان موجودا فى غير وضوح فى بعض أعماله القصصية الباكرة مثل «السواد هو اللون المفضل لدى» Black is my Favourite Colour وأنجيل ليفين Angel Levine وكان موجودا بوضوح فى قصته «اللاجئ الألمانى» The German ugeeRef وتروى لنا هذه القصة حكاية لاجىء ألمانى إلى الولايات المتحدة اسمه جاسنرGassner آثر أن يترك زوجته غير اليهودية ظنا منه أن حماته تعادى اليهود. وتنتهى القصة بتحول هذه الزوجة الى الدين اليهودى، ولكن اكتشاف هذا التحول يجىء متأخرا بعد أن يكون اليأس قد دفع جاسنر الى الانتحار.

كان مالامود يدرك ان روايته «المثبت» ايذان ببدء مرحلة جديدة فى تاريخه الأدبى. وفى عام ١٩٦٧ أدلى بحديث قال فيه ربما تكون هذه المرحلة الجديدة قد بدأت قبل «المثبت» بنشره قصته «اللاجىء الألمانى». ويدل وعيه الاجتماعى فى عقد الخمسينات على أنه بدأ ينشغل مؤخرا باضطهاد اليهود وفظاعات الهولوكست بوجه خاص ولكن الجدير بالذكر أنه عالج هذه المشاكل الاجتماعية على نحو

فريد وخيالى وجعل منهما فنا له قيمته. وتتضارب آراء النقاد فى القيمة الأدبية لرواية «المثبت» منها من امتدحها ورفعها إلى عنان السماء ومنهم من أنزلها الى اسفل السافلين. ونحن على أية حال نشاهد هنا استخدام المؤلف لاستعارة السجن بالمعنيين الرمزى والواقعى. فضلا عن أن هذه الرواية تعالج الموضوع الذى تكاد ألا تخلو منه كتابات مالامود وهى مكابدة العذاب والسعى إلى الانتصار عليه. وتدور رواية «المثبت» حول واقعة اضطهاد لليهود حدثت بالفعل فى روسيا وتحديدا فى كييف عام ١٩١١. فقد اتهم الروس يهوديا بسيطا اسمه مندل بيليس Mendel Beiliss بسفك دم طفل غير يهودى لاستخدامه فى اجراء بعض الطقوس اليهودية.

وانتشرت شائعة بين الروس مفادها أن اليهود اعتادوا قتل الأطفال غير اليهود لاستخدام دمائهم فى اقامة الفصح. ورغم شراسة مثل هذا الهجوم على اليهود فإن هيئة المحلفين التى نظرت القضية وفحصتها بدقة برأت مندل بيليس من التهمة الموجهة اليه. والغريب أن قيصر روسيا نفسه كان ضالعا فى مؤامرة كبرى ضد اليهود الروس. وقد تصادف ظهور رواية

«المثبت» في غضون أسابيع قلائل من صدور كتاب ألفه موريس صامويل Maurice Samuel توفر فيه على دراسة هذه القضية وتحليل عناصرها تحليلا دقيقا. ويحمل هذا الكتاب العنوان التالي: الاتهام الدموي: التاريخ العجيب لقضية بيليس Bloody Accusations : the Strange History of the Beiliss Case

ورغم أن مالامود استعاد في روايته رسم الخطوط العريضة لهذه القضية فإنه أضاف إليها من خياله وأعطى الضحية اليهودي اسم ياكوف. يقول المؤلف عن انتصار اليهودي المضطهد على عذابه في روايه «المثبت»:

«قصتي تدور حول السجن والمحاولة المبذولة من أجل تحقيق الحرية من خلال نمو الإنسان الروحي، ويمكن لهذا الإنسان أن ينتصر على سجنه بأن يصبح ما كان عليه قبل دخول السجن».

وتصور الرواية الخسف والاضطهاد الذي لحق بياكوف شخصية الرواية المحورية فحراس السجن يعذبونه ويمارسون ضغطا هائلا عليه كي يعترف باشتراكه في مؤامرة ضخمة تهدف إلى الإضرار بالشعب الروسي. بل انهم يغرونه بإطلاق سراحه اذا هو اعترف بوجود هذه المؤامرة. ولكن اليهودي ياكوف يظل صامدا كالصخرة لا يخيفه ترهيب ولا يغريه ترغيب ويصر على براءته.

وبذلك يتصدى فى بطولة لأعداء السامية فاديا بنى جلدته بعذابه مخلصا إياهم بآلامه رافضا خذلانهم والتعاون مع جلاديهم. وبعد أن كان ياكوف فيما مضى لا يهتم بهويته اليهودية أصبح الآن شديد الحرص عليها والاستمساك بها وشديد الاحساس بمسئوليته نحو بنى جلدته من اليهود الذين يتعرضون دوما للخسف والاضطهاد طيلة أيام حياتهم. وإلى جانب هذا البعد الاجتماعى فى الرواية يظهر بعد آخر هو البعد السياسى. وبعد أن كان المؤلف يولى ظهره للاجتماع والسياسة اصبحنا نراه يقول انه لا يمكن لليهود تجنبهما. والجدير بالذكر ان روايته «الساكنون» (١٩٧١) تدور حول علاقة اليهود بالزنوج. وفى عام ١٩٧٩ أصدر مالامود رواية «حيوان دوبين» Dubins Lives ورغم أن دوبين شخصيتها المحورية يهودى فإن الرواية تكاد تخلو من كل أثر لليهودية فيها.

٧ - فيليب روث وأدب الاعتراف

كان الأديب اليهودى المرموق فيليب روث من ألمع نجوم الثقافة الأمريكية في فترة الخمسينات ، ويزخر أدبه شأن أدب كل من بيلو ومالامود بالشخصيات اليهودية سواء كانت محورية أو هامشية. فضلا عن اشتراكه معهما فى الحداثة وخيبة الأمل فى حال العالم في أعقاب الحرب العالمية الثانية. ورغم التشابه الموجود بين روث وزميليه بيلو ومالامود فإنه يختلف عنهما في النظرة والأسلوب ، فضلا عن أنه أصغر سنا منهما.

لفت روث أنظار جمهور القراء الأمريكان فى عام ١٩٥٩ عندما نشر قصته القصيرة بعنوان «المدافع عن الايمان» Defender of the Faith في جريدة النيويوركر New Yorker الصادرة فى ١٤ مارس من هذا العام. وانحى معظم الناس وبخاصة اليهود باللائمة على هذه القصة القصيرة ورموها بالعداء ضد السامية وعابوا عليها تركيزها على الجوانب الكريهة فى حياة اليهودى وشخصيته . وبمجرد ظهور هذه القصة عام ١٩٥٩ فى المجموعة القصصية التى تحمل عنوان «وداعا ياكولمبوس » Good bye Co-lumbus انهال التجريح على مؤلفها الذى شاء أن يسخر قلمه من القيم الزائفة والفارغة التى استمسكت بها الطبقة المتوسطة

اليهودية، واعتقد الكثيرون أن هذه السخرية من جانب المؤلف لليهود تعنى انه يقف منهم موقفا عدائيا كما ذهب البعض إلى أن الرواية تمثل كراهية بعض اليهود لذواتهم. ومع هذا فقد منحه مجلس الكتاب اليهودى جائزة عن «وداعا ياكولمبوس» الأمر الذى أثار حنق الكثيرين من معارضيه ومنتقديه ومن بينهم صامويل مارجوش Samuel Margoshe – وهو صحفى يهودى – الذى اتهم روث بمعاداة السامية ووصم الكتاب بأنه وثيقة تزخر بكراهية اليهود لأنفسهم. وأضاف مارجوش أن رسم صورة لليهودى بمثل هذه القتامة لايصنع أدبا أو نقدا اجتماعيا جيدا بل ينم عن أن اليهود قوم سيئون لا يرجى منهم أى خير.

ومهما قيل ضد هذه المجموعة القصصية فقد بشرت ببزوغ موهبة يهودية جديدة تتميز بالقدرة على السخرية اللاذعة وتستمد مادتها من حياة اليهود. وترجع جذور هذه السخرية الى احساس المؤلف الباكر بالدعابة وهو احساس لازم تطوره الأدبى. وكما اسلفنا تنصب سخريته اللاذعة على القيم التى استمسك بها اليهود الأمريكان المنتمون الى الطبقة الوسطى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .

ويتضمن كتابه «وداعا ياكولمبوس» قصة أخرى بعنوان «الهداية

اليهودية» The Corversion of the Jews التى تدور حول تمرد غلام فى الثالثة عشرة من عمره يتلقى العلم فى مدرسة يهودية ضد ما يراه مظاهر التعصب الدينى اليهودى، وتكشف هذه القصة ايضا عن شدة هوس مؤلفها بالجنس، وفى حديث أدلى به روث الى بعض الاسرائيليين نراه يعترف بأن سبب تأليفه لهذه القصة قد يكون ما رآه من تعصب من جانب اليهود ورفض كل مايخالفهم فى الرأى. ويضيف المؤلف ان القصة تدور حول غلام يصيبه الفزع من إله يستحل لنفسه فعل ما لا يمكن مغفرته مثلما يفعل المسيحيون على الأرض عندما يسمحون لامرأة بانجاب طفل دون أن تشعر بلذة المضاجعة الجنسية. والجدير بالذكر أن الكاثوليك يرون أن الهدف من الزواج هو الانجاب وليس الاستمتاع بالجنس.

وأيضا تحتوى هذه المجموعة القصصية على قصة ثالثة بعنوان «إبشتين» Epstein التى تدور حول فشل الزيجات اليهودية بين العائلات البورجوازية الصغيرة وتمرد أبناء هذه الطبقة وانغماسهم فى علاقات جنسية دون ضابط أو رابط. ويموت إبشتين وهو يزنى بامرأة. وهاج اليهود وماجوا على المؤلف الذى يتحدث عن ممارسة اليهود للجنس الحرام. اما قصة «إليا المتعصب» Eli the Fanatic فتعبر عن زراية فيليب روث بالتماثل الفكرى والسلوكى الذى تتسم

به الطبقة اليهودية التى تستقر فى الريف الأمريكى. فهى لاتطيق أن يجاورها فى السكن بعض اليهود المغايرين لهم فى العقيدة، والمنتمين الى طائفة الهاديسيين اليهودية. والجدير بالذكر ان الهجوم على زيف قيم الطبقة الوسطى الريفية سواء كانت يهودية او غير يهودية لم يقتصر على الكتاب اليهود وحدهم ، كما هو الحال مع فيليب روث بل امتد الى الكتاب الامريكان. ولأن روث نبذ الأفكار الراديكالية والثورية فإنه لم يجد أمامه حلا سوى الأمانة الشخصية يمجدها فى أدبه ويعلى من شأنها.

ويختلف روث عن كل من بيلو ومالامود فى جانب مهم. ففى حين أقام بيلو ومالامود وزنا كبيرا للخصائص اليهودية رأى روث انها عديمة الأهمية فى أدبه ونظرته للحياة. وفى حين أكد بيلو ومالامود أهمية الحياة اليهودية (التى اعتبرها مالامود رمزا لقدرة اليهودى على تجاوز عذابه) لم ير روث مثل هذه التداعيات المهمة فى يهوديته التى لم تعد فى نظره غير أن تكون معطى من معطيات الحقيقة او الواقع ، ولهذا تشكك بنو جلدته فى نواياه واتهموه كما ذكرنا بمعاداة السامية. وفى اسرائيل أثناء اشتراكه فى المناظرة التى نظمها المؤتمر اليهودى الأمريكى فى صيف عام ١٩٦٣ بعنوان «المثقف اليهودى والهوية اليهودية» تصدى له بغلظة

أحد الكتاب الاسرائيليين إذ قال له بلا موارية انه لايعتبر اليهود الأمريكان المشاركين فى المناظرة مثقفين يهودا بل هم مجرد مثقفين تصادف انهم ينتمون الى العرق اليهودى. ثم أردف مؤكدا انه لايعتبر فيليب روث ومن كان على شاكلته مثقفين يهودا على الإطلاق. عندئذ رد عليه روث بنفس الخشونة انه لايمانع فيما قيل عنه ثم أضاف قائلا: «لست كاتبا يهوديا ولكنى كاتب ينتمى الى العرق اليهودى» . وحين تساءل البعض عن أهمية يهوديته فى كتاباته قال روث بكل أمانة إنه لايعترف بالناموس اليهودى او بالتعليم اليهودى بل إنه لا يلم بالكتاب المقدس على الإطلاق. فضلا عن أنه انكر اللغة اليهودية وتشكك فى وجود الله نفسه. ورغم هذا فإنه اعترف بوعيه بيهوديته لأن هناك مايذكره باستمرار بها. وقال إنه يعتقد أن الذى يتبقى من اليهودية فى نهاية الأمر هو تركيبة نفسية يهودية، وليست ثقافة يهودية أو تاريخا كاملا لليهود. وتربى روث على حقيقة تشربها منذ نعومة أظفاره مفادها أن اليهود أفضل من غيرهم الأمر الذى حفزه الى خلق شخصيات روائية أخلاقية، ولهذا ذهب روث إلى أنه يتعين على المرء اليهودى أن يخترع اليهود فكل ما ورثه عن أسلافه اليهود لايعدو أن يكون تركيبة نفسية خالية من المضمون أو تتضمن فقط بقايا مضمون

ولي واندثر، ومن ثم تعين عليه كمؤلف يهودى أن يعوض هذا الوضع المنهار والمتهالك باختراع اليهودية. غير أنه يقول فى وقت لاحق فى هذه المناظرة: «قد يبدو أن بعض قصصى تعالج الحياة اليهودية. وهذا ماتفعله بطرائق معينة» ولكنه يتحفظ قائلا إن الكثير من رواياته لا يتسم بالصبغة اليهودية بالذات بل هى موضوعات لها صفة العموم وتنطبق على اليهود بقدر ما تنطبق على غير اليهود. ويقرر روث أنه لم يتعمد أن يبدأ حياته بكتابة القصص اليهودية. بل كل ما هناك أنه عرف الحياة اليهودية عن كثب أكثر مما عرف غيرها. فحفزه هذا للكتابة عنها. وهذا طبيعى ومتوقع من شخص عاشر اليهود وعرف الأماكن التى يترددون عليها والأشياء التى يشعرون بها فى جوارحهم. غير أن دائرة تحركاته اتسعت بمضى الوقت لتشمل أماكن جديدة وبيئات متنوعة ومختلفة الأمر الذى أحدث تغييرا فى نوعية القصص التى يؤلفها والتى كرس لها قلمه على مدى بعض العقود ثم عاد بعدها الى معالجة نفس الشخصيات والمواقف والموضوعات اليهودية التى بدأ بها حياته الأدبية، وليس هذا بالمستغرب فقد غارت مثل هذه الأشياء فى أعماقه.

ركز روث فى مؤلفاته القصصية والروائية على فحص نفسية

الفرد سواء كان يهوديا أم غير يهودى . وهو يمزج بين قدرته الفذة على السخرية وقدرته على تمحيص الوعى الفردى . ويعيب عليه بعض النقاد عدم تحريه الموضوعية الفنية واقحام شخصيته فى كتاباته. فضلا عن أن صبغ هذه الكتابات بمشاعر المرارة كما هو الحال فى روايته الطويلة المنشورة عام ١٩٦٢ بعنوان «لندعها» Letting Go التى تدور حول شخصية جابى والاتش Gabe Wallach المنادية بأن يحيا المرء حياته وفقا لطبيعته الخاصة. هذه الشخصية خاب أملها فى الحياة فلم يعد أمامها شىء تستمسك به غير توخى الأمانة فى العلاقات الخاصة، ومن ثم اهتمامها الشديد بذاتها وعدم احتفاظها سوى بالحد الأدنى من العلاقات التى تربط بينها وبين العالم الخارجى. وفى الفقرات القليلة فى القصة التى تعالج الحركات السياسية والاجتماعية نرى المؤلف يشير الى هذه الحركات بمنتهى الازدراء. وليست هناك دلالة على تركيز المؤلف على الذات الشخصية أكثر من قول والاتش : «وفى نهاية الأمر عرفت اننى لن استمد سعادتى او شقائى الذى سيكون من نصيبى من طلبتى أو زملائى أو مؤلفاتى المنشورة بل من حياتى الخاصة التى لا يعرف الآخرون عنها شيئا» .

ويرى بعض النقاد ان روايات روث تتضمن اعترافاته من خلال

شخصياته. ويتضح لنا هذا بجلاء من رواية «فلندعه» حيث تظهر اليهودية بدرجات مختلفة وفى أنماط متنوعة. واليهود الذين تعالجهم الرواية ينتمون الى طبقات اجتماعية تتفاوت بين الطبقة الوسطى والطبقة العاملة. وتخلو روايته المنشورة عام ١٩٦٧ بعنوان «عندما كانت طيبة» When she Was Good من الشخصيات اليهودية. ويبدو أن نجاحه فى رسم الشخصيات غير اليهودية كان محدودا . غير أنه تخلى عن الكتابة عن غير اليهود وعاد الى تأليف الروايات عنهم فألف عام ١٩٦٩ رواية عن اليهود بعنوان «شكوى بورتنوى» Portnoy's Complaint التى تكشف عن ملامح أدب مؤلفها الأساسية مثل موهبته الكوميدية والسرد الروائى الانسيابى الدفاق وقدرته على السخرية وانشغاله المفرط بالجنس وموقفه الغامض وغير الواضح من اليهودية واليهود. ويمتدح الناقد دوايت ماكدونالدDwight Macdonald هذه الرواية كثيرا فيقول ان مؤلفها وجد صوته الحقيقى وموهبته الحقيقية فيها بعد عقد كامل من التخبط والبدايات الخاطئة . وتستخدم الرواية علم النفس الفرويدى فى تفسير عجز بورتنوى الجنسى فى معاشرة النساء اليهوديات بسبب هوس عطف أمه اليهودية عليه فى طفولته . واستقبل المجتمع اليهودى هذه الرواية كصدمة هزت كيانه لأنها تضمنت

هجوما على اليهود من ناحية واستغراقها فى ملذات الجنس من ناحية أخرى. وأصابت الرواية نيوعا وانتشارا كبيرا فقد بيع منها حوالى نصف مليون نسخة. وتروى لنا الرواية بأسلوب شيق وجذاب اعترافات المريض الكسندر بورتنوى لمحلله النفسى التى تذكر افراط امه فى حبها ورغبتها الطاغية فى السيطرة عليه وارغامه على تناول الطعام رغم انفه. ولم تكن معاملة أبيه له أحسن حالا. والأبوان ينتميان الى الجيل الأول من المهاجرين. وشكا المريض إلى طبيبه من شدة احساسه بالذنب بسبب تنشئته القائمة على الكبت لدرجة أحالته الى انسان عاجز ومريض وضعيف وهستيرى يفرط فى ممارسة العادة السرية رغم أنه فى الثلاثين من عمره. ويكفر بورتنوى بالحياة اليهودية ويسخر منها قائلا: «هل هذا هو العذاب اليهودى الذى اعتدت أن اسمع الكثير عنه. هل هذا كل ما ورثته عن الإبادة الجماعية لليهود واضطهادهم؟ وعن المهازل والخسف الذى تعرض له الشعب اليهودى خلال مايزيد على ألف عام قاحلة وموحشة؟

وبسبب استغراقها فى الجنس أصبحت هذه الرواية مضغة الأفواه، الأمر الذى عرض مؤلفها للمضايات والاهانات من جانب اليهود خاصة والقراء عامة ولم يتحمل روث هذه المضايقات فابتعد

عن المجتمع فى مكان منعزل لمدة بضعة شهور. واعتقد الكثيرون ان الرواية تحتوى على اعترافات مؤلفها الشخصية فشجعهم هذا على التطاول عليه ومعايرته من الناحية الجنسية. وبسبب تغيبه عن شقته سرت اشاعة بأنه تعرض للانهيار العصبى وأنه تم نقله الى المستشفى وأدرك روث ان يهوديته كانت خليقة بأن تمنعه من الخوض فى مثل هذه الأمور الحساسة. فضلا عن نفور المجتمع المسيحى منه. ومن ناحيته نسب المؤلف رفض الطبقة المتوسطة اليهودية الشديد للرواية الى اعتقادها بأن انشغاله الزائد عن الحد بشهوات الجنس يضعف موقف يهود أمريكا ويهدد سلامتهم للخطر.

وأثار وصف روث للاشتهاء الذى يحس به اليهود نحو النساء غير اليهوديات حنق السيدة مارى سيركين Marie Syrkin استاذة الأدب الانجليزى وكذلك محررة جريدة صهيونية تحمل اسم «الحدود اليهودية» Jewish Frontier . وتفسر هذه السيدة هذا الوصف بأنه سعى من جانب اليهود الى تدنيس الجنس الآرى. وفيما بعد أعادت هذه السيدة الغاضبة صياغة اتهامها بصورة أوضح فى خطاب نشرته مجلة تعليق فى مارس ١٩٧٣. قالت هذه السيدة إن اشتهاء اليهودى للمرأة غير اليهودية يدخل فى نطاق

مـايعـتبـره النازيون تدنيس اليـهـود للعرق الآرى الذى تحـدث عنه جوبلز. وهكذا ألصـقت مـارى سـيركين تهـمة مـعـاداة السـامـيـة بالرواية. ورد روث على هجـوم مـارى سـيركـين عليـه بقـوله انـهـا تتناسى ان التـوتر التقليـدى القائم عبر القرون بين اليـهـود وغيـر اليهود المعادين للسـامية لابد وأن يكون قد أثر فى طبيعة العلاقات الجنسـية بينهم. واذا كـانت هذه الناقـدة لم يحـالفـهـا التـوفـيق فى إلصاق تهمة معاداة السامية بالرواية إلا انها نجحت فى هجومها على المؤلف الذى أكد أن يهودية عـائلة بورتنوى هـى المسئولة عن خلق الهسـتيريا فى شخصيته وانه كمؤلف لم يدخر جهدا لتوضيح الأثر العـمـيـق الذى تركـتـه يهـودية بورتنوى فى تربيـتـه. ويقـول بورتنوى مـخاطـبا طبيبه النفسـانى الدكتور سـبيلفوجل Dr .Spiel Vogel : «هذه حياتى.. حياتى الخاصة وإنى أحياها كنكتة يهودية، ووجودى ثمرة نكتة يهودية.»

وبالإضافة الى مقال مارى سيركين عن هذه الرواية كتب محلل نفـسـى فـرويدى بارز يدعى برونو باتلهـايم Bruno Battelheim مقالا بعنوان «التحليل النفسى لشخصية بورتنوى» Portnoy Psy-choanalysed . يقـول باتلهـايم ان بورتنوى التـجـأ الى مـحلل نفسـانى يـهودى لمعـالجتـه لأنه فى قـرارة نفسـه لم يكن يرغب فى

تجاوز خلفيتـه اليـهودية التى تربى فيـها أو التـخلى عنـها كمـا انه اختار مـحللا نفسيا لن يقصيه عن يهوديته التى يدعى كراهيتها. ويضيف باتلهايم أن بورتنوى فى حقيقة الأمر لم يكن قادرا على حب أحـد حتى نفسـه وكـان يحـمل الكراهيـة لذاته التى ظن أنه استطاع ان يحررها عن طريق بذاءاته. وذهب باتلهايم ان مرض بورتنوى الحقيـقى يتمثل فى رفضـه الاعتراف بحب والديه له لأن ذلك سوف يضطره الى ان يبادلهما الحب. وهذا ما لايريد. ويقول هذا المحلل النفسى ان بورتنوى سـجين يهوديته على نحـو غامض وأنه يحس بسـبب يهـوديتـه بمركب النقص ولكنه فى نفس الوقت يمقت معاداة الساميـة. ومن ثم نراه عـاجـزا عن تحـقيق المتعة الجنسية الا عن طريق غواية النساء غير اليهوديات وهى ممارسات يرى أنها منحطة. ويختتم باتلهايم مقاله بالتعبير عن اعتقاده بأن قصة بورتنوى هى قصة المؤلف نفسه وقد انصرف بأمانة وصدق إلى تحليل ذاته وانه قد يكون حـالة مرضيـة من حـالات اليـهود الذين يكرهون انفسهم ويعيشون غرباء فى المنفى.

وعندما ذهب منتقدوه الى أن شخصية بورتنوى تمثل شخصية مؤلفها أنكر روث انها تتضمن سيرة حياته . يقول المؤلف إن أحد الأسباب التى جعلت اليهود ينفرون من روايته أن صورة اليهودى

تغاير الصورة التى درج الأدب الأمريكى بعد الهولوكست النازى على رسمها . فقد دأب الأدب الأمريكى على رسم صورة مشرفة لليهودى كإنسان فاضل قادر على ضبط نفسه، والسيطرة على انفعالاته وينشد العدل وليس ذلك الانسان الشهوانى والعدوانى مثل بورتنوى. وتختلف صورة اليهودى عند روث عن صورته فى أدب كل من بيلو ومالامود فقد كرس بيلو ومالامود أدبهما لتصوير قدرة اليهودى على مكابدة العذاب وتجاوزه فى حين ذهب روث إلى أن اليهودية هى السبب فى اعتلال اليهودى وعجزه عن التكيف مع بيئته كما أنها السبب فيما يعانى من انحرافات نفسية. ولكن الهجوم العاتى الذى شنه اليهود على الرواية لايعنى انها لم تجد من يمتدحها ويساندها فقد قرظها عدد كبير من كبار المشتغلين بالأدب والنقد.

وتزخر رواية روث التالية التى نشرها عام ١٩٧١ بعنوان «عصابتنا» Our Gang بعنصر الهجاء الساخر الى اقصى الحدود. فهى تسخر من نفاق الرئيس ريتشارد نيكسون الذى عارض الاجهاض بكل ما أوتى من قوة بسبب ايمانه الراسخ بقدسية الحياة الانسانية فى حين أنه تسامح تسامحا غير مفهوم أو مبرر مع بعض الجرائم المقترفة. وتراوح رأى النقاد فى هذه الراوية بين

التقريظ العظيم والتقريع الشديد. ويسخر المؤلف في الكتاب الذى نشره عام ١٩٧٣ بعنوان «الرواية الأمريكية العظيمة» The Great American Novel من كثير من جوانب الحياة الأمريكية مثل الحملة المسعورة التى شنها مكارثى على كل من تجرأ وعبر عن رأيه فى حرية واستقلال متهما اياه بالشيوعية وبالعمالة لها.

ثم ألف روث رواية تعبر عن انشغال مؤلفها الكامل بموضوع الاشتهاء الجنسي بعنوان «الثدى» (١٩٧٢) The Breastوهى تدور حول استاذ للأدب اسمه دافيد كبش David Kepesh يطرأ عليه تغير بيولوجى هائل فيتحول من جسد انسان الى ثدى. ويعتقد هذا الأستاذ انه انسخط وأصبح ثديا بسبب اقتناعه وافتتانه العظيمين بقصة جوجول «الأنف» التى تروى لنا قصة موظف أخطأ الحلاق دون أن يدرى وهو يحلق له فقطع أنفه. وكذلك بسبب اعجابه الهائل بقصة مماثلة ألفها كافكا بعنوان «المسخ» Metamorphosis وفيها يتحول البطل الى مجرد حشرة.. وهو تحول يرمز إلي مدى ما تعرضت له انسانيته للمهانة والهوان. وعلى ذات الفرار وجد بطل قصة روث نفسه يتحول - كما أسلفنا - إلى ثدى الأمر الذى يدل على سخرية المؤلف من التهالك على الملذات الجنسية. ولكن النقاد

رأوا ان رواية روث «الثدى» لاتقف على قدم المساواة مع «الأنف» لجوجول و«المسخ» لكافكا.

لقد تعرض فيليب روث لوابل من الانتقادات منذ أن خطا أولى خطواته فى عالم الأدب. ولم تقتصر هذه الانتقادات على معارضيه بسبب رأيه السيىء فى اليهودية بل امتدت الى الدارسين والباحثين. وتصدى روث لهذا النقد فى عدد كبير من المقالات التى جمعها فيما بعد فى كتاب تربو صفحاته على المائتين والخمسين صفحة بعنوان « قراءة نفسى والآخرين» (١٩٧٥) . ويرفض روث اتهام النقاد له بأن معالجته لليهودية تفجر فيه عادة طاقته الديناميكية للهجاء ليجد أن هذا الهجاء قد سيطر على كل ما عداه.

ويدل انتاجه الروائى اللاحق على أنه اطلق العنان للتعبير عن جموح رغباته الجنسية. ولكن تغيرا مهما طرأ على أدبه اللاحق فقد كف عن تقريع والديه ولم يعد ينحى باللائمة على يهوديته. أى أنه لم يعد يعتبرها مسئولة عما يعانيه من مشكلات كما هو الحال فى رواية «بورتنوى» . وتكشف روايته «حياتى كرجل » My Life as a man التى نشرها عام ١٩٧٤ عن عودة روث إلى أدب الاعتراف. فضلا عن تركيز الرواية الشديد على شهوات الجنس.

واللافت للنظر فى هذه الرواية انه لم يعد يعتبر يهودية البطل مسئولة عن فشله ويمكن القول أن أدب روث الروائي ابتداء من روايته «حياتى كرجل» اصبح يدور حول الشهوة الجنسية ولكن بدون إلقاء اللوم على الأم اليهودية التى كانت فيما مضى محور هجومه وانتقاده.

وفى عام ١٩٧٧ اصدر روث رواية بعنوان استاذ الرغبة The Professor of Desire. تعتبر بمثابة تكملة لروايته «الثدى» ويلاحظ ان المقت الذى يحمله المؤلف لأبويه اليهوديين قد اختفى من أستاذ «الرغبة» . وبعد ذلك اصدر روث ثلاثية روائية بدأها برواية «الكاتب الشبح» The Ghost Writer(١٩٧٩) التى تتضمن اشارة الى الهولوكست النازى. ويشمل الجزء الثانى من هذه الثلاثية وهو بعنوان «زوكرمان طليقا» Zuckerman Unbound (١٩٨١) كثيرا فى سيرة روث الذاتية. ولكن هذا لايعنى ان أعماله الروائية ترجمة حرفية لحياته. بل يعني فقط ان حياة المؤلف الداخلية والخارجية تشكل جوهر الكثير من كتاباته الخيالية والمتسمة بالقدرة على الوصف المتدفق البليغ الى جانب الموهبة الكوميدية غير العادية. ونحن نطالع فى الثلاثية هوس المؤلف بالجنس . وفى دفاعه عن نفسه يتهم روث معارضيه ومنتقديه بالخلط بين الشخصيات

الروائية وحياة مؤلفها. ومن ثم فهو يسعى فى ثلاثيته الى استجلاء هذا الخلط.

ورغم توقف روث فى أدبه اللاحق عن الزراية بأبويه اليهوديين فإن الثلاثية تعكس أصداء واضحة لهذه الزراية، فشخصية ناثان الروائية تنشر كتابا ناجحا يسىء فيه الى والديه اليهوديين. والوالدان اليهوديان فى هذا الكتاب يشعران بالضيق الشديد من قسوة ابنهما المؤلف عليهما ولكنهما يكتمان هذا الضيق حتى لايكدران عليه حياته. وعندما تحين ساعة والده يأتى ناثان الى جوار فراشه أثناء احتضاره فيسمع لفظ ابن الزنا ينبعث من شفتى الأب المحتضر. ولايصدق ابنه ناثان اذنيه .. ثم يموت الأب. عندئذ ينفجر هنرى شقيق ناثان فى وجه أخيه العاق ويواجهه بالحقيقة المرة، وهى أن أباه لقبه ابن زنا وهو يلفظ انفاسه الأخيرة. قال هنرى لأخيه مهتاجا : «أنت ابن زنا .. ابن زنا قاسى القلب وعديم الضمير» . فالولاء لايعنى شيئا بالنسبة لك. والمسئولية لاتعنى شيئا بالنسبة لك. وانكار الذات وضبط النفس لايعنيان اى شىء بالنسبة لك. فأنت ترى ان كل شىء يصبح فضحه والتخلص منه . فلا غرو اذا رأيناك تستغل كل شىء كمادة للتفكه وتستغل الأخلاق اليهودية وقدرة اليهود على التحمل

وحكمة اليهود والعائلات اليهودية .. «واسوأ ما فى الأمر اننا نجهد انفسنا كى نمنعها من قول رأيها بصراحة فيك .. لقد قتلت أباك ياناثان بالكتاب الذى ألفته عنه . إنه تفوه بطبيعة الحال بلفظ ابن زنا. لقد رأى كما أرى فيه مافعلته بأبيك وأمك..»

وتقع كلمات هنرى وقع الصاعقة على أخيه ناثان الذى كاد ينهار ونحن نشاهد هذا فى الجزء الثالث من الثلاثية المنشور عام ١٩٨٣ بعنوان «درس التشريح An Anatomy Lesson فضلا عن أن هذه الكلمات تعمق فى ناثان إحساسه بالذنب. ويتضاءل فى هذه الرواية انشغال مؤلفها بشهوة الجنس حيث نرى الألم الممض يعتصر قلب ناثان الرازح تحت وطأة الاحساس بالذنب. بسبب اساءته الى أبويه اليهوديين. ولهذا يقرر ناثان نبذ الكتابة والأدب ويتوقف عن تأليف الكتب ليبدأ دراسة الطب وهو فى الأربعين من عمره بعد أن شعر بأن موهبته الأدبية قد وصلت الى طريق مسدود. ويجدر بالذكر ان النقاد يلاحظون وجود كثير من أوجه التشابه بين حياة روث المؤلف وشخصياته مع اختلاف جوهرى وهو أن روث لم يكف عن الكتابة مثلما فعل ناثان فى الجزء الثالث من الثلاثية التى تتمتع بالقدرة الهائلة على تسلية القارىء وبزيادة الاكتمال والنضج.

٨ - نورمان مالر

يختلف موقف الروائى الأمريكى نورمان مالر Norman Mailer من يهوديته عن موقف كل من بيلو ومالامود وروث من يهوديتهم. لم ينكر مالر يهوديته ولكنه رفض ان يعتبر نفسه كاتبا يهوديا. يقول مالر فى هذا الصدد: «لن أقول ابدا اننى لم أكن يهوديا». ثم يضيف: «ولكنى لم استمد أية قوة من هذه الحقيقة.»

ولد نورمان مالر فى لونج برانش Long Branch بولاية نيوجيرسى وانتقلت عائلته وهو فى الرابعة من عمره كى تعيش فى بروكلين حيث تلقى قدرا ضئيلا من التعليم اليهودى. يقول مالر إن والديه كانا محافظين وتقليديين. غير أنه سرعان ما نسى بمضى الوقت ذلك القدر الضئيل من اللغة العبرية الذى اكتسبه فى باكورة حياته. وبمجرد التحاقه بالجامعة نسى مالر حياته فى بروكلين وأقرانه اليهود الذى خالطهم فى شوارعها ولم تعد تربطه بماضيه اليهودى أية صلة تذكر. وفى منتصف عقد الخمسينات اكتشف مالر - شأنه فى ذلك شأن الكثيرين من الكتاب والمثقفين اليهود آنذاك - كتابات وافكار الطائفة اليهودية التصوفية المعروفة بالهاديسية. وراق له الجانب الوجودى من هذه الكتابات. وفى تلك الفترة من حياته أدمن تعاطى مخدر المارجوانا.

ورغم ضعف الروابط التى ربطت مالر باليهودية فقد استحال عليه أن يتخلص منها تماما. وكان من الطبيعى ان نراه فى مراحله الأولى يستمد كتاباته من تجاربه اليهودية. ومن ثم امتلأت صفحات رواياته الباكرة بالشخصيات اليهودية. وفى فترة تلقيه العلم بجامعة هارفارد (١٩٣٩ - ١٩٤٣) سطر يراعه كثيرا من الكتابات التى تنم عن شدة تأثره بالكاتب الأمريكى المعروف ارنست همنجواني. ومن أبرز هذه الكتابات أقصوصة بعنوان «حساب فى السماء» « A Calculus at Heaven تدور حول الحرب فى الباسيفيك أثناء الحرب العالمية الثانية . ونشرها مالر لأول مرة عام ١٩٤٤ بعنوان «جزء مقطعى: مجموعة من الكتابات الأمريكية الجديدة». Cross - Section : A Collection of New American Writing وقام بتحرير هذه المجموعة ادوين سيفر Edwin Seaver وقد جذا مالر فى هذه المجموعة خذو اسلوب همنجواى فى الكتابة. وهو مايتضح لنا من رسمه لشخصية لاعب كرة قدم يهودى أشقر الشعر يدعى وكسلر Wexler الذى اعتبر نفسه يهوديا بالاسم فقط. واستقى مالر الذى اشترك فى حرب الباسيفيك لمدة ثمانية عشر شهرا مادته الروائية من تجاربه فى هذه الحرب. فألف رواية بعنوان «العرايا والموتى» The Naked and The Dead. التى تعتبر من أبرز الروايات الأمريكية التى تعالج الحرب العالمية الثانية .

ويعد هذه الرواية اختفت اليهودية من أدب مالر الروائي. والجدير بالذكر ان مالر ألف هذه الرواية فى زمن الحرب العالمية الثانية، اى فى فترة حرب الحلفاء ضد النازية الالمانية . والغريب في الأمر ان امريكا آنذاك شهدت تصاعدا بين الأمريكيين انفسهم ضد السامية، ورغم ضعف ارتباط مالر ببنى جلدته فإن احساسه بالانتماء الى طبقة المطحونين جعله يشعر بالانتماء الى الشعب اليهودى المضطهد . يقول مالر فى هذا الشأن: «كنت يهوديا بسبب ولائى إلى طبقة المطحونين» . وقد حفزه شعوره بأنه مطحون الى تبنى مواقف ثورية وراديكالية طيلة حياته. واعتبر مالر نفسه واحدا من اتباع المعسكر الاشتراكى . وعمل فى الفترة من ١٩٥٧ الى ١٩٦٣ عضوا فى هيئة تحرير مجلة «الانشقاق» وهى مجلة شهرية كرست صفحاتها للدفاع عن الاشتراكية الديمقراطية. وفى تلك الفترة وقع مالر لسنوات معدودات تحت تأثير واحد من اتباع تروتسكى اسمه جان مالاكيه Jean Malaquais الذى أحيا فيه الاهتمام بمعالجة السامية . وفى المناظرة التى عقدتها مجلة البارتيزان ريفيو عام ١٩٥٢ بعنوان «بلدنا وثقافتنا» اتفق مالر مع رأى ادموند ويكسون بأن الإحياء الذى أصاب الأدب الأمريكى خلال نصف القرن المنصرم يعبر عن الغربة والاحتجاج والاشمئزاز

والتمرد. غير أن اهتمام مؤلفنا بالجانب الاجتماعى للأدب سرعان ما زايله.

وتمثل رواية «مالر» الثانية «شاطيء باربرى»Barbary Shore (١٩٥١) مرحلة انتقالية فقد تخلى عن يساريته ككاتب وركز اهتمامه على استجلاء حالة الفرد الروحية ومشاعره الوجودية وانشغاله بما بين الافخاذ، وتعبر هذه الرواية عن عدائه للنظام الستالينى فضلا عن انها تستجلى الاسرار النفسية لانصار ستالين والبوليس السرى والنرجسية والسحاق والهستيريا والراديكالية. واللافت للنظر أن هذه الراوية تخلو من الشخصيات اليهودية ، ولكن الشخصيات اليهودية تعود إلى الظهور بشكل أو آخر فى أهم أعماله الروائية اللاحقة . وفى عام ١٩٥٢ نشر واحدة من أهم قصصه القصيرة بعنوان «الرجل الذى درس اليوجا» The Man Who Studied Yoga . ولكن الشخصيات اليهودية لاتلبث أن تحتل حيزا هامشيا فى روايات مالر التالية . وتدل روايته «حديقة الغزلان» «١٩٥٥» The Deer Park على تأثره الواضح بارنست همنجواى.

آمن مالر بالوجودية وعبر عنها فى أدبه الروائى من خلال شخصية أوشنسى O'shaughnessy . وهو طيار فى الحرب العالمية

الثانية قذف إحدى قرى الباسيفيك بالقنابل فيهوله الدمار المروع الذى ألحقه بالقرية . وتحوله أهوال الحرب إلى شخص يدين بالوجودية وماتنطوى عليه من ايمان بعبث الحياة الانسانية .

فضلا عن أن مالر فى تلك المرحلة من حياته وقع تحت تأثير الكاتب ويلهلم رايخ «١٨٩٧ ـ ١٩٥٧» Wilhelm Reich وأخذ عنه الإيمان بأن الجنس أهم شىء فى حياة الإنسان . وأن رضاء المرء وإشباعه لحياته الجنسية هو الضمان الأكيد لسعادته الجنسية ، ومن ثم ينبغى أن تصبح سعادة الفرد الجنسية الهدف من كل اصلاح اجتماعى ، ويشكل هذا الهدف المحور الأساسى الذى تدور حوله رواياته وقصصه ومنها قصته المهمة «زمن زمانها» The Time of Her Time وقد عبر مالر عن هذه الفكرة المحورية فى مقاله «الزنجى الأبيض» The White Negro حيث نراه يقول : «إن الجماع الجيد يفتح كل امكاناته فى حين أن الجماع الردىء يسجنه» . ونحن نشاهد أوشنسى فى «زمان زمانها» يعيش عيشة جيل البيتس المنطلق من كل القيود ، ويقابل هذا الرجل طالبة يهودية فى جامعة نيويورك ويسترسل فى التعليق على هويتها اليهودية المعقدة والتى يقوم طبيب نفسانى يهودى بتحليل عقدها ، وتحدثنا القصة عن فحولة أوشنسى الجنسية وكيف أنه رغم زهوه

بهذه الفحولة يجد عسرا فى توصيل الفتاة اليهودية إلى نقطة الجماع .

ويعالج نورمان مالر اليهودية بحيدة وموضوعية ، فضلا عن أنه يتعمد عدم التركيز على يهودية شخصياته الروائية فهو باستمرار يجعلها نصف يهودية أو أقل من ذلك ، وشخصياته الوجودية توطن نفسها على العيش كل يوم فى خطر داهم فخطر الحرب الذرية يخيم عليها كما أن خطر الموت ومعسكرات الاعتقال النازية لا يزال عالقا بأذهانها ، وحياة هذه الشخصيات الوجودية تشبه حياة الزنجى الذى تضطره الحياة فى المجتمع الأمريكى الأبيض إلى أن يعيش كل لحظة من لحظات حياته فى خطر مقيم، وهذه الشخصيات لاتكف عن البحث عن حريتها المطلقة وخاصة حريتها فى الاستغراق فى ملذات الجنس حتى لو انطوى ذلك على اقتراف الجريمة والقتل والاغتصاب والزنا بين المحرمين والمحرمات من ذوى القربى .. والأهم ألا يتوقف فى البحث عن لحظة الذروة أى لحظة الجماع . وينسب مالر تطرفه الى الدعوة إلى مايسميه مابين الافخاذ إلى تردى حالة العالم فى الخمسينات الذى يهدده خطر الفناء الذرى والحرب الباردة والجو المكارثى الخانق للحريات الى جانب صور الموت والأهوال التى لاتزال عالقة بأذهان اليهود الذين بقوا على قيد الحياة فى معسكرات الاعتقال النازية ، وسعى مالر

إلى تمجيد الدعوة الى مابين الافخاذ فى شخصية روجاك Rojack فى رواية «حلم أمريكى» An American Dream ورغم أن مالر فى حديث أدلى به امتنع عن الاعتراف الصريح بأنه يتبنى الدعوة الى مابين الأفخاذ فإن فضيحة قيامه بطعن زوجته تدل على مدى تأصل هذه الدعوة فى نفسه كما تدل على استعداده لأن يضعها موضع التنفيذ .

وأيضا يدل رأيه فى وجود الله على عدم ايمانه بالدين اليهودى. يشير مالر فى هذا الشأن إلى احترام الصراع الدائم بين قوتين مستقلتين هما الله والشيطان الذى يحرز أحيانا انتصارات على الله ، وهو نفس ماتذهب اليه الفلسفة المانية واذا كان نيتشه قد قال : إن الله مات فان مالر يقول : «إن الله فى خطر الموت».. وإذا كانت الفلسفة التصوفية اليهودية المعروفة بالهاسيدية قد راجت فإن هذا لايعنى اهتمامه بالدين اليهودى على الاطلاق . فالذى راق له فى الهاسيدية هو إيمانها بالفكر الوجودى . ويرفض مؤلفنا أن يعتبر نفسه يهوديا وهو يساوى بين الأقلية اليهودية والأقلية الزنجية فى المجتمع الأمريكى . وهو يستعرض اليهودية والزنجية بعين المراقب المحايد . والرأى عنده أن اليهودى والزنجى الأمريكى يشتركان فى خاصية واحدة فهما بحكم انتمائهما الى الأقلية يفتقران دوما الى الاحساس بالأمان ولهذا نراهما يفوقان الرجل الأبيض فى الوعى بالذات ونقد الذات .

ويستطرد مالر قائلا : إن أسوأ شىء أن تتمثل الأقلية اليهودية أو الزنجية حياة الأغلبية البورجوازية المستقرة فاحتذاء الأقلية لحياة الأغلبية قمين بأن يحول حياتها إلى شىء بلا طعم أو لون أو رائحة . والديموقراطية فى رأيه تعنى ان تتساوى الأقلية المطحونة بالأغلبية الطاحنة دون ان تفقد شيئا من سماتها الأمر الذى يشجع على التعددية الثقافية . وواجب الأقلية ان تحول كراهيتها للذات الى فن رفيع . ويمتدح مالر الحكايات الهاديسية لأنها تمثل أقوى تعبير عن الحياة الفردية اليهودية عبر القرون العديدة وهى بذلك تمثل نوعا من اليهودية الوجودية بعد انتزاع اليهودية منها ويتضح من مقاله «استجابات وردود فعل» Respenses and Reactions فتور اهتمامه بالهولوكست فى بادىء الأمر غير انه بمجىء الستينات اصبح يشارك كلا من بيلو ومالامود في ازدياد وعيه بالابادة الجماعية لليهود على ايدى النازيين . يقول مالر ان الهولوكست يمثل انتصار الشيطان على الله . ويذهب الى ان جزءا من طاقة الله الخلاقة اندثر فى معسكرات الموت اليهودية . اما اذا اصر يهودى على الاعتقاد بقدرة الله على كل شىء فانه فى هذه الحالة يرى ان اهداف الله الغامضة تقتضى ابادة نصف شعب الله المختار فى الأفران وغرف الغاز .

آمن مالر بمزيج غريب من الماركسية والوجودية والعدمية والمحافظة «وهو يطلق على نفسه اليسارى المحافظ» . ويتضح لنا من كتابه المنشور عام ١٩٦٨ بعنوان «جحافل الليل» Armies of the Night انه فى الفترة اللاحقة من حياته تبنى مواقف اجتماعية ايجابية لمناهضة المؤسسات القائمة . بل إنه بدأ يتصدى لهذه المؤسسات ويقاومها بقوة وايضا تتجلى لنا معارضته ضد النظام الاجتماعى الأمريكى مما سطره فى مقالات صحفية بارعة الى جانب مقالاته فى كتابه «جحافل الليل» حيث يصف لنا زحف المتظاهرين على البنتاجون فى مارس ١٩٦٨ وإلقاء السلطات القبض عليه . ونحن نراه بعد روايته الأولى «العرايا والموتى» يشير الى يهوديته على نحو عابر . فهو فى «جحافل الليل» يشير الى نفسه بأنه «ذلك الولد اللطيف الآتى من بروكلين وانه تعلم شيئا من العبقرية اليهودية ومن الثوار كما تعلم حب المظلومين من زوجته الأولى وهى الزوجة اليهودية الوحيدة بين زوجاته الست . فضلا عن انه يحكى لنا فيه قصة عراكه مع امريكى يؤمن بالفاشية وبينما كان مالر بداخل عربة البوليس مع بعض المتظاهرين الآخرين فى انتظار ترحيلهم الى السجن اذ بهذا الفاشستى يتعمد استفزاز اليهود والسخرية منهم . ولم يطق مالر زرايته باليهود

فاشتبك معه فى عراك لم يفضه إلا واحد من كبار ضباط الشرطة . وشتم الفاشستى مالر فرد له الصاع صاعين .

وتتميز موهبة مالر بالثراء ولكنها موهبة تحتاج الى التنظيم والتهذيب والتشذيب . ومقالاته الصحفية ترقى الى مستوى الكتابة الأدبية وخاصة فى كتابه «جحافل الليل» التى أعطاها عنوانا فرعيا هو التاريخ كرواية والرواية كتاريخ . وبالاضافة زخرت قصته «أغنية الجلاد» . Executioner's Song (١٩٨٠) (التى تحكى قصة قاتل) بالخيال المختلط بسيرة حياته . والجدير بالذكر ان رواية مالر الأولى «العرايا والموتى» تتضمن عددا من الاشارات الى يهوديته فى حين أن أدبه الروائى اللاحق يشير الى يهوديته بطريقة عابرة . وهو يستخدم يهوديته فى ادبه اللاحق كأحد العناصر المهمة فى تصوير احساسه بعدم الأمان وعدم الاستقرار.

وعلى اية حال فبالرغم من انه يمكن اعتبار نورمان مالر يهوديا غير مكتمل فلا سبيل الى تجاهل يهوديته أو إنكا، ها مع انه يظهر عدم المبالاة بها .

٩ - الصحوة الدينية اليهودية في الأدب الأمريكي

بعد انحسار فرحة انتصار الحلفاء على قوات المحور في الحرب العالمية الثانية بات من الواضح ان الحضارة الغربية تجابه محنة الأمر الذى حفز الكثير من الأدباء الى الالتجاء الى الدين كي يخلصهم مما يكتوون به من بلاء . ولا غرو ان يدب الاعياء الروحي في اوصال المجتمعات الغربية لعدة اسباب منها مثول خطر الحرب الباردة واحتمالات الفناء الذرى. وفى عام ١٩٥٧ نشر الناقد تشارلس اى جليكسبرج . Charles . I . Glicksberg

مقالا بعنوان «الاحياء الدينى فى الادب المعاصر» يبين كيف ان إفلاس الماركسية وعدم استقرار العالم واختراع القنبلة الذرية والثورة العلمية حدت بالناس الى الارتماء في احضان الدين . وايضا انتشرت في الخمسينات عدوى الأفكار العدمية نتيجه القلق والتعب الروحي والعذاب واليأس والحزن الوجودى المخيم على الغرب . وبطبيعة الحال تأثر الأدب بهذا الجو العام الذى يشيع فيه الاحباط فأصبح هذا الأدب يتحدث عن اغتراب الإنسان . ولم يجد أدباء أمريكا صورة للاغتراب افضل من صورة اليهودى الذى تعرض للاضطهاد عبر القرون ثم جاءت النازية لتسحق اليهود

تحت أقدامها . وذهب جليكسبرج فى مقال الى أن هناك دلائل على ظهور الانتعاش الدينى فى الأدب ولكنه دين لايقيم وزنا للتمذهب.

وقد تنوعت ردود فعل الكتاب والمثقفين ازاء هذه المحنة فآثر البعض العودة الى حظيرة الدين التقليدى المتمثل فى المسيحية التقليدية واليهودية . ولجأ الكثيرون فى الغرب الى اديان الشرق مثل البوذية وغيرها . ولكن البعض آثر ان يسلك نفس السبيل الوجودى الذى سلكه كل من الفيلسوف جان بول سارتر والبرت كامو . أما نورمان مالر فقد استحدث وجودية خاصة به متأثرا احيانا بمارتن بيوبر صاحب الاتجاه الدينى اليهودى الوجودى المعروف بالهاسيدية الى جانب تعاطيه المخدرات ودعوته الى مابين الافخاذ أى التهالك على الجنس وايمانه بالأفكار المانية المتمثلة فى الصراع الدائم المستعر فى الكون بين قوى الخير وقوى الشر . ويمكننا ان نسوق موقف الاديب الأمريكى جنسبرج كمثال على هذه العودة الى حظيرة الدين ، فعندما سئل هذا الاديب عن الدين الذى يؤمن به أجابه بأنه قد يكون يهوديا بوذيا او «يهوديا يحمل خصائص بوذية ويهودية» على حد تعبيره. ومعنى هذا ان جنسبرج وجد فى اديان الشرق ملجأ وملاذا .

وبالاضافة إلى ذلك اتجه عدد من الكتاب اليهود إلى الدين.

فآمن الروائى ج. د. سالنجر بمزيج من المسيحية وديانة زن Zen اليابانية.

ولكن من الخطل أن نعتقد أن كل المثقفين اليهود اتجهوا شطر الديانات الشرقية فقد أدت الإبادة الجماعية لليهود على أيدى النازيين إلى ايمان الكثيرين منهم بالدين اليهودى فضلا عن مناصرتهم وتأييدهم لدولة اسرائيل التى كان الهولوكست النازى أكبر حافز على إنشائها. ولم يكتف هؤلاء المثقفون اليهود بالاستمساك بالديانة اليهودية بل جاءت مساندتهم لدولة اسرائيل من باب تأكيد الهوية اليهودية. والجدير بالذكر أن جميع المستمسكين بالدين اليهودى لم يكونوا منتمين إلى معسكر واحد فقد تنوعت اتجاهاتهم الدينية بقدر ما تنوعت اتجاهاتهم الادبية. من العائدين الى حظيرة الدين اليهودى كل من هرمان ووك Herman Wouk وتشين بوتوك Chain Potok وسنثيا أوزيك Cynthia Ozick وآرثر أ. كوهين. Arthur A . Cohen ولعل هرمان ووك الذى حظى أدبه بشعبية خير من يمثل العودة إلى الدين اليهودى. وهى عودة رحب بها أثرياء اليهود من سكان الريف الأمريكى. وتذهب رواية مارجورى مورنينج ستار (١٩٥٥) Marjorie Morning star سعى مؤلفها الجاد للتدليل على أن حياة الدعة

التقليدية الهادئة والمتماثلة التى يعيشها أبناء الطبقة البورجوازية هى خير حل لمشاكل الحياة. وأيضاً ألف ووك فيما بعد كتابا رائجا بعنوان «هذا هو ربى» This is my God تتضمن حملة دعاية للترويج للدين اليهودى.

ومن الأسماء التى اتجهت إلى الدين اليهودى ميرون كوفمان Myron kaufmann وهيونيسنسون HughNissenson وجاى نورجبورن Jay Neugeboren ومارك هلبرين Mark Helprin ولكن أبرزهم جميعاً هم تشايم بوتوك Chaim Potok وآرثر كوهين وسنثيا أوزيك. ويتميز هؤلاء الكتاب الثلاثة بأن دفاعهم عن اليهودية يقوم على معرفة وثيقة بالتقاليد والمؤسسات الدينية اليهودية. ولا غرو فقد تلقى كل من كوهين وبوتوك العلم فى الخمسينات فى معهد الدراسات اللاهوتية اليهودية . وفى عام ١٩٥٤ تم رسم بوتوك كاهنا ثم واصل الدراسة ليحصل على الدكتوراه فى الفلسفة فى عام ١٩٦٥ . أما أوزيك العصامى فقد كرس جهوده الخاصة لدراسة الكتابات اليهودية. ويتميز هؤلاء الكتاب اليهود الثلاثة بإيمانهم العميق بالدين اليهودى والتعبير عن هذا الايمان فيما يسطرون من كتابات. ورغم أن بعض رواياتهم تخلو من الإشارة الى الدين فانه يمكن اعتبارهم جميعا كتابا دينيين.

وعندما نشر تشايم بوتوك عام ١٩٦٧ روايته «المختار» The Chosen أذهل نجاحها المنقطع النظير عالم الأدب. وأدرك الدارسون أن الرواية تمثل فتحا أدبيا جديدا . فقد حملت هذه الرواية صوت مؤلفها اليهودى المميز الذى يختلف عن كل أصوات اليهود الآخرين أمثال لويسهون وكوفمان فى أن بوتوك ألف رواية تدور أساسا حول التباين والصراع بين يهوديتين: يهودية عادية ويهودية مفرطة فى تعصبها إلى حد الأصولية. وتروى الرواية قصة الصراع الذى احتدم فى أمريكا بين المتشددين من أنصار اليهودية الاصولية وبين اليهود الأقل تشددا . وتركز حبكتها على محاولة المصالحة بين العقل العصرى وطريقته فى دراسة التوراه وبين الاصولية الدينية الحرفية فى تفسيرها للكتاب المقدس التى ترى أن فحص الدين بالأسلوب العلمى ليس سوى كفر بالله واستخفاف بكلامه.

والواقع أن بوتوك أعلن موقفه من هذا الصراع حتى قبل نشر رواية «المختار» وقد عبر عن هذا الموقف فى مناظرة كانت مجلة «تعليق» قد عقدتها بعنوان «حالة العقيدة اليهودية» فى عددها الصادر فى أغسطس ١٩٦٦ . يقول بوتوك فى هذه المناظرة ان يهوديته أحدق بها الخطر طوال عام كامل شاهد فيه العذاب ولم

ينقذه من هذا العذاب سوى اكتشافه انه بإمكانه اعادة بناء الدين اليـهـودى من الداخل. ومن ثم قـرر أن يخـضـع نصـوص الكتـاب المقدس إلى نقد وتحليل علمى حديث. ومعنى هذا أن الصراع الذى يصوره كتابه «المختـار» يتضـمن جانبا من سيره حياته. ويأتى الصراع بين الايمـان اليـهودى المتشـدد والايمـان اليـهودى غيـر المتشـدد بين فـريقـين من الطلبة يتبـاريان فى لعبـة البـاس بول الأمريكية. وتدل الكراهية المشبوبة التى يحملها كل من الفريقين للفـريق الآخـر على مدى مـا بينهـمـا من شـحناء وبغـضـاء بسـبب الخلافات الدينية العقائدية التى تفصل بينهما ولكن طالبين يمثلان الفـريقـين المتـصـارعـين (وهـمـا دانى سـوندرز Danny Saunders الهاسيدى المتشدد وريفين مولتر Reuven Malter الميسنا جيدى Misnagid الذى يظهـر مـرونة دينيـة) سـرعـان مـا يتـحـولان من البغض الى الصداقة.

ورغم أن بوتوك يظهر ميلا نحو الحداثة العلمية فإنه ظل حتى آنذاك لا يدين بالحداثة الأدبيـة. ويتـميـز أسلوب بوتوك بالوضـوح والمبـاشـرة فـضـلا عن جـلاء مـعـانيه ولغـتـه المباشـرة الخـاليـة من الغموض والزخرف. ولكن هذا الوضـوح لا يقلل من عمق ملاحظاته وجدية معالجتـه للمشـكلات. ومما زاد من شعبيته ككاتب الانتقال

السريع فى أحداث روايته. وبعد «المختار» أصدر بوتوك عددا من الروايات هى «الوعد» The Promise المنشورة عام ١٩٦٩ ، و«اسمى اشر ليف» My Name is Asher Lev(١٩٧٢) و «فى البداية» (١٩٧٥) In The Beginning و«كتاب النور» (١٩٨١) the-Book of Lights وغيرها من الروايات. ولكن رواية «المختار» تمثل أروع ما كتب. وجميع روايات بوتوك تدور حول نفس هذا الموضوع وهو الصراع بين تفسير التوراة ككلمة الله المنزلة والتوراة كوثيقة أو نص قديم يخضع للنقد والتحليل بكل ما تحتويه من مذاهب وطقوس ودلالات اجتماعية . وبسبب عجزه عن تنويع موضوعاته الروائية يذهب بعض النقاد إلى أن مؤلفنا يفتقر الى الخيال الخصب.

ورغم أن آرثر أ. كوهين لم يكتب غير رواية دينية واحدة على قدر كبير من الأهمية فإنه ترك أثرا دينيا فى مجتمع المثقفين. وكان كوهين أستاذا للفلسفة اليهودية فى معهد الدراسات اللاهوتية اليهودية فى الفترة من ١٩٥١ حتى ١٩٥٣. وألف روايات وكتبا فى اللاهوت الى جانب اشتغاله بالنشر. وأوضح كوهين موقفه الدينى فى مقال نشره فى أبريل ١٩٥٩ فى مجلة هاربرز Harper's تحت عنوان «لماذا اخترت ان أكون يهوديا». وذهب كوهين

فى مقاله الى أن اليهودى لا يستطيع ان يختار يهوديتة إلا إذا كان منتميا الى الجيل الثالث من المهاجرين لأن المجتمع لن يعتبر المنتمى الى الجيل الأول والثانى يهوديا مهما كانت أفكاره وعقيدته، أى أنه يهودى سواء شاء ذلك أو لم يشاء. اما اليهود المنتمون إلى الجيل الثالث من المهاجرين اليهود فهم وحدهم الذين يستطيعون أن يصبحوا يهودا بمحض اخيارهم. يقول كوهين فى هذا الصدد إن الامر يختلف فى يومنا الرهن لأن قوى التاريخ التى لا تقاوم لم تعد ترغمه على اعتناق اليهودية مثلما كان الحال فى الماضى. ولكن اليهودى فى يومنا الراهن يستطيع أن يختار بين البقاء على يهوديته أو اعتناق المسيحية أو الالحاد أو اظهار عدم المبالاة بالدين. ومن ناحيته اختار كوهين الاستمساك بدينه اليهودى دون أن يكون ذلك راجعا إلى ولائه للشعب اليهودى أو الدولة اليهودية بل آمن بيهوديته كدين . ويقول كوهين إن اختياره للدين اليهودى جاء نتيجة تفكير عميق وتأمل طويل ودراسة متأنية . ويضيف كوهين أن إيمانه باليهودية يرتكز على أربعة أعمدة أولها أن إيمانه باله ابراهيم واسحق ويوسف يعنى فى نظره تأكيد حقيقة تعمل من خلال التاريخ وتخاطب البشر . ثانيا إن الناموس الموسوى هو كلمة الله التى ينقلها التوراة والتى تدل على أية تعاليم

من شـــأنهـا تقـريب الإنسـان من الاله الحق إله اسـرائيل ورب التاريخ. ثالثا إن الله اختار الشعب اليهودى ليصبح أداة خاصة يستخدمها لأغراضه دون أن يتبع ذلك غرور اليهود أو صلفهم لهذا الاصطفاء الالهى . فمعناه أن الله وفر لليهود حقيقة مهمة يمكن لجميع البشر بلوغها . رابعا إن يسوع ليس المسيح الذى يتحدث عنه الكتاب المقدس فالمسيح سوف يأتى إلى العالم فيما بعد لتـخليص التـاريخ من أدرانه وأوزاره . ويسـوع الذى يؤمن به المسيحيون ليس في نظر اليهودى سوى خادم فى سلسلة من خدام الله الذين يكابدون العذاب . وهو خادم قام الله بإرساله لتعليم الأمم .

ولا تقتصر كتابات كوهين على اللاهوت الذى ألف فيه عددا كبيرا من الكتب بل تجاوزته إلى معالجة النقد الأدبى وتأليف الروايات ومن بينها تلك الرواية المهمة التى نشرها عام ١٩٧٣ بعنوان «فى أيام سيمون ستيرن» In the Days of Simon Stern . وهى رواية فى قالب فنى نسجتها روعة خيال المؤلف وتتضمن وجهة نظر خاصة بمجىء المسيح لخلاص العالم . والمسيح فى هذه الرواية ليس المسيح الذى تؤمن به المسيحية بل هو حكيم من الحكماء الستة والثلاثين الذين يعتقد المؤلف أنهم يظهرون فى كل

جيل تمهيدا لمجيء المسيح الحق فى المستقبل . وتبدأ أحداث قصة ستيرن في بولندا . وستيرن ثمرة زواج أبوين أوعز به عراف تنبأ بأنهما سينجبان ابنا (سيمون ستيرن) سوف يصبح أحد الحكماء الستة والثلاثين فيصبح بذلك مسيحا صغيرا . وتهاجر عائلة ستيرن إلى الولايات المتحدة وتستقر في الجانب الشرقى من مدينة نيويورك حيث تتضح عبقرية سيمون فى جمع المال . فقد استطاع جمع ثروة تقدر بمائة مليون دولار . وتمر الأيام دون أن يكتشف هذا الرجل إلا فى الحرب العالمية الثانية أن الله أراد له أن يكون منقذا أو مسيحا صغيرا . ويدرك سيمون أن الله أراد له أن يجمع ثروته الطائلة من أجل غرض مقدس . ومن ثم يقوم بإنشاء مجتمع فى أمريكا يضم الناجين من الهولوكست النازى . ولكن سيمون يرتكب خطأ فاحشا فقد وقع اختياره على رجل شرير نصف يهودى نجا بجلده من الهولوكست اسمه جانوس بولتار من أجل إدارة مجتمع الناجين من الإبادة النازية . ويفتضح أمر الشر الذى يرتكبه بولتار فيشعل النار فى التجمع اليهودى ويدمره . وقد حصلت الرواية عام ١٩٧٤ على جائزة ادوارد لويس والانت Ed-ward Louis Wallant باعتبارها أهم رواية يهودية صدرت فى ذلك العام .

وتتميز هذه الرواية باللمسة الجمالية وبالخيال القادر على تصوير العناصر فوق الطبيعة فى العقيدة اليهودية وخلو هذه الرواية من الأفكار اللاهوتية وتشبعها بروح العصرية والحداثة مما جعل المؤسسات اليهودية فى أمريكا ترحب بها .

وأيضا تتجه الروائية اليهودية اللامعة سنثيا أوزيك Cynthia Ozick إلى الدين اليهودى رغم أنها قليلة الكلام عن معتقداتها الدينية اليهودية . وقد حصلت هذه الروائية عام ١٩٧٢ على جائزة مجلس الكتاب اليهودى عن روايتها «الحبر الوثنى وقصص أخرى» The pagan Rabbi and other Stories (١٩٧١) . ورغم امتياز أعمالها الروائية فإنها محدودة الانتشار . وإلى جانب القصة والرواية كتبت سنثيا أوزيك طائفة كبيرة من المقالات ومراجعات الكتب. وتتميز مقالاتها فى أغلب الأحيان بالخيال الخصب ، ويبدو أنها لم تتلق تعليما نظاميا بل علمت نفسها بنفسها . وهى متبحرة فى التاريخ اليهودى والمعارف اليهودية . والذى تقوله سنثيا عن أدب اليديش ينطبق كذلك على أدبها .

تقول هذه الكاتبة عن أدب اليديش إنه يخلو من الاغتراب والعدمية ومذهب الدادية . وهى من أشد الناس حماسا فى دفاعها عن الأدب المكتوب باللغة الانجليزية الهادف فى جوهره إلى التعبير عن اليهودية .

ولكن دفاعها عن الأدب اليهودى لم يكن واضحا فى أول رواية ألفتها عام ١٩٦٦ بعنوان «الثقة» Trust وهى رواية ضخمة مكتوبة بطريقة هنرى جيمس تدور أحداثها حول الخيانة . وتنم هذه الرواية عن شدة تمكنها من اللغة الانجليزية .

وقد كتبت سنثيا عام ١٩٧٠ مقالا بعنوان «أمريكا .. نحو يافنيه» Amessice :Toward yavneh جاء فيه : «كرست حياتى حتى وقت حديث للغاية للدين فى الفن .. كان ذلك أملى والتزامى وإيمانى الوحيد» ثم تستطرد قائلة إنها عندما بدأت فى تأليف أى كتاب كان هدفها مخاطبة غير اليهود . ولكن بمجرد انتهائها من الكتاب وجدت أنها قد ألفته من أجل اليهود . وما أن فرغت من كتابة رواية «الثقة» حتى ضاقت ذرعا بأسلوبها الذى يخاطب صفوة المثقفين وطموحها فى تأليف الفن الرفيع . وتدل أعمالها اللاحقة على أن تغيرا طرأ عليها فقد استهوتها كتابة القصة والرواية القصيرة على طريقة الأديب الأمريكى فرانك أوكنور Frank O` Conner .

وفى عام ١٩٧٠ اكتمل مفهومها للمنظور اليهودى للأدب فعبرت عنه فى بحثها المشار إليه «أمريكا .. نحو يافنيه» الذى شاركت به فى الحوار الأمريكى - اليهودى السنوى الثامن المنعقد فى القدس.

وتذهب سنثيا فى بحثها إلى أن الشتات اليهودى أشبه ما يكون بأورشليم بعد نزوح أهلها عنها . وفى رأيها أن أمريكا تشبه البعث الثقافى الذى شهدته يافنيه بعد هدم معبد سليمان فى أورشليم . أى أن أمريكا سوف تصبح لبعض الوقت مثل يافنيه الملجأ الذى يلوذ به اليهود بعد طول شتات حتى يأتى الوقت الذى تتمكن فيه اسرائيل من دعم قوتها ضد البربرية والهمجية . وهى تؤكد أن لغة هذا الملجأ اليهودى سوف تكون الانجليزية المطعمة باللغة العبرية ، وهى لغة تطلق عليها سنثيا اسم «لغة اليديش الجديدة» . وتعترف مؤلفتنا بأنها تشعر أحيانا بقصور اللغة الانجليزية التى تعلمتها لأنها على حد تعبيرها لغة مسيحية عاجزة عن الاحاطة بفيض الأفكار اليهودية التى تشبه المحيط فى غزارتها . وهى تضيف أن مثل هذه اللغة الانجليزية المستحدثة يجب أن تكون نابضة بالخيال الأخلاقى وأن تعكس صوت المجتمع فضلا عن أن تكون صدى لصوت الله رب التاريخ. والرأى عندها أن هذه اللغة ينبغى ألا تكون علمانية لأن هذا يتنافى مع طبيعة اللغة اليهودية . غير أنها فى عام ١٩٨٣ تخلت عن فكرة استحداث لغة يهودية جديدة واصفة هذه اللغة بأنها مجرد حلم قديم راودها ، وذلك فى مقال نشرته فى مجلة «تعليق» بعنوان «لغة اليديش الجديدة» . وهى فى

يومنا الراهن تكتفى بالدفاع عن مزج التنوير بالأساسيات اليهودية أى بالدفـاع عن خليط من القـوة الفكرية النابعـة من التنوير والانغماس العميق فى «الحساسية اليهودية» ودراسة الكتب المقدسة .

وفى الخطاب الذى ألقته سنثيا بمناسبة حصولها عام ١٩٧٢ على جائزة مجلس الكتاب اليهودى عن روايتها «الحبز الوثنى» نراها تذهب إلى أنه يجب على اليهودى أن يقتفى أثر التاريخ ولا يتبع الطبيعة أى أن يتبع الممارسات التاريخية اليهودية وليس المذهب الطبيعى الوثنى. والرأى عندها أن الكتابة اليهودية يجب أن تحتوى على مضمون أخلاقى من صميم التقليد اليهودى . وفى تفسر الوصايا الموسوية بأنها ليست مجرد نهى عن الوثنية ورفض لعبادة الماديات فضلا عن اتباع أى شئ لذاته إلا إذا كان ينطوى على دلالة دينية أو أخلاقية . ولهذا السبب اعتبرت سنثيا الفن للفن كنوع من الوثنية واليهودى الحق فى نظرها هو المؤمن بالتماثل فى الأفكار التقليدية والتعليمات الواردة فى التوراة. ومن الغريب أنها ترى أنه يمكن لليهودى عدم الايمان بالله. ولكنها تعتقد أنه يتعين عليه العمل على تواصل روح التقاليد اليهودية. وأدى هذا إلى اقتصار اهتمامها على الأخطار الناجمة عن الهولوكست والعداء

ضد اسرائيل واحتمالات عودة الهولوكست من جديد. وبلغ اهتمامها بالشئون اليهودية حدا أنساها احتمال تدمير العالم عن طريق استخدام القنبلة الذرية . وصور لها خيالها أن أمريكا نفسها قد تمارس إبادة اليهود في يوم من الأيام قد يكون أقرب مما نتصور.

وتدل قصصها القصيرة على شدة مهارتها في استخدام اللغة الانجليزية وقوة خيالها التي تجلت في مقالاتها أحيانا . وقصصها تتأرجح بين الوضوح والغموض فضلا عن ارتباطها الوثيق بالتقاليد والمضامين والروح اليهودية . وتعتبر قصتا «الحبر الوثني» (١٩٦٦) و«الحسد أو لغة اليديش في أمريكا» (١٩٦٩) أفضل اعمالها القصصية على الاطلاق . والقصة الأولى تدور حول الصراع بين التقليد اليهودي الراسخ وبين الحب الوثني للطبيعة . في حين تدور القصة الثانية حول الحسد الذي يحس به شاعر بيدش لا يجد أحدا يترجم أعماله وبين كاتب بيدش آخر يتكالب المترجمون على ترجمة مؤلفاته. والأهم من تصوير هذا الصراع أن القصة تلقى الضوء على محنة استخدام لغة اليديش في العصر الحديث.

والجدير بالذكر أن سنثيا عبرت بقوة عن تأييدها للأدب

النسائى وحركة التحرر النسائى . وفى صيف عام ١٩٧٨ قامت هذه الكاتبة اليهودية بزيارة اسرائيل حيث عقدت جامعة بارإيلان ندوة عن اليهودية والفكر المعاصر.. قالت سنثيا إن ابادة كثير من اليهود على أيدى النازيين وتدمير الكثير من المواهب اليهودية يحتم ضرورة تشجيع اليهوديات على ولوج مضمار الخلق والابداع لتعويض ما فقده بنو اسرائيل من مواهب. وصدمت سنثيا أسماع الحاضرين عندما تشككت فى صحة مقولة الباحث الحديث «أدين شتيولتز» Adin Steinsaltz التى ترى أن التلمود يمثل الجهد الجماعى الذى بذله الشعب اليهودى بأكمله . وتذهب سنثيا إلى أن هذه فرية فالتلمود فى نظرها نتاج الذكور فقط من الشعب اليهودى لأن النساء اليهوديات استبعدن من الاشتراك فيه. وهذا معناه أن العبقرية اليهودية الحقة لم تظهر إلى الوجود حتى الآن. فهى لم تتعرض لفجيعة الهولوكست فحسب بل إن العنصر النسائى محروم من الاسهام فيها.

وشرحت سنثيا وجهة نظرها حول مكانة المرأة فى ظل الديانة اليهودية فى مقال نشرته عام ١٩٧٩ فى مجلة نسائية يهودية تسمى ليليث Lilith . تقول كاتبتنا ان التوراة تورط فى خطأ عندما أشار إلى الله باعتباره ذكرا (هو). فالله فوق التذكير

والتأنيث معا. والتوراة يخطئ عندما ينظر إلى المرأة بنفس النظرة التى ينظر إليها بها العالم كله . فهذه فضيحة تشكك المرأة فى صحة التوراة وفى ثم فإنها ترى ضرورة إضافة وصية أخرى إلى الوصايا العشر اليهودية المعروفة . وفيما يلى نص هذه الوصية الجديدة: « إياكم والتقليل من انسانية المرأة».

وفى عام ١٩٧٦ أصدرت سنثيا مجموعتها القصصية الثانية بعنوان «سفك الدماء وثلاث قصص طويلة» Bloodshed and Three Novellas وتروى احدى قصص هذه المجموعة وهى بعنوان «مأجور» A.Mercenary حكاية يهودى بولندى يكره نفسه كان يعمل سفيرا لدولة افريقية لدى الأمم المتحدة . ولهذا اليهودى عشيقة ألمانية تسمى لولو دأبت على معايرته لاخفائه يهوديته وتنصله منها . وتعالج هذه القصة ماهية اليهودى. أما قصة «اغتصاب» Usurpatican فتعالج مشكلة الفجوة التى تفصل بين اليهودية والفن أو بالأحرى تعالج خطر الإغراء المتمثل فى السعى إلى الفن من أجل الفن . وهى فكرة تعتقد سنثيا أنها تؤدى فى النهاية إلى عبادة الفن لذاته فى حين أنها تعتقد أنه ينبغى على اليهودى أن يرى فى القصة تقييما للعالم أو حكما عليه وتفسيرا له. وهى تحبذ بشدة ضرورة الربط بين كتابة القصة ومراعاة

الناموس. والمؤلفة تتصور فى «اغتصاب» أن جميع كتاب القصة سوف يجمعون فى الفردوس فى قفص واحد ليتلقوا درسا مفاده ان كل ماهو خارج الناموس تافه وليس له وزن . وتسعى سنثيا فى قصتها إلى تحذير القصاص من مغبة تجاهل الناموس فيما يسطرون.

إن سنثيا تتميز بخصوبة الخيال ومتانة اللغة وتدفقها كما أنها تتمتع بالقدرة على تصوير الواقع بطريقة تثير تعاطف القارئ رغم قسوتها. ويتجلى لنا هذا من القصة القصيرة «الشال» The Shawl التى نشرتها فى مجلة النيويوركر بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٨٠ حيث نشاهد طابورا متحركا من اليهوديات يضم شابة وطفلها وهن فى طريقهن إلى الموت بدون رحمة أو شفقة على أيدى جلاديهم من النازيين . ويتميز السرد القصصى بالجمع بين الواقع والخيال، فضلا عن أنه ينبض بالحياة الدافقة ويمتزج فى كثير من الأحيان بالنكتة الذكية.

وفى روايتها التالية «مجرة أكلة لحوم البشر» (١٩٨٣) The Cannibal Galaxy تناقش المؤلفة ماهية الثقافة اليهودية الحديثة . وتدور هذه الرواية حول شخصية يهودية محورية تنجو من الموت

من الهولوكست هي شخصية جوزيف بريل JOSEPH BRILL الذى اختبأ من النازيين فى بدروم فى باريس فى فترة الحرب العالمية الثانية . وتزوده الراهبات بالكتب ومن بينها كتب اليهودى الفرنسى المثقف الواعى ادموند فليج Edmond Fleg الذى استطاع الجمع بين الثقافة العبرية وتقاليد حركة التنوير . وفيما بعد يهاجر ادموند فليج إلى الولايات المتحدة حيث تقوم مدرسة الزامية على طريقة ادموند فليج بالجمع بين الدراسات العبرية وغير العبرية.

وخلاصة القول ان هناك فى أمريكا اليوم اهتماما متزايدا بمعالجة الموضوعات والشخصيات اليهودية فى الأدب . وهو اتجاه تواكبه عودة الأجيال الشابة إلى الدين اليهودى دون أن تجمع شملهم مدرسة فكرية أو أدبية واحدة.

واليوم تغير الأسلوب الأدبى التقليدى فى معالجة اليهود كأنماط وأصبح يتعامل معهم كأفراد . ولا يقتصر هذا التغير على الكتاب اليهود وحدهم بل يمتد إلى الكتاب غير اليهود . ويدور عدد كبير من الروايات اليهودية حول فكرة تزايد تأقلم المهاجرين اليهود بمضى الوقت مع الثقافة الأمريكية، ثم إن الكتاب اليهود حملوا

لواء الحداثة الأدبية إلى جانب ميلهم نحو اليسار السياسى .
واتجه عدد من المفكرين اليهود إلى الوجودية والتعبير عن الاغتراب والنظرة العدمية المتشائمة غير أن نفرا من الكتاب اليهود البارزين أمثال شاؤول بيلو وبرنارد مالامود رفضوا الاستسلام للاغتراب واليأس من الحياة الانسانية وعبروا عن حرصهم على تأكيد قيمة الحياة الذى تنطوى عليها التقاليد اليهودية . وبسبب الهولوكست النازى بادر بعض الكتاب اليهود بالمساندة السافرة لدولة اسرائيل. وبالنظر إلى أن عقد الخمسينات فى أمريكا شاهد ظهور عدد كبير من المواهب الأدبية اليهودية فإنه يمكن اعتبار هذا العقد عقد الانتعاش الثقافى اليهودى فى الأدب الأمريكى . ومنذ ذلك الحين صار الكاتب اليهودى جزءا لا يتجزا من النسيج الفكرى والثقافى الأمريكى ولحمة وسدة هذا الفكر وليس مجرد شئ وافد على الساحة الثقافية الأمريكية . ولم يتغلغل اليهود فى الأدب الأمريكى الجاد فحسب بل أيضا فى الكتابات الغثة وعروض التسلية التى تروق لعامة الناس.

وفى نحو السبعينات حدث شئ مشابه فى أدب الزنوج فى امريكا الذى استطاع الحصول على نفس الاعتراف الذى سبق للأدب اليهودى الحصول عليه فى عقد الخمسينات. فضلا عن أن

الأمـريكان أخـذوا يحـفلون بالأدب النسـائى. واللافت للأنظار فى الآونة الأخيرة ظهور اتجاه متنام بين الأدباء، والمثقفين الأمريكان نحـو الدين بما فى ذلك الدين اليـهودى بسـبب الأخطار البـيـئـيـة والنووية التى باتت تهدد وجود الانسان على كوكب الأرض.

فهرس

الهـــلال

المجلة الثقافية الأولى فى مصر
والعالم العربى

نوفمبر ١٩٩٨ عدد ممتاز تقرأ فيه :

- الثقافة الامريكية ، حضارة السوق ونفى الثقافة
- توفيق الحكيم ١٠٠ سنة على ميلاده «جزء خاص»
- اعداء التكنولوچيا .

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

روايات الهلال تقدم

رجل بلا روح

تأليف

توفيق الحكيم

رئيس مجلس الادارة، مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير مصطفى نبيل

تصدر ١٥ نوفمبر ١٩٩٨

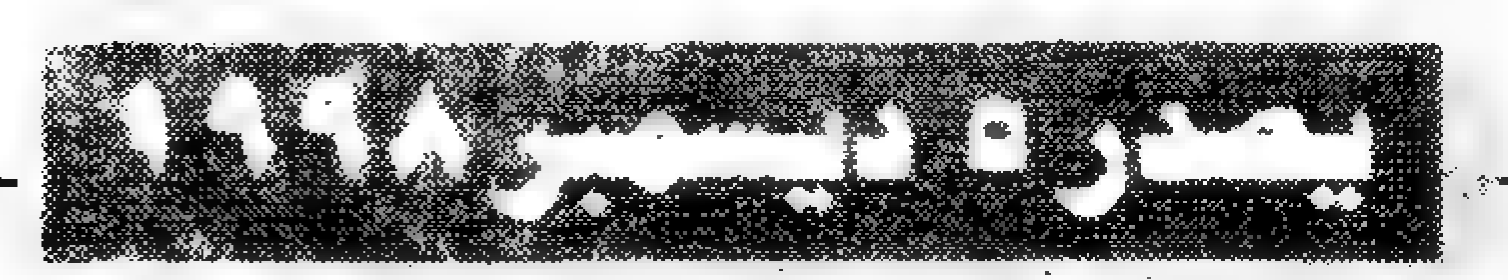
كتاب الهلال يقدم

فتحى رضوان

نصف قرن بين السياسة والأدب

رئيس مجلس الادارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل



دار الـــهــلال تــقــدم

سجل الهلال المصور

٣٠٠٠ صورة فى ١٥٤٠ صفحة
تعبر أصدق تعبير عن الحياة
السياسية والاجتماعية والفنية
والأدبية فى مصر ١٠٠ عام

صدر فى جزءين
الثمن ١٠٠ جنيه
اطلبوه من مكتبات دار الهلال

بناءً على رغبة آلاف القراء

دار الهلال تقدم

الطبعة الثانية من

إعجاز القرآن

عبدالوهاب

« الجزء الثانى »

تأليف : رءوف أبوسعدة

الثمن ١٠ جنيهات

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ٤٥ جنيها داخل ج . م .ع تسدد مقدما نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية - البلاد العربية ٣٠ دولارا - امريكا واوربا واسيا وافريقيا ٤٠ دولارا - باقى دول العالم ٥٠ دولارا .

القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفى لآمر مؤسسة دار الهلال ويرجى عدم ارسال عملات نقدية بالبريد .

● وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

الكويت : السيد/ عبدالعال بسيونى زغلول ، الصفاة - ص . ب رقم ٢١٨٣٣
للحصول على نسخ من كتاب الهلال اتصل بالتلكس : 92703 Hilal.V.N

رقم الايداع : ١٤٣٨٠ / ١٩٩٨
I. S. B . N
977 - 07 -0618- 3


أكثر من ٤٠٠ رحلة أسبوعيًا
إلى ٩٤ مدينة عالمية ومحلية
خدمة متميزة وكرم ضيافة
مصر للطيران
EGYPT AIR

هذا الكتاب

يهود أمريكا فى يومنا هذا قوة مسيطرة على عقول أمريكا ، وتعمل جاهدة على بث الحقد والكراهية للعرب ومناصرة إسرائيل فى كراهيتها للفلسطينيين والعرب وشاغلها الأوحد تنمية اسرائيل علميا واقتصاديا حتى تكون هى الأقوى دائما .

والكتاب الذى بين أيدينا يؤكد أن القوة اليهودية المسيطرة على عقل وفكر الأمريكان ليست وليدة اليوم فمنذ بدأ التغلغل اليهودى فى الأدب الأمريكى منذ الأربعينات حتى اليوم وهم الاحتياطى الاستراتيجى لإسرائيل. ويهود أمريكا يملكون الآن مراكز أبحاث خاصة بهم ، تعمل على ترسيخ اقتناع اليهودى الأمريكى بأنه جزء لايتجزأ من نسيج المجتمع الأمريكى. ومن أبرز مظاهر التمثيل اليهودى الكامل للحياة الأمريكية إنشاء جمعية عام ١٩٠٦ فى جامعة هارفارد ، تهدف إلى اندماج اليهود فى المجتمع الأمريكى ، وتحمل اسم «مينورا» ، وأصدرت هذه الجمعية مجلة «مينورا» وهى مجلة ثقافية علمانية خطيرة الأثر ، تهدف إلى تجنيد جميع الموارد اليهودية لدعم الجهود التى يبذلها اليهود للإسهام فى إثراء الحياة الفكرية الأمريكية ، وبفضل نشاطها استطاع يهود أمريكا التربع على عرش الأدب الأمريكى وتوجيه جهود أمريكا لخدمة قضايا اسرائيل داخليا وخارجيا ومناصرتها .

وفى هذه الدراسة المهمة نتعرف على الأسماء اليهودية المعروفة فى النقد الأدبى والأسماء التى لمعت فى الرواية الأمريكية الحديثة والمعاصرة، وكيف كونت الأ[illegible] اليهودية قديما وحديثا الفكر الأمريكى لمعاداة [illegible] إسرائيل داخليا وخارجيا، ومن هنا تكون أهمية [illegible] فى هذه المرحلة الحاسمة .

Bibliotheca Alexandrina
0331325